جامعة القاهرة
كلية الآداب



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية

٢

يوليو ١٩٨٨

يصدرها قسم التاريخ

محتوى العـــدد

• • •

No. 2 (Jul. 1988)



المؤرخ المصري

العدد الثاني | يوليو ١٩٨٨

المراسلات :

ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور / رءوف عباس حامد، رئيس التحرير، على العنوان التالى : كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

افتتاحية العــــدد

واكب صدور العدد الاول من " المؤرخ المصرى" اهتمـــام الرأى العام العربى بقضية كتابة تاريخ الامة العربيــــة ، فحفلت الصحف والمجلات بالمقالات والتحقيقات حول قيمة بعــض ما سمى بالمذكرات الشخصية وموقعها بين مصادر تاريخ مصــر والعالم العربى الحديث والمعاصر .

ورغم انشغال الرأى العام بهذه القضية ، حظيت "المؤرخ المصرى " باهتمام خاص ، فرحبت بها الدوائر الاعلاميـــة والثقافية والاكاديمية لا فى مصر وحدها ، وانما فى خارجها ايضا . واتخذ هذا الترحيب مظهرين : اولهما ، حَرص الزملاء الباحثون فى التاريخ على ان يزودوا المجلة بدراساتهـــم وان يتحملوا - برحابة صدر - جانبا من نفقات طباعة العدد الثانى ، وثانيهما ، ماتلقته اسرة التحرير من خطابـــات من بعض القراء ذوى الاهتمام بالدراسات التاريخية يبـــدى اصحابها رغبتهم فى الاشتراك فى المجلة .

واسرة تحرير " المؤرخ المصرى " تشكر القراء الكرام على اهتمامهم ، وتعدهم بوضع نظام للاشتراك فى المجلـــة يتيح للافراد والهيئات العلمية الحصول على اعدادها بانتظام.

واخيرا ترحب أسرة تحرير " المؤرخ المصرى " بنشـــر المساهمات العلمية للزملاء فى مصر والوطن العربى ، قـــدر ترحيبها بكل نقد تتلقاه من القراء الكرام .

والله والوطن العزيز من وراء القصد ،،،

رئيس التحريـــر

البحوث والدراسات

تصفية المقاومة الأموية
فى العراق ومصر والشام

د. راضى عبد الله عبد الحليم
كلية التربية بالفيوم - جامعة القاهرة

لقد بدت بوادر الضعف واضحة فى الدولة الأموية ، منذ ان تولى الخلافة يزيد بن مروان عام (١٢٥هـ - ٧٤٢ م) ، هذا الخليفة الذى يقال انه استخف بأمر دينه [١] ، قبل خلافته وبعدها ، وانشغل باللهو والركوب والصيد ، وشرب الخمر وسفك الدماء [٢] سائرا على نهج أبيه ، يزيد بن معاوية ، الذى مال الى اللهو والمجون والصيد والشغف بالجوارى [٣] .

وكان الوليد قد اشتد على بنى هاشم ، فضرب سليمان بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وغربه الى عمان فحبسه بها ، فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد ، كما عقد البيعة لولديه الحكم وعصمان أحدهما بعد الآخر ، مما أغضب بنى هاشم ، وبنى الوليد ، فرموه بالكفر والزندقة ، وغشيان أمهات اولاد أبيه ، وأدى ذلك فى النهاية الى الفتك به [٤] ، على يد يزيد بن الوليد فى جمادى الآخرة عام ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م) بعد خلافة دامت سنة وثلاثة أشهر ، وكان مصرعه بداية لمصرع أهل بيته ، حيث ظهرت الاحقاد والمطامع بين أفراد تلك الاسرة علاوة على المنازعات الحادة بين شيوخ القبائل العربية من أجل السيطرة على ولاية خراسان ، التى لعبت دورا أساسيا فى سقوط دولتهم وقيام

---

١) يحكى عن الوليد انه استفتح فألا فى المصحف الشريف ، فخرج (استفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فالقاه ورماه بالسهام وقال :

تهددنى بجبار عنيد .. نعم أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم بعث فقل : يارب خرقنى الوليد

- ابن طباطبا ، محمد بن على بن طباطبا ، تاريخ الدولة الاسلامية ص ١٣٤ .

٢) ابن قتيبة الدينورى ، ابى محمد عبد الله بن مسلم ، الامامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

٣) قيل انه كان يلبس كلاب الصيد الاساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبدا يخدمه ، وكان شديد الولع بجاريتين احداهما تسمى سلامة ، والاخرى حبابة .

٤) الطبرى، أبى جعفرمحمدبن جريرالطبرى،تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ ، ٢٣٢ .

الدولة العباسية ، فها هو سليمان بن هشام قد خرج من سجنه بعمان فاخذ ما بها من الاموال ، واقبل الى دمشق ، وجعل يلعن الوليد ويسبه بالكفر ، وها هم اهل حمص يقومون بهدم دار العباس بن عبد الملك[٥] ، مطالبين بدم الوليد بن يزيد وكتبوا فيما بينهم كتابا : ألا يدخلوا فى طاعة يزيد بن الوليد[٦] ، اما أهل فلسطين ، فقاموا بطرد واليهم سعيد بن عبد الملك ، ولما بلغ امرهم أهل الأردن ،ولوا عليهم محمدا بن عبد الملك[٧] .

أما فى الجزيرة ، فوثب عبد الملك بن مروان بن محمد ، على عاملها من قبل الوليد فاخرجه منها ، وقدم اليه والده مروان بن محمد قادما من ارمينية مظهرا مطالبته بدم الوليد بن يزيد، الا أنه عندما صار بحران ، بايع يزيد بن الوليد[٨] ، الذى آلت اليه الخلافة ، بعد وعده اياه بتوليته ما كان قد تولاه أبوه محمد بن مروان من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . وما أن توفى زيد بن الوليد ، حتى انتهز مروان بن محمد تلك الفرصة فسار الى الشام ، خالعا ابا اسحاق ابراهيم بن الوليد ، الذى لم يدم حكمه سوى ستة أشهر ، وصفت له الامور وبويع بدمشق عام (١٢٧ هـ - ٧٤٤ م) وبايع له اهل العراق والحجاز ، وهابه الناس وخافوه[٩] الا أنه لم يهنأ بهذا التأييد حيث اندلعت الثورات والفتن

---

٥) تنبأ العباس بن الوليد بقرب نهاية الدولة عندما عنف اخاه يزيد وحذره من آثار الفتن حين رآه متطلعا الى الخلافة ، راغبا فى الانتفاض على الوليد ، واغلظ له القول ، ثم تمثل قائلا :
انى اعيذكم بالله من فتن ... مثل الجبال، تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستك ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتبقرن بايديكم بطونكم ... فثم لا حسرة تغنى ولا جزع
- كامل كيلانى ، مصارع الخلفاء ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

٦) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

٧) نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

٨) سمى يزيد بن الوليد بالناقص ، لانه نقص من اعطيات أهل الحجاز وقيل ان الذى اطلق عليه هذا الاسم ، هو مروان بن محمد،عندما شتمه وقال : الناقص بن الوليد ، فسماه الناس الناقص .
- ابن طباطبا ، ص ١٣٦ .
- الطبرى ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .

٩) ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

بخراسان وخرج على واليها نصر بن سيار كل من الحارث بن سريج، وجديع ابن الكرماني[١٠] ، وما ان استطاع نصر بن سيار الخلاص من الحارث والاستعداد لمجابهة ابن الكرماني ، حتى كانت دعوة أبي مسلم الخراساني لابراهيم بن محمد ، قد اتسع نطاقها ، وبات نجاحها وشيك الوقوع ،لكثرة من معه ومن تبعه ، مما ارغم نصر بن سيار على أن يرسل التحذير تلو التحذير الى مروان بن محمد ، طالبا منه النجدة والمساعدة ، ولعل احدا لا يجهل ابياته الصادقة التي ختم بها احدى كتبه الى الخليفة[١١] الا أن رد الخليفة كان مخيبا للآمال[١٢] ، فحاول الاستعانة بوالي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة[١٣] ، فكان رده لا يقل سلبية عن رد الخليفة .

واستطاع ابو مسلم الخراساني دخول مرو عام (١٣٠ هـ - ٧٤٧ هـ) ونزل دار الامارة في وقت كان نصر بن سيار ، قد غادرها هاربا الى أن مات بساوة بالقرب من همذان في ربيع الاول عام (١٣١هـ - ٧٤٨م)[١٤] .

اما ابراهيم بن محمد فقد سارع بارسال قحطبة بن شبيب[١٥] ،بعد ان عقد له اللواء للحاق بابي مسلم ، فما أن قدم اليه حتى ضم اليه

---

١٠) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ص ٤٤٢ ، ٤٥٩ .

١١) ارى خلل الرماد وميض نار .. ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى .. وان الحرب اولها الكلام
اقول من التعجب ليت شعري .. ايقاظ امية أم نيام
- كامل كيلاني ، ص ٧٥ ابن قتيبة الدينوري ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ - ابن طباطبا ، ص ١٤٤ ، الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٦٩ .

١٢) كان رد الخليفة على كتاب مروان (ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قبلك .
الطبري، جـ ٧، ص ٣٦٩، ابن قتيبة الدينوري ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

١٣) كان رد يزيد بن عمر بن هبيرة (لا غلبة الا بكثرة ، وليس عندي رجل) . المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب جـ ٣، ص ٢٥٥ ، الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٦٩ .

١٤) رزق الله منقريوس ، تاريخ دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

١٥) قحطبة بن شبيب الطائي ، قائد شجاع من ذوي الرأي والشأن، صحب ابا مسلم الخراساني ، واشترك معه في اقامة الدعوة الاسلامية في خراسان ، وكان احد النقباء الاثني عشر ، الذين اختارهم محمد بن علي ، ممن استجاب له في خراسان عام (١٠٣هـ - ٧٢١م) ، غرق في الفرات ، على اثر وقعة له مع ابن هبيرة .
- خير الدين الزركلي ، الاعلام ، جـ ٢ ، ص ٧٩١ .

الجيش ، وجعل له العزل والاستعمال ، وكتب الى الجنود بالسمع والطاعة[١٦] ثم ان قحطبة بن شبيب وجه أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ، ومالك بن طريف[١٧] ، فى أربعة آلاف الى شهر زور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد ، فنزلا على مقربة من المدينة ، واستطاعا قتل عثمان بن سفيان فى ذى الحجة عام (١٣٢ هـ - ٧٤٩ م) ، بعد أن قتل العديد من اصحابه ، وغنم عسكره ، ولما علم قحطبة بهذا النصر ارسل اليهم مددا ، حتى بلغ تعداد جيشه ، ثلاثون ألف مقاتل ، وما أن علم مروان بن محمد بذلك وهو بحران ، تجهز لقتال أبى عون وقواته[١٨] .

* * * ° * * *

هزيمة مروان بن محمد
فى معركة الزاب الكبرى
(١٣٢ هـ - ٧٤٩ م)

أقبل مروان بن محمد من حران فى مائة وعشرون ألفا من أهل الشام والجزيرة ونزل فى مكان يدعى بلوى ، ثم أتى رأس العين ، ثم أتى الموصل ، فنزل فى موقع حصين قرب الزاب[١٩] ، وحفر خندقا ، وسار أبو عون عبد الملك الى الزاب ، فى وقت كان ابو سلمة قد وجه اليه ، عيينة بن موسى ، والمنهال ابن قتان ، واسحاق بن طلحة فى تسعة آلاف ، وارسل ابو العباس عند ظهوره سلمة بن محمد ، وعبدالله الطائى ، وعبد الحميد بن ربعى الطائى ، ووداس بن نضلة ، فى ستة آلاف أخرى ثم سير العباس عمه عبد الله بن على للحاق بتلك القوات ،

---

١٦) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٨٨ ، ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

١٧) يذكر ابن الاثير ان اسمه مالك بن طريفة .
- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن ، الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ص ١٦٢ .

١٨) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٠٩ ، ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .

١٩) الزاب الاعلى : بين الموصل واربيل ، وهو حد ما بين اذربيجان وباغيس ، وهو ما بين قطينا والموصل ، من عين فى رأس جبل ينحدر الى واد ، وهو شديد الحمرة ، ويجرى فى جبال واودية ، يسمى بالزاب المجنون لشدة جريه .
- ياقوت الحموى ، شهاب الدين بن عبد الله ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .

وعند وصوله ترك له أبو عون القيادة ، ودارت معركة طاحنة بين الطرفين، حاول فى اثنائها مروان بن محمد موادعة عبد الله بن على ، الا أنه أبى ذلك ، واشتد القتال ، فصار مروان اذا امر طائفة من جنده بشىء ، قالوا : قل للطائفة الاخرى ، ولما رأى مروان تخاذل اصحابه ، حاول اغراءهم بالمال فانكبوا اليه ، ولم يعيروا القتال اهتماما ، حتى ان صاحب شرطته رفض تنفيذ اوامره ، بل واغلظ له القول[٢٠] .

وخسر مروان بن محمد المعركة التى استمرت حوالى عشرة ايام بعد ان ارتكب خطأ كبيرا[٢١] ، بعبوره الى الساحل الايسر من الزاب الكبير، ففقد سيطرته وموقعه الحصين[٢٢] ، وانسحب باتجاه الموصل التى اغلقت ابوابها فى وجهه[٢٣] ، واضطر للانسحاب نحو الشام ، وكتب عبد الله بن على الى الخليفة ابى العباس بالفتح ، فلما اتاه الكتاب صلى ركعتين ثم قال : (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر) الى قوله تعالى (وعلمه مما يشاء)[٢٤] .

ثم امر بمنح كل مقاتل اشترك فى المعركة خمسمائة درهم ، وزاد راتبه الى ثمانين درهما[٢٥] .

وكانت هزيمة مروان تلك فى صبيحة السبت ١١ جمادى الآخرة عام (١٣٢ هـ - ٢٥ يناير ٧٤٩ م) فى معركة شبيهة بالقادسية فى شدتها ، وكان الظفر للخرسانيين على العرب ، وبهذا الظفر استرد الفرس مكانتهم كمحاربين أشداء ، وبالغ بعضهم فقالوا ، ان وقعة الزاب ، كانت ردا على القادسية[٢٦] .

---

٢٠) ابن طباطبا ، ص ٤٧ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٤ .
٢١) د. فاروق عمر فوزى ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢١١ .
٢٢) كان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل ، فكان من بين الغرقى ، ابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك ، علاوة على ثلثمائة اخرين ، ومن القتلى سعيد بن هشام بن عبد الملك وتلا عبد الله بن على اثر ذلك (واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون) سورة البقرة ، آية ٥٥ .
- ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٤ ، المسعودى ج ٣ ، ص ٢٦١ .
٢٣) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧١ ، المسعودى ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .
٢٤) سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .
٢٥) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٥ .
٢٦) د.حسن احمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٦٦ .

قتل مروان بن محمد بن مروان
ابن الحكم
(١٣٢ هـ - ٧٤٩ م)

وما أن ايقن مروان رفض أهل الموصل استقباله ومعايرتهم ايـــ بالفرار[٢٧] ، سار فعبر دجلة عائدا الى حران وعليها ابن أخيه أبـ ابن يزيد بن محمد بن مروان ، فاقام بها نيفا وعشرين يوما[٢٨] فلم دنا منه عبد الله بن على ، مضى باسرته منهزما ، تاركا حران لابـــ اخيه أبان الذى كان ختنا لابنته ام عثمان ، وما ان وصل عبد اللـــ ابن على اليها ، حتى تلقاه ابان مبايعا داخلا فى طاعته ، فامنه وم كان بحران والجزيرة[٢٩] ومضى مروان الى قنسرين وحمص فتلقاه اهلهـ فى بادىء الامر بالسمع والطاعة ، الا انهم وجدوه فى صحبة قليلـــة فقالوا : مرعوب منهزم [٣٠] ، فهاجموه بغية سلب مؤنه وارزاقه[٣١] فسار الى دمشق[٣٢] وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ، وهو ختـــ لمروان على ابنته ام الوليد ، ولما كان عبد الله بن على فى اثـــ لم يستطع البقاء فى دمشق كثيرا[٣٣] ، حيث انقسم الناس الى قسميـن بين مؤيد للامويين ، ومعارض لهم ، حيث اقسمت بعض القبائل اليمانـ يمين الولاء لبنى هاشم[٣٤] ، وما ان قدم عبد الله بن مروان بن علـ دمشق ، حتى حاصرها اياما ، ثم فتحت المدينة عنوة ، وقتل الوليـــ بن معاوية واليها فيمن قتل[٣٥] وسار مروان الى الاردن ، وعليهـــ عامله ثعلبة بن سلامة العاملى فشخص بصحبته تاركا المدينة بـــلا و عليها ، وقدما الى فلسطين ، وعليها من قبله الرماحس بن عبد العزيز فشخص به معه ، ومضى حتى قدم مصر[٣٦] ، اما عبد الله بن على الـــد

---

٢٧) ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٧١ .
٢٨) الطبـــرى : جـ ٧ ، ص ٤٣٨ .
٢٩) ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٧٢ .
٣٠) الطبـــرى : جـ ٧ ، ص ٤٣٨ .
٣١) د. فاروق عمر ، ص ٢١٢ .
٣٢) ابن طباطبا ، ص ١٤٨ .
٣٣) ابن قتيبة الدينورى ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .
٣٤) المسعودى : جـ ٣ ، ص ٢٦١ .
٣٥) الطبـــرى : جـ ٣ ، ص ٢٦١ .
٣٦) ابن طباطبا ، ص ١٤٨ .

اقام فى دمشق خمسة عشر يوما ، فقد سار باتجاه فلسطين والاردن، فلقبه اهلها بالترحاب والمبايعة ، ثم أتى نهر أبى فطرس(٣٧) فجاءه هناك كتاب ابى العباس ، يأمره بارسال صالح بن على فى طلب مروان(٣٨) فسار صالح الى مصر برفقته ابو عون الازدى ، وابن فتان ، وعامر بن اسماعيل الحارثى وما ان وطئوا العريش ، وبلغ امرهم الى مروان حتى سارع بحرق ما كان حوله ، من علف وطعام ، وعبر النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ، ومضى صالح يتبعه حتى وجدوا خيلا لمروان فهزموهم ، واسروا منهم رجالا ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوا البعض الاخر(٤٠) ، فسألوهم عن موضع مروان فاخبروهم بمكانه ، على ان ويؤمنوهم (٤١) ، فساروا حتى وجدوه نازلا فى كنيسة بوصير(٤٢) ،وما ان احس مروان بذلك ، حتى عبأ اصحابه واهل بيته ، ثم حضهم على القتال ، مبينا لهم ان الجزع لا يزيد فى الاجل ، وان النصر لا ينقص الاجل ، وما ان هاجمته قوات صالح بن على حتى فر جنده ، ولم يبق حوله من اصحابه الا قدر الثلاثين(٤٣) فلم يقدروا على مقاومة مهاجميهم بالرغم من قلة عددهم .

وقتل مروان بن محمد ، وقضى على العديد من اصحابه فى آخر

---

٣٧) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

٣٨) ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

٣٩) ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد ، العقد الفريد ، ج ٣ ،ص ١٩٨
- فلهوزن ، ص ٥٢ .

٤٠) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٤١ .

٤١) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

٤٢) بوصير قوريدس : من كور البوصيرية ، ينسب اليها ابو القاسم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت بن غالب بن هاشم الخزرجى ، يرجع نسبه واصله الى المغرب من موضع يسمى المنستير(ت ٥٩٨هـ)
وهى اليوم ابو صير الملق مركزالواسطى - بنى سويف .
- ياقوت الحموى ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

٤٣) لما رأى مروان بن محمد قلة من بقى معه من جنوده قال :
ذل الحياة وهول الممات .. وكلا اراه وخيما وبيلا
فان كان لابد من ميتة .. فسيرى الى الموت سيرا جميلا

ابن قتيبة الدينورى ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

ذى الحجة عام (١٣٢ هـ - اغسطس ٧٤٩ م)[٤٤] ، وارسل برأسه وشارات الخلافة الى ابى العباس[٤٥] ، بصحبة يزيد بن هانىء[٤٦] ، ورجع صالح ابن على الى الفسطاط ، ثم انصرف الى الشام ، ودفع الغنائم الى ابى عون ، والسلاح والاموال والرقيق الى الفضل بن دينار ، وخلف ابا عون على مصر ، حيث كان هو القائد للحملة[٤٧] ، وكان ملك مروان الى ان بويع ابو العباس السفاح ، خمس سنين وشهرين وعشرة ايام ، ومن وقت ان بويع ابو العباس السفاح الى ان قتل ببوصير ، ثمانية اشهر ، فكانت مدة ايامه الى ان قتل خمس سنين وعشرة اشهر ، وعشرة ايام[٤٨] .

* * * * * * *

حصار واسط ومقتل ابى هبيرة
(١٣٢ هـ - ٧٤٩ م)

كان يزيد بن عمر بن هبيرة ، قد لجأ الى واسط ، فارا امام قوات قحطبة بن شبيب وابنه الحسن ، مصطحبا فلول جنده من أهل الشام[٤٩] ، ورفض النصيحة التى وجهت اليه ، بالهجوم على الكوفة أو اللحاق بمروان بن محمد ، وكان ابن قحطبة قائدا للجيش الخراسانى فى ذلك الميدان ، الا أن الخليفة ، رأى انه من الافضل ارسال عباسى لقيادة الجيش ، مع حرصه فى البداية ان يفهم القواد ، أن اشراك أهله ، نوع من الاشتراك التشريفى ، فنراه قد كتب الى الحسن بن قحطبة حين وجه اخاه أبا جعفر اليه[٥٠] (ان العسكر عسكرك ولكن

---

٤٤) قتله رجل من اهل الكوفة ، يقال له محمد بن شهاب المازنى حيث طعنه فى خاصرته ، ثم نزل اليه غلام محمد بن شهاب فاحتز رأسه ويقال ان قاتله هذا كان يبيع الرمان فى الكوفة .
- الكوفى ، ابو محمد احمد بن اعثم ، الفتوح ، جـ ٨ ، ص ١٩٩ .

٤٥) لما حمل رأس مروان الى الكوفة ، ورآه ابو العباس ، رفع رأسه وقال : " الحمد لله الذى اظهرنى عليك ، واظفرنى بك ، ولم يبق ثأرى قبلك . وتمثل :
لو يشربون دمى لم يرو شاربهم .. ولا دماؤهم للغيظ ترويني
- ابن طباطبا ، ص ١٤٨ ، ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ .

٤٦) الطبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٤٢ ، رزق الله منقريوس ، جـ ١ ، ص ٧٨ .

٤٧) ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ .

٤٨) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ .

٤٩) ابن عبد ربه ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ .

٥٠) الكوفى ، جـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، د. حسن احمد محمود ، ص ٦٥ .

أحببت أن يكون أخي حاضرا ، فاسمع له وأطع ، واحسن موءازرته) .

وكتب الى ابى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ، وكان قد قدم من سجستان للانضمام الى قواد الحسن[٥١] ، وما ان قدم ابو جعفر واسطا حتى تخلى له الحسن عن القيادة ، اما جيش ابن هبيرة ، فكان كبيرا ومكونا من جند الشام الموجود بالعراق ، ومن أهل خراسان الموالين لبنى امية من أهل العراق اليمانيين والقيسيين ، وكان من بين قياداته ، قواد على كفاءة عالية مثل ، معن بن زائدة الشيبانى[٥٢] ، وحوثرة بن سهل[٥٣] وزياد بن صالح الحارثى وغيرهم[٥٤] ، على ان ضعف ابن هبيرة كان بارزا ، يتمثل فى العصبية القبلية التى ثارت فى وجهه فشلت حركته ، ولذلك لم يصمد معه على القتال الا المعاليك والفتيان[٥٥] .

---

٥١) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٧ .
- ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

٥٢) معن بن زائدة : كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج . قيل انه اتاه رجلا يسأله ان يحمله ، فقال ياغلام : اعطه فرسا وبرذونا ونعلا وبعيرا وجارية ، وقال لو عرفت مركوبا غير هوءلاء لاعطيتك .
- ابن عبد ربه ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

٥٣) حوثرة بن سهل الباهلى ، ولى مصر فى عهد مروان بن محمد عام (١٢٨ هـ - ٧٤٥ م) واصله من قنسرين ، كان فصيح اللسان، سفاكا للدماء ، وفى عام (١٣١ هـ - ٧٤٨ م) ارسله مروان مددا ليزيد ابن المهلب بالعراق فجعله يزيد على مقدمة جيشه ، فقاتل اشياع العباسيين ، الى ان استسلم ابن هبيرة بعد مقتل مروان بن محمد فاستسلم حوثرة معه ، فقتلهما الخليفة السفاح العباسى .
- الزركلى ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

٥٤) زياد بن صالح الحارثى : من امراء آل مروان ، كان واليا على الكوفة عند ظهور العباسيين فى خراسان والعراق ، ولما عظم امرهم خرج برجاله الى الشام عام (١٣٢ هـ - ٧٤٩ م) فاقام حتى انتظم الامر لبنى العباس فخرج عليهم فيما وراء النهر ، وتبعه جمع كبير من انصار الامويين ، فلما جد ابو مسلم فى طلبه ، لجأ الى دهقان ، فقتله الدهقان وحمل رأسه الى ابى مسلم .
- الزركلى ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

٥٥) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٤ .
- ابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

وضرب الحصار حول واسط التى قاومت احد عشر شهرا ، لم يفكر فيها ابن هبيرة فى الاستسلام ، حتى سمع نبأ نهاية مروان ، فلم يكن هناك مبرر ا للمقاومة ، فجرت محادثات للصلح ، اعطى فيها ابو جعفر امانا لابن هبيرة (٥٦) ، شاور فيه الفقهاء والعلماء اربعين يوما ، حتى يرى نقاط القوة والضعف فيه ثم انفذه الى ابى جعفر ، فانفذه ابو جعفر الى ابى العباس ، فأمره بتوقيعه ، وكان رأى أبو جعفر الوفاء له بما أعطاه (٥٧) ، وكان ابو العباس لا يقطع امرا دون أبى مسلم ، وكان ابو الجهم بن عطية ، عين ابى مسلم على ابى العباس ، فكان يكتب اليه الاخبار (٥٨) ، فكتب أبو مسلم الى أبى العباس :

---

٥٦) بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على بن جعفر ، اخى أمير المؤمنين ابى العباس ، الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومن معه من اهل الشام والعراق ، وغيرهم فى مدينة واسط وارضها ، من المسلمين والمعاهدين ، ومن معهم من نسائهم واولادهم ومواليهم وعبيدهم ، انى قد آمنتكم على انفسكم أمان الله الذى لا اله الا هو ، الذى يعلم من سرائر العباد ما يعلم من علانيتهم ، امانا صادقا لا يصيبه غش ، ولا يخالطه باطل وقد اعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، عهدا خالصا مؤكدا وذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة انبيائه المرسلين وملائكته المقربين ، وهذا الامان لك يا يزيد ولاصحابك ولمن نحا اليك من قوادك ووزرائك وشيعتك ، فانت وهم آمنون بامان الله ، لا يؤخذون بذنب ولا زلة ، ولا بجريرة ولا بجرم ، ولا بجناية فى سفك دم تعمدا ولا خطأ ، ولا بامر سلف منكم ، يا زيد بن عمر ،وقد اذنت لك بالمقام فى مدينة واسط ان شئت ، ثم سر عنها اذا شئت ، انت ومن معك بدواب وسلاح ، ولا تخاف عدوا سهلا وبرا وبحرا ، ولا ينالك امرا تخافه فى ساعة من ليل او نهار ، ولا ادخل فى أمانى هذا غشا ولا خديعة ولا مكرا،ولايكون من اليك ومن ذلك دسيسة مما تخاف ، من مطعم ومشرب أو لباس ، وقد اذنت لك ولاصحابك يا زيد بالدخول الى عسكرى من أى وقت احببته الى وقت رحيلكم من مدينة واسط ، فان نقض عبد الله بن محمد بن على ، فاجعل لك ولاصحابك ولشيعتك من امنتكم هذه ، فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وعليه من المحرجات الايمان المغلظة والله شاهد عليه بما اكد على نفسه من هذه الايمان ، وكفى بالله وكيلا وشاهدا وكفيلا والسلام .
- الكوفى ، ج ٨ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
- ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

٥٧) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٤ .
- فلهوزن ، ص ٥٢١ .

٥٨) ابن قتيبة الدينورى ، ج ٧ ، ص ١٥٥ .

(ان الطريق السهل اذا القيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة)[٥٩] .

ويظهر ان الخليفة رأى فى ابن هبيرة ، خطرا على الدولة الجديدة ووافقه على ذلك ابو مسلم ، ولذلك كان الخلاص منه ، فاختاروا لتلك المهمة رجلا من قومه من مضر ، حتى تتفرق كلمتهم عند ذلك ، فضربه الهيثم بن شعبة فى مقتل فصرعه[٦٠] وقتل معه ابنه داود ، وكاتبه عمرو بن ايوب ، وحاجبه ، وعدة من مواليه ، وقتل من قواده محمد ابن شباتة ، وحوثرة بن سهيل[٦١] ، وامر ابو العباس ، برأس ابن هبيرة ، فوضع فى الحيرة على خشبة ومعه غيره من اعوانه ومن عمال مروان[٦٢] ، وبمقتلهم قضى العباسيون على جيب آخر من الجيوب الاموية فى العراق ، وسقطت مدينة واسط ، كما أفل نجم أهل الشام ، الذين كانوا قبل ذلك ، قد قادوا مروان بن محمد الذى كان مكروها لديهم الى مصيره المحتوم ، وهم الذين لم يهبوا لمقاتلة بنى العباس قبل فوات الوقت المناسب ، ولم يستطيعوا تغيير الموقف ، فانتصر السواد ، وفقد البياض ملكه ، وانتقل مقر الحكومة من دمشق الى الكوفة ثم انتقل بعد ذلك الى بغداد ، واستعادت العراق سيادتها التى كانت لها ايام على بن ابى طالب ، وفقدت بلاد الشام سيادتها .

وهكذا كان مصير بنى أمية ، لم ينج منهم الا رضيع او هارب حتى موتاهم لم ينجوا من نبش قبورهم ، فنبشت قبور الخلفاء وغيرهم من بنى امية ، فى دمشق ودابق والرصافة وقنسرين وغيرها من الاماكن ، واحرقت جثثهم بالنار ، وقد صب بنو العباس جام غضبهم ، على هشام ابن عبد الملك ، حيث ان هشاما[٦٣] ، كان قد ضرب على بن عبد الله ابن العباس ستين سوطا ، فلما جاء ابنه عبد الله بن على ، ثأر لابيه ، فنبش قبر هشام ، ولم يكن قد مضى على وفاته وقت طويل ،

---

٥٩) الطبرى ، ج ٧، ص ٤٥٤ .
٦٠) ابو الفدا ، الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٨ .
٦١) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٦ .
٦٢) ابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
٦٣) فلهورن ، ص ٥٢٣ .

فأخرج جثته ، وضربها بالسوط وامر بصلبها ، ثم حرقت بعد ذلك ،واذرى رمادها فى الريح ، وكذلك استصفى عبد الله بن على أموالهم ، وكذلك فعل أقارب أبى العباس الذين ولاهم على الولايات الكبرى[٦٤] .

* * * *

---

٦٤) د. حسن محمود ، ص ٦٧ .

المصــــادر :

القرآن الكريــــم .

١) ابن الاثيـــــر : عز الدين ابو الحسن بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ)
الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م

٢) ابن طباطبـــا : محمد بن على (ت ٧٠٥ هـ)
تاريخ الدولة الاسلامية بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٣) الطبــــــرى : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل و الملوك ، دار المعارف القاهـرة
١٣٤٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٤) ابن عبد ربــه : ابو عمر احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) .
العقد الفريد ، القاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

٥) ابو الفـــدا ، الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)
البداية و النهارية ، القاهرة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م

٦) ابن قتيبـــة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
الامامة و السياسة ، القاهرة ١٣٢١هـ - ١٩٥٧ م

٧) الكوفــــــى ، احمد بن اعثم الكوفى (ت ٣٦٤ هـ)
الفتوح ، بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م .

٨) المسعـــــودى ، ابو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م .

٩) ياقوت الحموى ، شهاب الدين بم عبد الله ياقوت
معجم البلدان ، القاهرة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

المراجـــع :

١) د. حسن احمد محمـــود :
العالم الاسلامى فى العصر العباس ، القاهـــرة
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٢) خير الدين الزركلــى :
الاعلام ، القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م .

٣) رزق الله منقريوس الصرفى :
تاريخ دول الاسلام ، القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

٤) د. فاروق عمر فوزى :
طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
٥) كامل كيـــــلانى :
مصارع الخلفاء ، القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٤ م .
٦) يوليوس فلهـــوزن :
تاريخ الدولة العربية ، ترجمة د. محمد عبد الهادى ابو ريدة و د. حسين موءنس ، القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٤ م .



" رسم تخطيطى لمواقع القوات الأموية والعباسية قبل موقعة الزاب الحاسمة "

أضواء على تاريخ العمارة الدينية فى عصر بنى رسول باليمن

د. مصطفى عبد الله شيحة
كلية الآثار - جامعة القاهرة

يعد عصر دولة بنى رسول[1] فى اليمن (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) من أزهى عصور العمارة والفنون الزخرفية فى اليمن ، نظرا لما ساد عصر هذه الدولة من استقرار سياسى ورخاء اقتصادى انعكست آثاره خاصة فى مجال العمارة الدينية فى جنوب اليمن . كذلك ساعدت عوامل عديدة اخرى على كثرة العمائر الدينية فى عصر هذه الدولة ، نذكر منها ما كان عليه سلاطينها وملوكها من فكر وثقافة ودراية كبيرة بالعلوم الدينية وكثير من فروع العلوم الاخرى ، يشهد بذلك ما خلفه الكثير منهم من مصنفات دينية وعلمية ، كما شهد هذا العصر علاقات ودية طيبة سادت بين سلاطين هذه الدولة وبين خلفاء الدولة العباسية واغلب سلاطين دولة المماليك فى مصر مما كان له أثر كبير فى وجود صلات فنية متبادلة ، وضح أثرها على العمائر الدينية فى جنوب اليمن ، كما كان أيضا لكثرة التحف المهداة من سلاطين المماليك فى مصر الى سلاطين دولة بنى رسول[2] ، أثرها الواضح على المنتجات الفنية التى تنسب الى عصر هذه الدولة[3] .

---

١) ورث بنو رسول ملك اليمن عن الايوبيين ، اذ كان نوابهم عليها ، فى عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل ، وقد سميت بالدولة الرسولية ، نسبة الى محمد بن هارون الملقب برسول الخليفة العباسى ، وذلك لحمله الرسائل من الخليفة الى الشام ومصر لثقته فيه . هذا وقد اختلف فى اصل نسبهم بين الاصل اليمنى والتركمانى والغسانى .
انظر : عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الاصحاب فى معرفة الانساب ، تحقيق :ك .و. سترستين ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٢٩- ٣١ ، وجيه الدين الحبيشى : تاريخ وصاب : الاعتبار فى التواريخ والاثار ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الاولى ١٩٧٩ ، ص ١١٢ ، محمد عبد العال احمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ،القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٩ - ٥٦ .

٢) موءلف مجهول : تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٩٣، ١٦٩، ١٧٥، ١٨٦ .

٣) مصطفى عبدالله شيحة : مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية فى الجمهورية اليمنية ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٢٧ - ١٣٤ .

ولقد كان من بين اسباب ازدهار العمارة الدينية فى عصر هذه الدولة التى تمركزت فى جنوب اليمن طبيعة مذهبها السنى ، خاصة مذهب الامام الشافعى ، بينما انتشر المذهب الزيدى فى شمال اليمن اعتبارا من قدوم الامام الهادى يحيى بن الحسين الى مدينة صعدة عام ٢٨٤ هـ ، حيث أسس دولة الائمة الزيدية (٤) والتى ظلت فى صراع مستمر طوال العصور الاسلامية المتتالية فى اليمن مع الدويلات الاخرى ذات المذهب السنى وهذا ما يجعلنا نعتقد فى غلبة نظام المدرسة كمنشأة تعليمية فى جنوب بلاد اليمن عن نظام المسجد فى شمال بلاد اليمن ، وان كان لكل منهما نفس الخصائص الدينية التى جرى اتباعها فى شمال وجنوب اليمن . ومن ثم فقد ازدانت مدينة تعز (٥) حاضرة هذه الدولة الجديدة بالعمائر الدينية على نطاق واسع ، بينما اكتظت مدينة زبيد (٦) بتلك العمائر حيث فاق عددها عمائر مدينة تعز ، وهو أمر طبيعى بالنسبة لزبيد التى اسست فى بداية القرن الثالث الهجرى منذ عصر الدولة الزيادية ، حيث كان للمذاهب السنية تأثيرها الواضح منذ البداية على هذه المدينة بالذات .

على أن العمائر الدينية فى عصر دولة بنى رسول لم يقتصر وجودها فى المدينتين السابقتين ، بل انتشرت فى كل ربوع مدن وقرى الجنوب ، بل وامتدت ايضا الى خارج بلاد اليمن ، خاصة مكة المشرفة .

---

٤) على بن محمد بن العباسى العلوى : سيرة يحيى بن الحسين، تحقيق سهيل ذكار ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٧ - ١٨ .

٥) تقع مدينة تعز على مسافة ٢٥٦ كم الى الجنوب من صنعاء ، وقد عرفت قديما باسم العدنية وسكنها الصليحيون ، ثم اتخذها بنى رسول حاضرة لدولتهم ، وكان يحيط بها سور قديم به اربع بوابات وتضم هذه المدينة آثار متنوعة كثيرة ترجع الى العصر الاسلامى . المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة صنعاء ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ، ص ١٠٧ .

٦) مدينة زبيد من امهات المدن اليمنية عامة وفى جنوب اليمن خاصة ، ولازالت تحتفظ بعدد كبير جدا من العمائر الدينية التى تسجل تاريخ هذه المدينة الدينى على مر العصور الاسلامية فقد كان قائما بها حوالى (٢٣٦) منشأة دينية ، اصبح بها حوالى (٨٠) منشأة دينية . انظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، تحقيق اسماعيل الاكوع ، الطبعة الاولى ١٩٨٤ ، جـ ١ ، ص ١٤٥ - ١٥٥ .

كذلك لم يقتصر الامر فى هذا العصر على ما قام به السلاطين والامراء من تشييد العمائر الدينية ، وانما كان لاهل بيت السلاطين وامراء هذا العصر ، دورهم الآخر فى حركة البناء ، كما كان لخدمهم ايضا دورهم الملحوظ فى هذا الشأن ، فضلا عما قام به وجوه القوم واثرياء المجتمع الرسولى بانشاء وتجديد كثير من المنشآت الدينية الاخرى فى مدن جنوب اليمن .

على ان العديد من منشآت الدولة الرسولية قد اندثر ، منها ما كان بفعل الزمن من تقادم واهمال بحيث دب الخراب الى البعض منها ، فتساقطت المبانى وتداعت ولم تطلها يد التجديد والرعاية حتى الان، وان كان ما بقى من عمائرهم الدينية يعطى صورة واضحة لطراز عمائر هذا العصر ، فضلا عن الاسلوب الزخرفى المتبع عليها .

والواقع ان هذا البحث يتعرض الى الجانب التاريخى للمنشآت الدينية فى عصر هذه الدولة ، من خلال دور السلاطين واهل بيتهم وافراد المجتمع الرسولى من ذوى اليسار فى المنشآت الدينية ، وفق ما ورد عنها فى بعض المصادر التاريخية التى تتعلق بعصر دولة بنى رسول ، مع الاشارة الى جانب من نظام الوقف الذى صاحب هذه العمائر الدينية ، وادى الى استمرار رعاية الكثير منها خلال العصور المتلاحقة ، وذلك من خلال الاشارة الى بعض نصوص الوثائق بايجاز ، ثم استخلاص بعض السمات المتعلقة بطبيعة منشآت هذا العصر من الناحية المعمارية من حيث تعدد المبانى داخل المنشأة الواحدة وعلاقة ذلك بالتخطيط المعمارى ، مع مقارنة المدرسة اليمنية بغيرها من المدارس الاسلامية خارج بلاد اليمن ، وذلك بايجاز ايضا .

أولا - دور السلاطين وافراد المجتمع الرسولى فى العمائر الدينية :

لقد كان للسلطان الملك عمر بن على بن رسول اول ملوك هذه الدولة (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤٩ م) اول دور هام فى تأسيس المنشآت الدينية فى بدء قيام دولته ، رغم ما كان له من جهد كبير فى تثبيت نفوذ الدولة الجديد فى جنوب اليمن ، بقصد بدعم المذهب السنى ، بل ونشره فى ارجاء اليمن ، وقد اتخذ الملك عمر بن رسول مدينة تعز حاضرة لدولته الجديدة ، وبدأ عصره بالتركيز على

بناء المدارس[٧] فبنى فى مدينة زبيد مدرستان : المنصورية العليا لاصحاب المذهب الشافعى ، والمنصورية السفلى التى جعلها على قسمين: احدهما لاصحاب ابى حنفة والقسم الآخر لاصحاب الحديث ، ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا الملك كان فى بداية امره على مذهب الامام أبى حنفة ، ثم انتقل بعد ذلك الى مذهب الامام الشافعى ، كما انشأ ايضا المدرسة الوزيرية قرب حصن مدينة تعز ، ودرس هو بنفسه فيها على احد علماء عصره ، كما يعزى اليه ايضا بناء المدرسة الغرابية فى مدينة تعز ايضا على اسم موءذنها عبد الله بن غراب[٨] ، وكذلك المدرسة المنصورية بمدينة الجند[٩] وايضا المنصورية فى وادى سهام بشمال مدينة زبيد ومدرسة اخرى بعدن ، اضافة الى انشاء مدرسة بمكة المشرفة ، تمت عمارتها على يد الامير اياس فى عام ١٤١هـ.[١٠]

ويتضح من هذا العدد الكبير الذى قام بانشائه الملك المنصور عمر ، جهده الكبير فى بناء المدارس الاسلامية فى مدن جنوب اليمن وهى منطقة نفوذ الدولة الرسولية ، وقد بدأ باستخدام نظام المدرسة كمنشأة تعليمية جديدة فى اليمن ، وكان قد عرف طرازها من قبل بوقت قليل خلال فترة حكم الدولة الايوبية فى اليمن ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان الرسوليون هم ورثة بنى ايوب فى حكمهم لليمن فساروا على نفس الشىء ، بل و المذهب السنى الشافعى ٠

---

٧) انظر عن نشأة المدارس وتخطيطها :
عباس حلمى كامل : المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الاثرية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة السنة الثالثة ، العدد الثالث ، ١٣٩٨هـ
وحسن الباشا : دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، تونس ١٩٨٧ ٠
- Creswell,K.A. The origin of the cruciform plan of cairne Madarasas.

٨) عبد الرحمن بن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى اخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٩٠ ٠
الخزرجى : العقود اللوءلوءية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد الاكوع ، الطبعة الاولى ، ج ١ ، ص ٥٦ ٠

٩) تقع مدينة الجند الى الشمال الشرقى من مدينة تعز بحوالى (٢٢ كم) وبها جامع الجند من المساجد الاولى فى بلاد اليمن ٠

١٠) محمد بن اسماعيل الكبسى : اللطائف السنية فى اخبار الممالك اليمنية ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ص ٨٠ ٠

ونعتقد بأن ما اتبعه أول سلاطين هذه الدولة ، ثم ما سار عليه بعد ذلك ملوكها فى ارساء نظام المدارس وغلبته على نظام المساجد ، كان من شأنه الاستفادة من تجربة الايوبيين فى مصر والشام من حيث تثبيت قوتهم والقضاء أو على الاقل فى مواجهة مذاهب الشيعة الاخرى والتى كان من بينها المذهب الزيدى الرئيسى فى اليمن .

ورغم ذلك فان نفس هذا الملك لم يغفل فى الوقت نفسه انشاء المساجد بتخطيطها المعمارى المعروف ، فقد انشأ المسجد النورى[11] ، بل وكان له دوره الآخر فى مجال المنشآت الدفاعية والمدنية ، على اعتبار انه قد وضع الاساس المعمارى فى عصر هذه الدولة ، التى استمر حكمها بعده لاكثر من قرنين من الزمان .

على أن الامر لم يقتصر فى عهده على ما أمر به وحده من منشآت دينية على الاخص ، وانما امتد الامر ليشمل اهل بيته ووزرائه وحاشيته فى تشييد العمائر الدينية ، ومن ذلك على سبيل المثال ما اشار اليه المؤرخ ابن الديبع من ان ام ولده السلطان الملك المظفر انشأت المدرسة السيفية بزبيد ، كما انشأت اخته الملقبة بالدار النجمى[12] المدرسة النجمية فى مدينة جبلة[13] ، على اسم زوجها الامير نجم الدين بن ابى بكر ، واقامت ايضا المدرسة الشهابية على اسم اخيها شرف الدين موسى ، فضلا عما كان لبعض وصيفاتها وافراد حاشيتها من دور آخر فى بناء المدارس فى جنوب اليمن[14] .

لقد وضع الملك المنصور عمر بن على بن رسول اساس النهضة المعمارية الدينية فى جنوب بلاد اليمن ، وواصل من بعده ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر ما ارساه والده فى هذا المجال ، خاصة وانه

---

(١١) يقع هذا المسجد بين مدينتى زبيد وحيس ، وجعل فيه اماما ومؤذنا وقد سمى بالمسجد النورى نسبة اليه . انظر : ابن الديبع الفضل المزيد ، ص ٩٠ .

(١٢) الدار من القاب النساء ، دلالة على عدم التصريح باسمها وصونا لملازمتها الدار ، وقد لقب به اميرات البيت المالك . انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(١٣) تقدع مدينة جبلة جنوب غرب مدينة اب اليمنية نحو الى ٧ كم ، وكانت هذه المدينة عاصمة الدولة الصليحية باليمن .

(١٤) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٠ .

حكم فترة طويلة من عصر هذه الدولة ، بلغت ما يقارب سبعة واربعين عاما (٦٤٧ - ٦٩٤ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٩٥ م) حفلت بالعديد من المنشآت الدينية التى انتشرت فى مدن وقرى عديدة ، تمكن من الاستيلاء عليها وخضعت بالتالى لسلطانه [١٥] حتى وصف هذا الملك بانه كان اعظم ملوك بنى رسول مملكة ولقب بالتبع الاكبر [١٦] .

قام هذا الملك ببناء العديد من العمائر الدينية التى بقى بعضها واندثر الآخر ومن امثلة منشآته جامع المظفرية بمدينة تعز والذى يطلق عليه ايضا المدرسة المظفرية وانشأ مسجدا آخرا فى غرب مدينة تعز وجامعا كبيرا فى مدينة ذى عدينة والحق به دار الضيف ، اضافة الى خانقاه فى قرية حيس والجامع المظفرى بمدينة المهجم [١٧] وجامع المحالب [١٨] . ويلاحظ ان هذا الملك كان دوره واضحا فى بنائه للمساجد او الجوامع ، اكثر من بناء والده ، وربما كان الغرض من ذلك احداثه لنوع من التوازن فى المنشآت الدينية المتمثلة فى عمارة المدارس والمساجد ، خاصة وان هذه الدولة كانت لا تزال حديثة العهد فى انشاء المدارس ، كما يعزى اليه ايضا انشاء منبر الحديث بجامع الاشاعر بزبيد [١٩] ، على اعتبار انه احد العناصر المعمارية الهامة فى عمارة المسجد ، كما انه نصب ايضا منبرا فى مسجد الرسول (ص) فى عام ٦٥٦ هـ ، يذكر عنه المؤرخ الحبيشى قوله : " عمل منبرا لمسجد الرسول (ص) رمنتاه من الصندل وارسل به الى هناك سنة ٦٥٦هـ، فنصب فى موضع منبر النبى (ص) وبقى عشر سنين يخطب عليه ، وهو موجود الى الآن فى جانب الحرم الشريف [٢٠]" .

---

١٥) تارج الدين عبد الباقى اليمانى : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازى ، صنعاء ، ص ٨٩ .
١٦) وجيه الدين الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ١١٦ - ١١٧ - الكبسى : اللطائف السنية ص ٩٢ .
١٧) المهجم : مدينة اثرية قديمة ، قريبة من مدينة زبيد ، تهدمت فى القرن الثانى عشر / ١٨ م .
١٨) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩١ .
١٩) المقداد : جامع الاشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر ، تحقيق عبد الرحمن الحضرمى ، مجلة الاكليل ، العددان ٣ ، ٤ ، ١٩٨١ ، ص ١١٨ ، مصطفى شيحة مدخل ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، لوحة ٨١ أ ، ب .
٢٠) الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ١١٧ .

والواقع ان فترة حكم الملك المظفر ، كانت من ازهى عصور الانشاء الدينى المعمارى فى اليمن ، ساعد عليها ايضا ، ما تمتع هو به من علم ، حتى انه اشتهر بالتفوق فى العلوم الدينية من امامة وعلم وفقه وقد خلف العديد من المصنفات الدينية وغيرها فى فروع العلوم الاخرى ، وكان يوءثر عنه قوله " لابارك الله فى وال فى رعيته من هو اعلم منه "(٢١) .

ومثلما كان له من دور كبير فى اقامة المنشآت الدينية فى عصره ، كان ايضا لاهل بيته وحاشيته ووجوه القوم ، دورهم الآخر فى البناء ، فعلى سبيل المثال اقامت زوجته وام ولده الملك الواثق المدرسة الاسدية فى تعز وانشأت ابنته نبيلة المدرسة الاشرفية بزبيد، وابتنت اخته الملقبة بالدار الشمسية مدرسة فى ذى عدنية والمدرسة الشمسية ايضا فى مدينة زبيد وعمرت ابنته ماء السماء المدرسة الواثقية فى مدينة زبيد (المدرسة النورية) ، كما اقامت زوجته الحرة مريم مدرستان احداهما بمدينة تعز والاخرى بمدينة زبيد(٢٢)، وشيد خادمه المعروف بتاج الدين المظفرى ثلاث مدارس ، كانت احدهما للمذهب الشافعى والثانية للقراءات السبع والثالثة للحديث الشريف(٢٣) .

وحين ولى الحكم الملك الاشرف الاول عمر بن يوسف بن رسول (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ - ١٢٩٧ م) ، بنى له مدرسة فى مدينة تعز ، عرفت بالمدرسة الاشرفية ، وان كان قد بدأ فى انشائها فى عهد والده الملك المظفر ، واجرى لها الماء من جبل صبر ، وجعل فيها بركة ومطاهير ، ورتب فيها اساتذة ودرسة يتعلمون(٢٤) .

كذلك قام الملك الموءيد داود بن يوسف (٦٩٦ - ٧٢١ هـ /١٢٩٧- ١٣٣١ م) بانشاء وتجديد بعض المدارس اليمنية ، فاليه تنسب عمارة المدرسة الموءيدية بتعز وتجديد بعض المنشآت الاخرى،

---

٢١) المصدر السابق ، ص ١١٧ .
٢٢) الاكوع : المدارس ، ص ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٢ .
٢٣) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩١ .
٢٤) الخزرجى : العقود اللوءلوءية فى تاريخ الدولة الرسولية تحقيق محمد الاكوع ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

وان تركز جهده فى مجال العمائر المدنية فى اليمن[٢٥] .

هذا وبعد عصر الملك المجاهد على بن المؤيد (٧٢١ - ٧٦٤هـ / ١٣٣١ - ١٣٦٣ م) من اهم الفترات المزدهرة فى انشاء العمائر الدينية فى عصر الدولة الرسولية فقد انشأ المدرسة المجاهدية[٢٦] شرق مدينة تعز فى عام ٧٣١ هـ ، وقد جعلها جامعا ومدرسة وخانقاة ، ودفن فيها عقب وفاته عام ٧٦٤ هـ ، ومدرسة اخرى عرفت بمدرسة العدل وجعل فيها خانقاة ، اضافة الى دوره الكبير فى عمارة المساجد باليمن ، فقد بنى مسجدا فى مدينة ثعبات وآخر بقرية النويدرة ، جهة باب سهام احد ابواب مدينة زبيد ومسجدا ثالثا جهة شرق سور مدينة زبيد واحدث زيادة فى جامع ذى عدينة كما عمر عدة مساجد اخرى باليمن[٢٧] . وامتدت يد البناء فى عصره الى خارج اليمن ، اذ ابتنى المدرسة المجاهدية فى مكة المكرمة عام ٧٤٠ هـ ووقف عليها وقفا جيدا من املاكه[٢٨] . وفى مجال العمائر الدينية بالنسبة لاهل بيته كما هو متبع بالنسبة للملوك السابقين من هذه الدولة ، اقامت والدته السيدة آمنة فى عام ٧٣٠ هـ المدرسة الصلاحية

---

٢٥) من هذه العمائر ، عمارة القصر المعقلى بمدينة ثعبات ،وقصر اخر خلف باب الشبارق احد ابواب مدينة زبيد ، كان يتقدمه ايوان هائل مستطيل الشكل يصفه المؤرخ ابن الديبع بقوله : " وفى صدره مقعد كبير له دهليز متسع وفوق الدهليز قصر باربعة اواوين "
انظر : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٤ - ٩٥ ، تاج الدين عبد الباقى : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨ .

٢٦) اندثرت حاليا هذه المدرسة ويشغل مكانها مستشفى من بناء العثمانيين فى اليمن ، وانظر : الخزرجى :العقود اللؤلؤية ج ٢ ، ص ٥٧ .

٢٧) الخزرجى / العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٥٧ - ٦٤ ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٧ .

٢٨) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٤ :
كذلك كان له دور كبير فى مجال العمارة المدنية خاصة اسوار المدن كما فعل فى مدينة ثعبات وزبيد وغيرها ،هذا ومن المعروف ان هذا الملك استعان بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون ليعاونه فى اقرار الاوضاع الداخلية فى اليمن . مقابل الولاء لمصر وذكر اسم السلطان الناصر فى الخطبة على منابر اليمن ، فبعث له السلطان الناصر بقوة عسكرية كبيرة ،كذلك قبض عليه فى عام ٧٥١ هـ اثناء حجة فى مكة واوفد الى مصر ثم عاد الى اليمن عام ٧٥٢ هـ .
انظر : الخزرجى : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص٧٦ وما بعدها ، محمد عبد العال : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

فى مدينة زبيد ، وهى المدرسة المعروفة بمدرسة ام السلطان المجاهد وجعلت فيها مدرسا للفقه على مذهب الامام الشافعى وغيره فى فروع العلوم الدينية ، كما شيدت خانقاة فى مواجهة هذه المدرسة ، وابتنت مدرسة اخرى فى قرية المسلب بوادى زبيد واخرى فى قرية السلامة ، اضافة الى المسجد فى قرية التربية شرق مدينة زبيد ، وآخر فى المجلية من تعز ومسجدا ثالثا فى قرية المملاح (٢٩) .

على ان ما قامت به السيدة آمنة والدة الملك المجاهد على من عمائر عديدة فى اليمن ، فانما هو امر يتناسب مع دورهاالسياسى الكبير فى اليمن خاصة فى الفترة التى اعتقل فيها ولدها الملك المجاهد فى مكة وارسل الى مصر حيث مكث فيها لمدة عام تقريبا ، قامت هى خلال فترة اعتقاله بتدبير امور الدولة بل والتغلب على معارضيه حتى عاد لليمن مرة اخرى (٣٠) .

ومن المنشآت الدينية الاخرى فى عصر هذا الملك ماقامت به اخته " جهة قاتن " من انشاء المدرسة القاتنية بزبيد جنوب باب سهام ، احد ابواب مدينة زبيد ، واقامت امامه سبيلا يعرف بالسبيل القاتنى، اضافة الى انشائها المسجد والسبيل فى طريق وادى زبيد ومسجدا صغيرا بنفس المدينة ، كما ابتنت ثلاث جوارى من جوارى والدة الملك المجاهد ثلاثة مساجد بمدينة زبيد ، بل قام ايضا بعض طواشى هذه الجوارى ببناء مساجد اخرى (٣١) .

لقد استمرت عمارة المنشآت الدينية فى ازدياد فى عصر هذه الدولة خلال فترة حكم الملك الافضل عباس (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م) ، فاليه يعزى بناء المدرسة الافضلية نسبة اليه فى ناحية الجبيل بمدينة تعز عام ٧٦٥ هـ ، كانت على حد قول ابن الديبع ، " ليس لها فى البلاد نظير "(٣٢) وامر بانشاء منارة لهذه المدرسة ،

---

٢٩) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٨ - ١٠٠ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ص ٧٦ - ٧٧ ، ١٠٠ - ١٠١ .
٣٠) الخزرجى : المصدر نفسه ، ص ٧٦ وما بعدها .
٣١) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
٣٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

يصفها المؤرخ الخزرجي بقوله : " لم يكن في البلاد مثلها ، وذلك انها على ثلاث طبقات ، فالطبقة الاولى مربعة الشكل صحيحة الاركان والطبقة الثانية مثلثة الاركان قائمة الحروف والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر وهي عجيبة من عجائب الزمن[٣٣] .

كما بنى هذا الملك ايضا مدرسة اخرى في مكة في مواجهة باب الكعبة ، رتب فيها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة واماما ومؤذنا وقيما ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن وأوقف عليها وقفا جيدا[٣٤]" هذا فضلا عما كان له ايضا من اضافات في مجال العمارة المدنية في اليمن .

وحين ولي الحكم الملك الاشرف الثاني اسماعيل بن العباس (٧٧٨ - ٨٠٣ هـ / ١٣٧٦ - ١٤٠٠ م) نشطت حركة البناء في مجال العمائر ، خاصة العمائر الدينية من بناء جديد وتجديد واضافة ، حيث يذكر ابن الديبع في هذا الشأن قوله " وفي دولته امر بعمارة المساجدوالمدارس بزبيد ، بعد ان كان اكثرها داثرا ، لا اثر له ، وافيها ما قد اشرف على التلف[٣٥] " وقد عهد بهذا العمل الكبير الى القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم ، حيث امره بعمارة المساجد و المدارس والاسبلة واسند اليه ايضا شد الاوقاف المباركة بوادي زبيد حتى يعيدها كما كانت . وقد احصى الخزرجي المؤرخ عدد هذه الاثار التي شملتها العمارة في عصر الملك الاشرف الثاني بخمس وستون اثرا ، وقد قام القاضي سراج الدين عبد اللطيف بهذا العمل ، ويصفه المؤرخ الخزرجي ايضا بقوله : " فقام في ذلك قياما كليا واجتهد واعاد معالم الوقف عن حقائقها المعتادة ورسومها القديمة واحيا السبل الداثرة ، وقام في ذلك حق القيام حتى شكره الخاص والعام"[٣٦] .

---

٣٣) الخزرجي : العقود اللوءلوءية ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .
٣٤) الاكوع : المدارس ، ص ١٨٥ .
٣٥) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، موءلف مجهول تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تحقيق عبد الحبشي، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٢٧ - ٤٨ .
٣٦) الخزرجي : العقود اللوءلوءية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ٢٦٠ .
ونذكر فيما يلي نص الخزرجي المتعلق بهذه الآثار لاهميته :
" فاما الذي عمر بعد ان كان داثرا : المدرسة المنصورية الحنفية وموضع الحديث بها والسيفية الصغيرة والنظامية =

هذا وتعد المدرسة الاشرفية بتعز[٣٧] من اروع العمائر الاسلامية الدينية التى تنسب الى عصر هذه الدولة من حيث ما شملته عمارتها وكذلك اسلوب البناء وتنوع التدريس بها ، فضلا عما اوقف عليها من اوقاف كثير ، كذلك كان لهذا الملك جهد كبير فى مجال العمائر المدنية و الحربية فى اليمن ، حتى وصف عصره بعصر قيام الدولة الاشرفية الكبرى فى بلاد اليمن ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان هو على درجة عالية من الثقافة والفكر وخلف العديد من المصنفات فى فروع العلم ، وكان فى عصره ايضا الموءرخ الخزرجى الذى كتب تاريخ الدولة الرسولية وكذلك عدد آخر من الموءرخين والعلماء والفقهاء المشهود لهم بما خلفوه من مصنفات دينية وعلمية مختلفة[٣٨] .

ومن المنشآت الدينية الهامة التى تمت فى عهد الملك المدرسة المعتبية بمدينة تعز[٣٩] التى انشأتها جهة الطواشى جمال الدين معتب ام اولاد الملك الاشرف اضافة الى ما قامت به من انشاء عدة اسبلة فى مفترق الطرق[٤٠] .

على اننا نلحظ فى مجال العمارة الدينية عقب نهاية عصر الملك الاشرف الثانى فى عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م قلة الابنية الدينية اذا ما

= والعفيفية والميكائيلية ومسجد الاتابك ومسجد نجم ومسجد الطواشى فاخر ومسجد الظيرة ومسجد السلطان عباس الظفارى ومسجد ازدمر ومسجد الساباط ومسجد ابن الهمام ومسجد الخيزران ومسجد خليخان ومدرسة التربية ومسجد الصياد بها ومسجد الرند ومسجد القريت وسبيله والسبيل الفاتنى على باب سهام وسبيل المنظر وسبيل فشال واحدث السبيل الذى على جامع زبيد . اما الذى معظمه خراب والاقل فيه قائم فالمنصورية العليا والاشرفية والسابقية والسيفية الكبيرة والتاجية والفقهية ومسجد السابق النظامى ومسجد قنديل ومسجد غصون ومسجد الحاجة سماح ومسجد الامير عباس بن عبد الجليل والخانقاة الصلاحية زبيد ومدرسة المسلب وسبيل المنصورة ومسجد الجبرتى واللقمة الفاتنية ومسجد الحشاشة وسبيل مسجد الربد وسبيل التربية وسبيل الصلاحية بزبيد وسبيل باب النخل ومسجد بستان الراحة والخانقاة التاجية وجامع النويدرة وسبيله وسبيل الطنيفاء "

٣٧) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٨٩ - ٩٣ ، لوحة ٤٩ ، شكل ١٢ .

٣٨) الجرافى : المقتطف فى تاريخ اليمن ، طبعة بيروت ١٩٨٤، ص ٩٢ .

٣٩) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٩٤ - ٩٦ ، لوحة ٥٣ ، شكل ١٣ .

٤٠) الخزرجى : العقود اللوءلوءية ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

قورنت بالفترات السابقة من عصر هذه الدولة ولعل السبب فى ذلك يرجع الى الفترات القليلة فى الحكم والتى قضاها بقية ملوك هذه الدولة اذا ما قورنت بالفترات الزاهية السابقة ، والى أن المدن الكبيرة كانت قد اكتظت بالعمائر الدينية على نطاق واسع ، واصبح الامر ستلزم فى معظمه تجديد ما يتشعث منها والمحافظة على قيامها بواجباتها الدينية والتعليمية ، وايضا الى طبيعة الاحوال السياسية والاقتصادية التى خيمت على ما تبقى من عمر هذه الدولة ، فعلى سبيل المثال يلاحظ ان الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل (٨٠٣-٨٢٩ هـ / ١٤٠٠ - ١٤٢٦ م) قد ركز جهده فى مجال العمائر المدنية[٤١] الا ان فى ايامه انشأت جهة الطواشى جمال الدين فرحان المدرسة الفرحانية بزبيد ، كما انشأت ايضا بركة مسجد الاشاعر بزبيد فى عام ٨١٥ هـ أو ٨١٦ هـ .

كذلك يلاحظ ايضا ازدهار حركة البناء الى حد ما ، خلال فترة حكم الملك الاشرف الثالث اسماعيل (٨٣٠ - ٨٤٢ هـ / ١٤٢٧ - ١٤٣٨م) . فقد انشأ المدرسة الظاهرية بمدينة تعز عام ٨٣٥ هـ وامر بعمل مئذنتين بها ، كما انشأ مدرسة اخرى بعدن وامر بعمل ترميم فى مئذنة جامع الجند قريبا من مدينة تعز من ماله الخاص ، بعد ان كانت قد تهدمت ، كما عمرت زوجته جهة الطواشى ياقوت المدرسة الياقوتية بزبيد[٤٢] ، وبنى الامير برقوق الظاهرى فى ايامه مسجد الاشاعرة بمدينة زبيد[٤٣] عام ٨١٥ هـ . هذا وقد أمر الملك الظاهر يحيى بن الاشرف (٨٤٢ - ٨٥٠ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٤٦ م) بعمارة كبيرة اجريت فى الجامع الكبير بمدينة ذمار ، اذ جدد سقوفه واصلح ما تشعث منه واقام فيه بركة كبيرة للمياه .

---

٤١) من ذلك انشائه لمرسى بساحل زبيد وعمارة دار النعيم بالمقرانة من اعمال مدينة رداع حاليا وانشأ الدور الناصرى بزبيد وكذلك كان له دور فى انشاء المجارى والبساتين فى جنوب اليمن .
انظر : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٨ ، تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول ص ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٧ ، ١٩١ .

٤٢) مصطفى شيحة : مدخل : ص ٩٧ - ٩٩ ، لوحة ٥٥ ، ٥٦ .

٤٣) عبد الرحمن الحضرمى : زبيد واثارها الاسلامية ، كتاب الاثار الاسلامية فى الوطن العربى ، تونس ، ١٩٨٥ ، ص ٧٣ .

ثانيا - بعض الامثلة من وقفيات المنشآت وكذلك بعض مظاهر عمارة منشآت هذا العصر :

كان لدور نظام الوقف فى العصر الاسلامى اهمية واضحة انعكس اثره على الاهتمام بعمائر السلاطين والامراء فى هذا العصر ، تمشيا مع ما كان عليه الوضع فى البلاد الاسلامية الاخرى ،خاصة فى مصر زمن الايوبيين (٤٤) والمماليك(٤٥) ، ويتضح هذا الامر من خلال ما نشره القاضى اسماعيل الاكوع من نصوص بعض وقفيات عمائر هذا العصر ، حيث تشير بعض نصوصها الى الوصف المعمارى والى ترتيب الوظائف الدينية والادارية داخل المنشأة ، كما توضح اسلوب الصرف ونظام التدريس ، فضلا عما يرد فى بعض هذه الوثائق من مصطلحات هامة تشير فى كثير من الاحيان الى الوظيفة الخاصة بالمنشأة .

لقد كان حجم ما اوقف على المنشآت الدينية فى عصر دولة بنى رسول فى اليمن وخارجها كبيرا ، وقد ساهمت هذه الاوقاف فى الابقاء والحفاظ على كثير من منشآتهم الدينية والتى تتابعت العناية بها بعد زوال عصر هذه الدولة ، وقد اشارت الوقفية الغسانية التى شملت

---

٤٤) ارتبطت حركة التعليم فى مصر زمن الدولة الايوبية بنظام المدرسة كمنشأة تعليمية ذات تخطيط معين معمارى ، يسوده الايوان ، بدلا من الرواق فى المسجد خاصة وان صلاح الدين الايوبى كان قد شرع فى انشاء المدارس للمذاهب السنة المناهضة للمذهب الشيعى ، ورتب بعض الاراضى والعقارات للصرف من ريعها على مصاريف مدارسه ودفع رواتب المدرسين والطلبة .
انظر : عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الايوبيين والمماليك ، دار المعارف ، مصر ، ص ٦٦ - ٧٨ .

٤٥) استمر نظام الوقف على نطاق واسع فى مصر خلال العصر المملوكى ، بحيث يعتبر عصر سلاطين المماليك هو العصر الذهبى لنظام الاوقاف ، وفق جوانب متعددة اقتضتها ظروف هذا العصر من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وكان ديوان الاحباس فى مصر من اهم الدواوين التى كان يشرف عليها السلطان او نائبه او الدوادار . لذلك ارتبطت الاوقاف بالحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر وساعدت على الحفاظ على المنشآت الدينية والى استمرار حركة التعليم بها الى حد كبير ، كما امتد تأثيرها الى الرعاية الصحية ايضا المتمثلة فى البيمارستانات فى مصر .
انظر :محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧ م ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ .

العديد من وثائق الوقف التى تتعلق بعمائر هذا العصر الى الوصف الاثرى لمنشآت هذه الدولة وذكر ما جرى عليها من اوقاف متنوعة ، كما اشارت ايضا الى الوظائف الدينية والاساتذة والطلاب ، وكذلك بالنسبة للقائمين على احياء الشعائر الدينية وكذلك بعض الوظائف الاخرى ، ونورد فيما يلى بعض النصوص المختارة من هذه الوقفيات والتى تتعلق بترتيب الدراسة بها واحياء الشعائر الدينية والاشارة الى بعض ما ورد فيها من مراسيم الوقف :

(أ) المدرسة المنصورية بالجند : نسبة الى الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول :

" رتب فيها مدرسا ومعيدا واماما وموءذنا وايتاما يتعلمون القرآن ووقف عليها وعلى سائر مدارسه الاخرى اوقافا بعيدة تحملهم وتقوم بكفايتهم جميعا(٤٦) " .

(ب) جامع المظفرية فى تعز : نسبة الى الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول :

" رتب فيها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة ، ورتب منها اماما وموءذنا ومعلما وعشرة ايتام يتعلمون القرآن وقيما(٤٧) واوقف عليهم ما بقوم بكفاية الجميع منهم(٤٨) " .

(جـ) المدرسة الاشرفية بتعز : نسبة الى الملك الاشرف الاول عمر بن يوسف :

---

٤٦) اسماعيل الاكوع : المدارس ، ص ٣٧ .
٤٧) تشير الوقفيات الى اهمية وظيفة " القيم " فى المنشآت الدينية فى عصر دولة بنى رسول حيث كان من عمله وفق ماوورد فى وثيقة ابى الدر جوهر عبد الله المجاهدى : " قيم يتولى تنظيف المسجد وجناحيه وموءخره وسائر اماكنه وفرش ما يحتاج الى فرشه وتنظيف البركة والحيطان ومواضع الماء .. واشعال المصابيح للمسجد .. ويتولى حفظ آلة المدرسة المعدة لها من الفرش " كما يرد عن وظيفته بوثيقة وقف مدرسة ىلامة ، نفس الاعمال السابقة ، اضافة الى غيرها من الاعمال الدائمة بالمدرسة ويرد ايضا فى بعض وثائق الوقف الاخرى وجود "قيمين" بالمنشأة كما فى وثيقة وقف المدرسة العباسية التى تنسب عمارتها الى الملك الافضل . انظر اسماعيل الاكوع : المدارس ، ص ١٨٠ - ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .
٤٨) المصدر السابق ، ص ٨٥ .

" رتب فيها اماما وموءذنا وقيما ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن ومدرسا للفقه على مذهب الامام الشافعى وجماعة من الطلبة يقرءون عليه واوقف على الجميع ما يقوم بكفايتهم [٤٩] ".

(د) المدرسة الموءيدية بتعز : نسبة الى الملك الموءيد داود:

" رتب فيها مدرسا ودرسة ومعيدا واماما وموءذنا ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن ومقرئا يقرأ القرآن الكريم ووقف عليها من احسن الاراضى والبساتين اضافة على وضعه خزانة كتب بها [٥٠] " .

(هـ) المدرسة الصلاحية فى زبيد : مدرسة ام السلطان المجاهد :

" رتبت فيها اماما وموءذنا وقيما ونازحا الي الماءللمطاهر ومدرسا للشرع على مذهب الامام الشافعى ومعيدا وعشرة من الطلاب ومدرسا فى النحو ومعلما وعشرة ايتام يتعلمون القرآن واوقفت على الجميع وقفا يقوم بكفاية الجميع من خيار ما تملكه [٥١] " .

" وقد ابتنت امام هذه المدرسة خانقاة رتبت فيها شيخا ونقيبا وفقراء واوقفت لهم وقفا كثيرا [٥٢] " .

على انه يتضح لنا من خلال نصوص الوثائق المتعلقة باوقاف المنشآت الدينية فى عصر هذه الدولة عدلا ملاحظات نجملها فيما يلى :

١ - الخلط بين تسمية المنشآت الدينية المتمثلة خاصة فى المدرسة والمسجد بالنسبة للتخطيط المعمارى المتعارف عليه ، اذ ان التسميتين ترد معا فى الوثيقة الواحدة حيث يرد ذكر المدرسة والمسجد بين ثنايا سطور الوقفيات ، والارجح ان ذكر المسجد فى الوثيقة يحتمل ان يكون المراد به هو بيت الصلاة (البنية) داخل المدرسة نفسها ، كما فى وثيقتى مدرسة سلامة فى تعز ،

---

٤٩) الاكوع : المدارس ، ص ١٩٧
٥٠) المصدر السابق ، ص ١٥٤ .
٥١) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
٥٢) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

التى انشئتها جهة مرشد سلامة ابنة الملك المجاهد على بن المؤيد والمتوفية عام ٨٠٤ هـ ، وكان بها ايوان اعتبر من ملحقات المسجد (٥٣) ، وفي وثيقة وقف المدرسة المعتبية بتعز ، كذلك الجامع المظفرى بتعز ايضا ، اضافة الى بعض الامثلة الاخرى كما فى المدرسة الجبرتية والمدرسة الياقوتية بزبيد والمدرسة الظاهرية بتعز (٥٤) .

والواقع ان المتتبع لما ورد فى نصوص الوثائق المتعلقة باوقاف المنشآت الدينية فى عصر دولة بنى رسول باليمن يلاحظ عدم ارتباط التخطيط المعمارى بالوظيفة التى تؤديها المنشآة الدينية فى احيان كثيرة ، وهو امر يتضح فى منشآت دينية اخرى خارج بلاد اليمن ، منها على سبيل المثال ما يرد فى وثائق الوقف فى مصر التى ترجع الى العصر المملوكى ، ففى منشآت الصحراء التى يتخذ تخطيطها نظام المدارس قد نصت الوثائق عليها نصا صريحا على انها مساجد جامعة لجميع المسلمين كما فى منشآة اينال وقايتباى (٥٥) .

٢ - لقد كان انشاء المساجد والمدارس جاريا فى هذا العصر ، وفق التخطيط المعمارى المتعارف عليه ، الا انه يلاحظ على المنشآت الدينية الرسولية الباقية ، غلبة وجود الايوان على الرواق ، وهو الامر المتمثل فى بناء المدارس الكبيرة والصغيرة ، وربما يرجع السبب فى ذلك الى قلة التكاليف المادية بالنسبة لبناء المدرسة عن المسجد ، اذ يغلب استخدام المدرسة وفق تخطيطها المعمارى المعروف ، وفى مساحات صغيرة نسبيا ، وذلك باستثناء المدارس الكبيرة التى انشأها سلاطين هذه الدولة ، اضافة الى ان المدارس الصغيرة كانت تخدم الغرضين معا : اقامة الشعائر والتدريس فى وقت واحد ، فكان مكان الصلاة فى " البنية " كما سبقت الاشارة والتدريس فى الايوان المقابل ، لذلك وبسبب قلة

---

٥٣) الاكوع : المدارس ، ص ١٩١ .
٥٤) المصدر السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢١ .
٥٥) انظر / محمد حمزة الحداد : قراءة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، دراسة حضارية اثرية ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، ٤٣٢ (رسالة ماجستير تحت الطبع) .

التكالف ، كان الاكثار من بناء المدارس الصغرى وقد اطلق عليهما نفس التسمية المدرسة والمسجد ومن المعروف ان نظام التدريس في المساجد كان معروفا منذ بداية العصر الاسلامی [٥٦] ٠ كذلك نجد في عصر هذه الدولة ، على سبيل المثال يرتب السلطان الملك الاشرف عند بنائه لجامع المملاح بظاهر مدينة زبيد مدرسا بالجامع على مذهب الامام الشافعي بالاضافة الى مدرس آخر على مذهب الامام ابی حنيفة ٠

٣ - كان يلحق في بعض الاحيان بالمدارس التي يكون تخطيطهاالمعماری وفق بنية الصلاة والايوان ، مساجد صغيرة ، ويرد ذلك في بعض نصوص وثائق الوقف فقد الحق على سبيل المثال مسجدا صغيرا بالمدرسة النجمية في جبلة [٥٧] ، وكذلك بالمدرسة الشرفية في نفس المدينة [٥٨] ٠ كذلك حولت بعض الدور الى مدارس كمدرسة جلل برأس وادی غلان [٥٩] ٠

٤ - يرد ايضا ضمن الوصف الوثائقی لبعض منشآت هذا العصر ذكر لوجود الخانقاة كمكان دينى لرجال الصوفية في اليمن ، خاصة وان تاريخ رجال الصوفية في اليمن يرتبط الى حد كبير ، بعصر هذه الدولة منذ بدايتها ، فقد شهد القرن السابع الهجری جماعة منهم ، ثم زاد عددهم بعد ذلك خاصة في فترة حكم الملك المظفر يوسف بن عمر ، الذی ولى احدهم القضاء في عام (٦٩٦هـ) ثم اصبح لهم شأن كبير بعد ذلك في عصر الملك المجاهد على ابن المؤيد (٧٢١ - ٧٦٤ هـ) الذی انشأ المدرسة المجاهدية وجعلها جامعا ومدرسة وخانقاة [٦٠] . كما انشأ مدرسة العدل وجعل فيها ايضا خانقاة للصوفية ، كما شيدت امه ايضا خانقاة للصوفية مستقلة بذاتها كانت في مواجهة مدرستها المعروفة باسم

---

٥٦) سعاد ماهر محمد : مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ٠
٥٧) الاكوع : المدارس ، ص ٥٩ ٠
٥٨) المصدر السابق ، ص ٦٢ ٠
٥٩) المصدر السابق ، ص ١١٤ ،
٦٠) الخزرجی : العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ص ٥٧ ٠

ام السلطان الملك المجاهد(٦١) ، وقد كان رجال الصوفية في هذا العصر ، كثيرا ما يعقدون مجالسهم في مساجد مدينة زبيد ، وان كانت مكانتهم تقلصت عقب وفاة الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل (٨٠٣ - ٨٢٩ هـ) وغلب عليهم الفقهاء في اليمن(٦٢) .

على ان عمائر الخنقوات تبدو قليلة في اليمن ، اذ ما قورنت بغيرها من المنشآت الدينية في عصر هذه الدولة رغم ازدهار الصوفية في هذا العصر ، وتظهر كعنصر معماري صغير ضمن عمائر المدارس الباقية كما في المدرسة الاشرفية الكبرى بتعز حيث تكون على هيئة قاعة ذات ايوانين متقابلين شرقي وغربي بينهما دور قاعة بسقف كل من الايوانين قبو مدبب وتعلو الدور قاعة قبة ، وكانت تتوسطهافسقية(٦٣) كما كان ايضا بالمدرسة العباسية بتعز خانقاة للصوفية ، وقد نصت وثيقة وقفها على وجود شيخ لها " من مشايخ الطريقة السالكين المحققين وعلى عشرة من المريدين(٦٤) كذلك تشير نصوص بعض الوثائق الى استخدام دار الضيافة التي كانت تلحق في ابنية بعض المدارس ، بمثابة خانقاة ، مثال ذلك ما ورد في نص وثيقة دار المضيف التي انشأها تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري اذ يذكر النص عن ذلك الامر " لها مشيخ ونقيب وقيم لاطعام الواردين وامام وموءذن للقيام بالصلوات الخمس في اوقاتها "(٦٥) وعلى هذا الاساس فاننا نرجح ان دار الضيافة التي اقامتها الحرة مريم زوج السلطان الملك المظفر في مدرستها في جبلة كانت بمثابة خانقاة .

لقد تكاملت العناصر المعمارية في نظام المدرسة كمنشأة تعليمية بالدرجة الاولى ، فضلا عن استخدامها في اداء الشعائر الدينية التي تفي بغرض المسجد وذلك من قاعات للدرس ومساكن للطلبة

---

٦١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٩٨ - ١٠٠ .
٦٢) عبد الله الحبشي : الصوفية والفقهاء في اليمن ، صنعاء ، ١٩٧٦ ، ص ٤٦ - ٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .
٦٣) محمد سيف النصر ، المدارس اليمنية : تخطيطها وعناصرها المعمارية ، مجلة الاكليل صنعاء ، ١٩٨٥ ، العدد الاول ، ص ١١٠ - ١١١ ، شكل ٣ .
٦٤) الاكوع : المدارس ، ص ١٨٧ .
٦٥) الاكوع ، ص ١٣٥ .

ومأذنة او اكثر وان كان فى احيان اخرى لا يوجد بها مآذن . هذا وقد الحق فى بعض هذه العمائر بعض الحمامات ومن ذلك على سبيل المثال ما تشير اليه وثيقة وقف مدرسة جوهر فى تعز ، التى بناها ابى الدر جوهر عبد الله المجاهدى ، " حيث جعل على بابها حماما"(٦٦) كما ضمت ايضا المنشآت الدينية فى هذا العصر مكتبات اوقفها اصحابها على منشآتهم ، لتكون عونا للمدرسين والطلبة فى البحث والدراسة ، وقد شملت هذه الكتب بالدرجة الاولى العلوم الدينية ، لاسيما فى منشآت السلاطين الكبرى ، والذين كانوا على قدر كبير من العلم والثقافة ، فعلى سبيل المثال اوقف الملك المؤيد على مدرسته خزانة نفيسة ، احتوت على مائة الف مجلد(٦٧) . وقد كان بعض الامراء فى هذا العصر يقوم هو بنفسه بنسخ الكتب والمصاحف ويوقفها على مدرسته او منشآته ، مثال ذلك ما فعله الامير أسد الدين محمد بن رسول(٦٨) .

على أنه يتضح مما سبق عرضه ان المنشأة الدينية فى عصر دولة بنى رسول فى اليمن خاصة تلك المنشآت الكبيرة ، قد ضمت عدة وحدات معمارية ، تخدم كل منها غرضا دينيا معينا ، واصدق مثال لذلك المدرسة الاشرفية بمدينة تعز التى بنيت عام (٨٠٠ هـ) بأمر السلطان الملك الاشرف اسماعيل بن العباس ، فهى تضم بنية الصلاة ، حيث تكون مساحتها اكثر من مساحات الوحدات الاخرى (حوالى ٢٥ م × ٥٠ر٧م عمقا) اضافة الى قاعات للدرس وخانقاة للمتصوفة وساحة للدفن ومئذنتين وحمامات ومطاهير ومداخل ودهاليز(٦٩) .

ويستلفت النظر فى هذه المنشأة الكبيرة ، صغر حجم الخانقاة المكونة من دور قاعة صغيرة يكتنفها من الناحيتين الشرقية والغربية ايوانان متقابلان ، ويرجع ذلك الامر ربما الى قلة المتصوفة بوجه عام فى اليمن ، عن غيرهم فى البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة و ان

---

٦٦) الكوع : ص ١٨١ - ١٨٢ .
٦٧) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
٦٨) المصدر السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .
٦٩) مصطفى شيحة ، مدخل ، ص ٩٢ - ٩٤ ، لوحة ٥١ ، ٥٢ شكل ١٢ .

تاريخهم يرتبط تماما بعصر الدولة الرسولية كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ومع ذلك فان وحدات هذه المنشأة الكبيرة قد روعى فيها الانسجام المعمارى الذى يفى بالاغراض الدينية المتعددة من عبادات وتدريس ودفن بها . ونعتقد بأن نظام المنشأة الدينية ذات الاغراض المتعددة والذى ظهرت ملامحه فى عصر دولة المماليك الجراكسة فى مصر كان له تأثيره على هذا النوع من المنشآت فى اليمن ، نظرا لطبيعة العلاقات السياسية الطيبة والتى كانت قائمة بينهم فى اليمن ومصر ، ذلك ان عمارة عصر المماليك الجراكسة قد تميزت بصغر مساحتها ، لاسيما تلك التى بنيت داخل اسوار مدينة القاهرة القديمة ، فصغرت مساحة المدرسة (قاعات الدرس) والخانقاة وغيرها من الوحدات المعمارية الاخرى(٧٠) .

لقد بدأت بوادر هذا النظام المعمارى الدينى الخاص فى مدرسة وخانقاة الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١ هـ) ثم اخذ يزدهر هذا النظام بعد ذلك فى المنشآت الدينية فى عصر الاشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) ثم عصر اينال (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ) وبلغ قمة ازدهاره فى عصر السلطان الاشرف قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١ هـ)(٧١) .

واذا كانت عمائر المنشآت الكبرى ذات الاغراض المتعددة ، والتى اقامها سلاطين هذه الدولة ، كانت فى حقيقة الامر تعبر عن جانب الثراء المادى ، فانه على الجانب الآخر كان للمدارس الصغرى دورها الواضح ، وهى كثيرة جدا فى هذا العصر ، وقد انشأها الرجال والنساء من ذوى اليسار فى المجتمع الرسولى ، وكانت تستخدم ايضا فى اداء الشعائر والتدريس بها وكذلك فى كثير منها ، كانت تضم مساكن للمدرسين والطلبة ، ونعتقد بأن المدارس الصغرى فى اليمن قد تميزت بقلة مساحاتها الى حد ما ، وكان لصغر هذه المساحة اثره فى انتشارها بكثرة ، حيث يسهل البناء وتقل التكاليف ، وقد ساعد على انتشار هذه المدارس بكثرة ايضا انها كانت قاصرة فى معظم الاحيان

---

٧٠) سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، ج ٤ ، ص ١٩ - ٢١ .

٧١) مصطفى نجيب : نظرة جديدة على المدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكى الجركسى ، مجلة كلية الاثار ، الكتاب الذهبى ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢١ حاشية (١) .

على تدريس مذهب واحد هو المذهب الشافعي ، وفي احيان قليلة كان يدرس بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام أبي حنيفة ، ومن ثم لم تكن هذه المدارس بحاجة الى وجود التخطيط المتعامد المكون من اربعة اواوين ، وهو الامر نفسه الذي كان قائما في عمارة المدارس في كثير من البلاد الاسلامية الاخرى ، والتي كانت مخصصة لتدريس مذهب واحد او اثنين فقط ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها مدرسة خان آتون في حلب[(٧٢)] (٥٦٤ هـ) والتي كانت مخصصة لتدريس المذهب الحنفي ، وكذلك المدرسة النورية[(٧٣)] ، التي كانت مخصصة ايضا لتدريس المذهب الحنفي (٥٦٧ هـ) ، والمدرسة الشاذبختية[(٧٤)] (٥٨٩هـ) التي كانت وقفا على فقهاء المذهب الحنفي ومدرسة معرة النعمان[(٧٥)] التي انشئت عام (٥٩٥ هـ) ، على أن تاريخ بناء المدارس في دمشق يرجع الى ما قبل ذلك بحوالي قرن من الزمان[(٧٦)] .

واذا كان تدريس المذهب السني الواحد ، هو السمة الغالبة في انشاء المدارس الاسلامية في بلاد اليمن فان تدريس المذهب الواحد ايضا كان هو الغالب في بعض البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة في المدارس الاسلامية في بلاد المغرب على سبيل المثال ، حيث كان يسود فيها المذهب المالكي[(٧٧)] . وكانت المدرسة المغربية ايضا في الوقت

---

٧٢) -Creswell, Op.Cit. P. 8,F,I.
وايضا : -Creswell, Muslim Architecture of Egypt. Vol.II, P. 109.

٧٣) احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، طبعة دار المعارف بمصر ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

٧٤) - Creswell , Muslim Architecture, Vol.II,P.109.

٧٥) احمد فكري : مساجد القاهرة ، شكل ٣٩ .

٧٦) حسين شميساني : مدارس دمشق في العصر الايوبي ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٤ .

٧٧) انتقل نظام المدارس السنية من مصر الى المغرب الادنى ، ثم انتشر في كل انحاء المغرب ، وكانت تشتمل على مساكن للطلبة تنتشر حول فناء المدرسة ، وغالبا ما كانت المدرسة تضم مئذنة ، هذا ويعتبر بنو مرين اول من توسع في بناء المدرسة في المغرب ، انظر : السيد عبد العزيز سالم : مساجد ومعاهد ، مدارس فاس ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
عبد الهادي التازي : جامع القرويين : المسجد والجامعة بمدينة فاس ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦ .
سعاد ماهر : العمارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

نفسه ، صدى للاتجاهات الجديدة لدولة بنى مرين فى القرن السابع الهجرى[٧٨] . وتعتبر مدرسة الحلفاويين بفاس من اقدم المدارس التى ترجع الى القرن السابع الهجرى ، اذ كانت هى المدرسة الاولى التى اسسها بنو مرين (٦٧٠ هـ)[٧٩] ، ثم مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين ، ثم مدرسة بوعنانية ، التى تعد من اهم مدارس دولة بنى مرين وقد انجزت عام ٧٥٦ / ١٣٥٥ م[٨٠]. هذا وقد تميزت المدرسة المغربية عامة بوفرة زخارفها ونقوشها[٨١] .

لقد كان لفترة حكم الدولة الايوبية فى اليمن اكبر الاثر فى انتقال المدرسة بتخطيطها المعمارى الى بلاد اليمن خاصة ذات المذهب الواحد[٨٢] حيث كان المذهب الشافعى هو ايضا نفس المذهب السنى الاول فى جنوب بلا اليمن كما تقدم .

هذا وتعتبر المعزية (مدرسة الميلين) التى انشأها الملك الايوبى اسماعيل بن طغتكين عام ٥٩٤ هـ بمدينة زبيد ، جنوب اليمن ،

---

٧٨) تعددت الآراء حول اشتقاق تخطيط المدرسة المغربية ، فبعض هذه الاراء يذهب الى اشتقاق التخطيط من مصر وبعضها يرجع تخطيط المدرسة المغربية الى نظام الاربطة نظرا لما كان لهذا النظام المعمارى من اهمية فى بلاد المغرب وكان يتكون من صحن مركزى يحيط به غرف فى النواحى الشمالية والغربية والشمالية وملحق به مسجد صغير اما المدرسة المغربية فهى عبارة عن صحن مركزى يتوسطه حوض ويحيط به من الشمال والشرق والغرب غرف ضيقة لاقامة الطلبة ، وكان يشغل الجهة القبلية - قبالة المدخل الرئيسى عادة بيت للصلاة ، ولم يلحق بالمدرسة المغربية ضريح . كما يذكر البعض ايضا ان تخطيط عمارة المدرسة المغربية مشتق اساسا من نظام المدرسة السورية المعمارى :

"..... but it was the Syrian type which appeared in North Africa.

انظر :

- Hoag, J.D. Western Islamic Architecture, p. 26.

وايضا : السيد عبد العزيز سالم ، مدارس فاس ، ص ٢٠٢ .

٧٩) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ص ٣٥٧ .

٨٠) السيد عبد العزيز سالم : مدارس فاس ص ٢٠٢ - ٢٠٧ .

- Hoag: Op.Cit., P. 26, Pl. 63.

٨١) سعاد ماهر : العمارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

٨٢) حسن الباشا : دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، ص ١٧ .

هى اول مدرسة اسلامية تبنى فى اليمن وكانت لفقهاء الشافعية (٨٣)، ثم تتابع بناء المدارس بعد ذلك فى بلاد اليمن خاصة الجنوب خلال فترة الدولة الرسولية ثم الدولة الطاهرية التى اعقبتها فى الحكم .

ولاشك ان نظام المدارس الاسلامية فى اليمن ، كان له اهمية كبيرة فى تقوية الناحية السياسة وتدعيمها بالنسبة لدولة بنى رسول ، وكان لدور الفقهاء فيها اهمية كبيرة فى تعضيد الدولة وتقوية مركزها خاصة فى مواجهة دولة الائمة الزيدية فى شمال اليمن .

على انه يلاحظ مما سبق عرضه تاريخيا بالنسبة لمنشآت السلاطين ، اهتمامهم ايضا بعمارة المساجد الى حد كبير والى التدريس بها ايضاء وفق الانظمة القديمة فى استخدام المسجد فى الدراسة (٨٤) ، حسب تخطيطه المعمارى المتعارف عليه ، وهو الامر الذى يظهر واضحا فى جامع المظفرية (٨٥) ، او ما يطلق عليه حاليا المدرسة المظفرية فضلا عن دورهم الكبير فى تجديد ما تشعث من عمارة المساجد التى كانت قائمة قبل عصرهم خاصة فى فترة حكم الملك الاشرف الثانى اسماعيل بن العباس (٧٧٨ - ٨٠٣ هـ) . ومن امثلة ذلك استمرار التدريس بالجامع الكبير فى مدينة زبيد (٨٦) حيث كان ملحقا بهذا المسجد حجرات للطلبة ، اطلق عليها اسم المقاصير ، لا تزال قائمة الى اليوم جهة الرواق الشرقى بالمسجد ، حيث يتم الصعود اليها من خلال درجات عديدة من السلالم ، اضافة الى التدريس بجامع الاشاعر بنفس المدينة ، حيث خص به كرسيا كان يجلس عليه علماء الحديث للشرح والدراسة فى علم الحديث (٨٧) فى عصر هذه الدولة .

---

٨٣) الاكوع : المدارس ، ص ١٨ - ١٩ .

٨٤) كان هناك من فقهاء هذا العصر من يفضل الدراسة بالمسجد عن المدرسة وهو ما يفهم من ابيات الشعر التى ذكرها الفقيه بن عاصم ، الذى كان رئيسا للفقه والفتوى فى مدينة زبيد ، فى عصر الملك المظفر بعد اختلافه مع قاضى القضاه وتعرضه للمضايقة فيقول :

بيع المدارس لو علمت بدارس غال واخسر صفقة للمشترى
دعها ولازم للمساجد دائما ان شئت تظفر بالثواب الاوفر

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٩ ، الاكوع : المدارس ، ص ٣١ - ٣٢ .

٨٥) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٩٢ - ٩٤ ، لوحة ٥١ ، ٥٢ .

٨٦) المرجع السابق : ص ٤٩ ، شكل ٢٢٤ .

٨٧) المقداد : المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩١ - ٩٢ .

ويتضح من التخطيطات المعمارية الملحقة بهذا البحث (الاشكال ١ - ٤)[٨٨] بساطة التخطيط المعمارى للمدرسة اليمنية ، حيث يكون التركيز فيها على بنية الصلاة فى الناحية الشمالية ، ويتقدم مكان الصلاة فناء صغير مكشوف وفى الناحية الجنوبية فى مواجهة مكان الصلاة ايوان صغير ، يفتح على الفناء ايضا ، وقد تضم المدرسة مئذنة وفى احيان اخرى لا يوجد بها مئذنة ، اما المدارس الكبرى فى اليمن والتى انشأها السلاطين ، فقد حفلت عمارتها بعناية كبيرة وضمت ملحقات عديدة لاغراض متعددة كمكان الصلاة وقاعات الدرس والخانقاة والسبيل ومآذن وغيرها .

اما بالنسبة لمواد البناء فقد كان يغلب استخدام الاجر والحجر المشهر[٨٩] معا فى عملية البناء ، وقد استخدم الآجر على الاخص فى عمل القباب والاقبية ، التى كانت من العناصر المعمارية المميزة لانواع المدارس اليمنية من حيث تقسيماتها المعمارية المتعارف عليها.

اما بالنسبة لطابع زخارف منشآت هذا العصر ، فقد غلب استخدام الزخارف الجصية الملونة وغير الملونة فى تزيين القباب ومساحات كثيرة من الجدران والقباب والعناصر المعمارية الاخرى داخل وخارج هذه المنشآت ، ويبدو من خلال ما ازدانت به ابنية هذا العصر من زخارف جصية مدى اقبال الفنان اليمنى بدرجة لافتة للنظر على هذا النوع من الزخارف بالذات ، والذى استطاع من خلال استخدامه لهذه المادة ان يحقق تفوقا كبيرا فى التنفيذ الدقيق لضروب الزخارف النباتية والهندسية ، فضلا عن استخدام الكتابات بخطى الثلث والنسخ على نطاق واسع .

وتبدو الامثلة على ذلك كثيرة للغاية خاصة ، فى بواطن القباب فى المدرسة الاشرفية وجامع المظفرية والمدرسة المعتبية بمدينة تعز ،

---

٨٨) انظر عن المدارس اليمنية : مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٨٣ - ١٠٧ ، والاشكال : ١١ - ١٦ .

٨٩) الحجر المشهر : مصطلح يعنى القطع الحجرية المعقولة ذات الالوان الطبيعية المختلفة والتى تتألف من مجموع صفوفها المختلفة زخرفة تناوب الالوان .
انظر : سامى احمد عبد الحليم : الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ .

وقد شملت هذه الزخارف آيات من القرآن الكريم واسماء السلاطين المنشئين والقابهم وتاريخ البناء والتجديد والاضافة ، وقد تجلت بصورة كبيرة على بواطن القباب فى المنشآت الثلاثة السابقة : (اللوحات ١ - ٤) واختصت مدينة زبيد بوفرة استخدام الزخارف الجصية غير الملونة عامة فى زخارف اعالى الجدران لعناصر نباتية وهندسية متنوعة من الداخل والخارج .

وبعد فانه يتضح بعد هذا العرض الموجز ، والذى كان بمثابة القاء الضوء على تاريخ عمارة عصر بنى رسول فى اليمن ، مدى ازدهار العمارة فيه لفترة زادت عن قرنين من الزمان وخلفت وراءها عمائر عديدة متنوعة ، واكبت كثير من العمائر المماثلة فى غير اليمن من البلاد الاسلامية ، وقد خلدت هذه العمائر موءسسها ، وفى الوقت نفسه لازالت هذه العمائر رهن الدراسات الاثرية الاخرى الجديدة التى لو تمت فانها ستضيف الجديد عن العمائر الاسلامية عامة واليمنية خاصة .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ،،،

* * * *

المصادر والمراجع

- ابراهيم المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية (دار الكلمة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥) .
- احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ . (طبعة دار المعارف ، مصر) .
- اسماعيل الاكوع : المدارس الاسلامية فى اليمن (منشورات جامعة صنعاء ، دمشق ١٩٨٠) .
- حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار (دار النهضة العربية ، ١٩٧٨) .
- \- دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد " بحث القى فى الندوة العلمية الاسلامية فى مجال العمارة والعمران بتونس ، ١٩٨٧ م .
- حسين شميسانى : مدارس دمشق فى العصر الايوبى (بيروت ١٩٨٣) .
- الخزرجى : (ابو الحسن على بن الحسين) العقود اللوءلوءية فى تاريخ الدولة الرسولية (تحقيق محمد الاكوع ، جزءان ، الطبعة الاولى ١٩٨٢) .
- سامى احمد عبد الحليم : الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة (الطبعة الاولى ١٩٨٤) .
- سعاد ماهر محمد : أ - مساجد مصر واولياؤها الصالحون ج ١ ، ج ٤ (طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية) .
  ب - العمارة الاسلامية عبر العصور ، جزءان (دار البيان العربى للطباعة ، جدة ١٤٠٥هـ)
- السيد عبد العزيز سالم : مدارس فاس (مساجد ومعاهد) . ج ٢ (طبعة دار الشعب) .

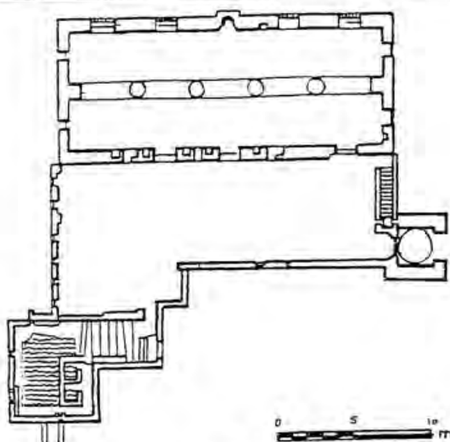
- عباس حلمي كامل : المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الاثرية مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ١٣٩٨ هـ .
- عبد الباقي اليماني : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي (دار العودة ، بيروت) .
- عبد الرحمن بن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، دار العودة بيروت .
- عبد الرحمن الحضرمي : زبيدوآثارها الاسلامية و اوضاعها الراهنة كتاب الاثار الاسلامية في الوطن العربي ،تونس ١٩٨٥ .
- عبد الغني محمود عبد العاطي : التعليم في مصر زمن الايوبيين والمماليك ، دار المعارف ، مصر .
- عبدالله الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن (الطبعة الثانية ١٩٨٤) .
- عبد الله الحبشي : الصوفية والفقهاء في اليمن (صنعاء ١٩٧٦) .
- عبد الهادي التازي : جامع القرويين (المسجد والجامعة بمدينة فاس) دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- علي بن محمد العباس العلوي : سيرة يحيى بن الحسين تحقيق سهيل ذكار (بيروت ١٩٨١) .
- عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الاصحاب في معرفة الانساب تحقيق ك.و. سترستين ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٥) .
- محمد بن احمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائله ٤ اجزاء ، (الطبعة الاولى ١٩٨٤) .
- محمد بن اسماعيل الكبسي : (اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية) مطبعة دار السعادة ، القاهرة .

- محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك
" دراسة حضارية أثرية "
رسالة ماجستير لم تطبع (١٩٨٦) .
- محمد سيف النصر : المدارس اليمنية ، تخطيطها وعناصرها المعمارية
مجلة الاكليل ، صنعاء ١٩٨٥ ، العدد الاول .
- محمد عبد العال محمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية
فى عهدهما (القاهرة ١٩٨٠) .
- محمد عبد الوهاب المقداد : جامع الاشاعر المسمى قرة العيون وانشراح
الخواطر فيما حكاه الصالحون فى فضل مسجد
الاشاعر ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الحضرمى،
مجلة الاكليل ، صنعاء ، العددان ٣ ، ٤ - ١٩٨١.
- محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/
١٢٥٠ - ١٥١٧ م ، دراسة تاريخية وثائقية
القاهرة ١٩٨٠ .
- مصطفى عبد الله شيحه : مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية فى
الجمهورية العربية اليمنية . القاهرة ١٩٨٧ .
- مصطفى نجيب : نظرة جديدة على المدارس المتعامدة وتطوره خلال
العصر المملوكي الجركسى ، مجلة كلية الآثار،
الكتاب الذهبى ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٨) .
- مؤلف مجهول : تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن
تحقيق عبد الله الحبشى ، دمشق ١٩٨٤ .
- وجيه الدين الحبيشى : تاريخ وصاب ، الاعتبار فى التواريخ والاثار
تحقيق عبد الله الحبشى ، الطبعة الاولى
١٩٧٩

- Creswell, K.A.C.: The origin of the cruciform plan of carine Madrasas, P. 8,F,I, (Bulletin de L'Institut Francais D'Archeologie oriental, T, XXI.

- The Muslim Architecture of Egypt Vol. II.

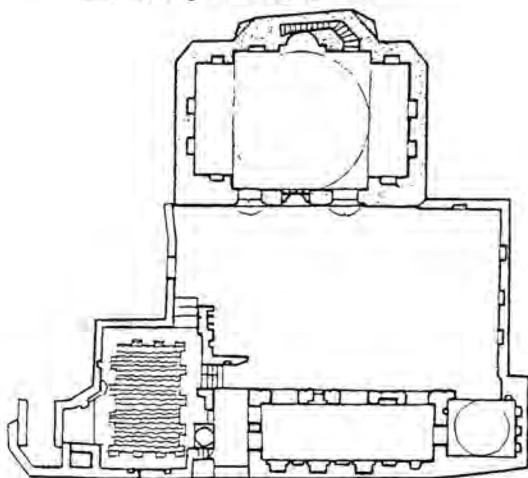
- Hoag, J. D.: Western Islamic Architecture.



شكل (١)

المدرسة الياقوتية بزبيد

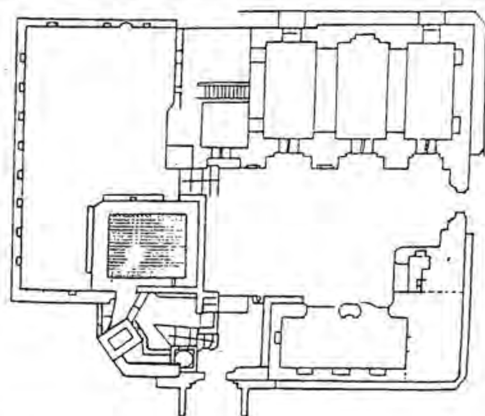
"نقلاعنهيئة الآثار اليمنية"



شكل (٢)

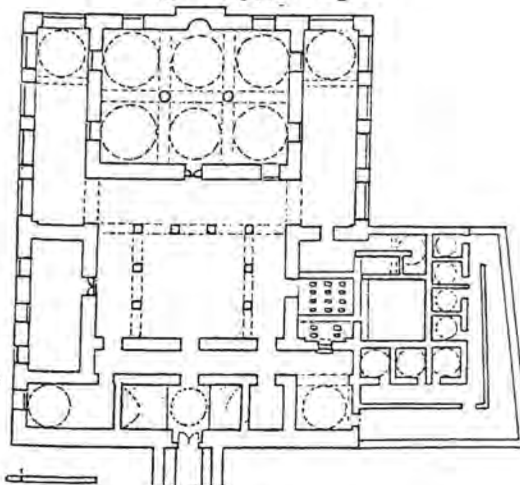
المدرسة الوهابية

"نقلا عن هيئة الآثار اليمنية"



شكل (٣)

المدرسة الجبرتية بزبيـــد



شكل (٤)

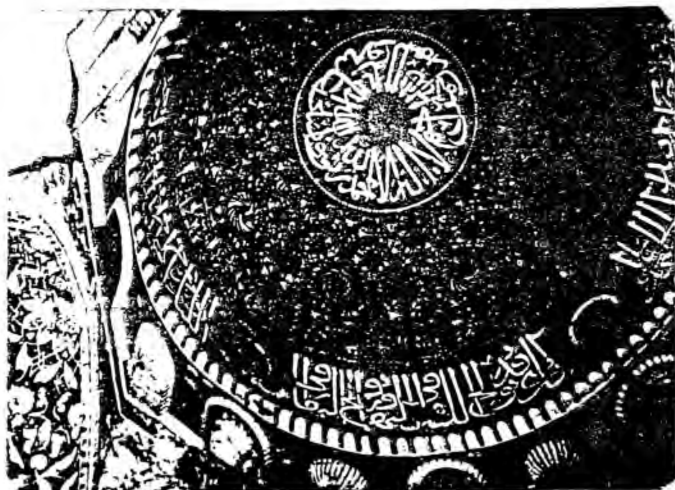
المدرسة المعتبية بتعــــز

" نقلا عن هيئة الآثار اليمنية "



اللوحة (١)

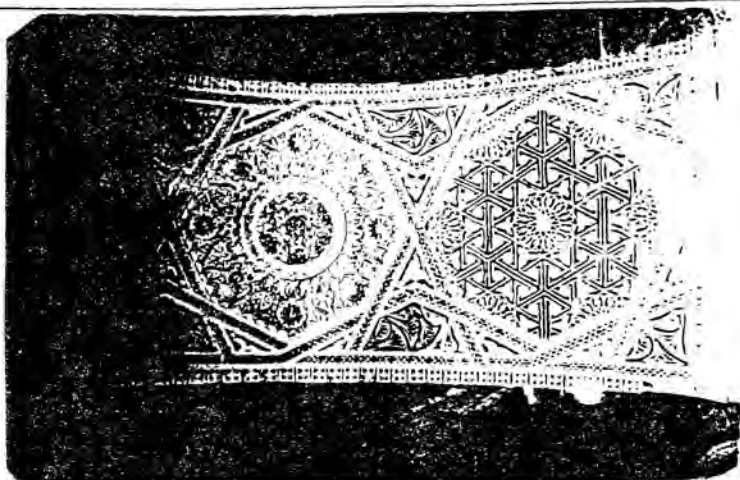
جامع المظفرية بتعـــــز



اللوحة (٢)

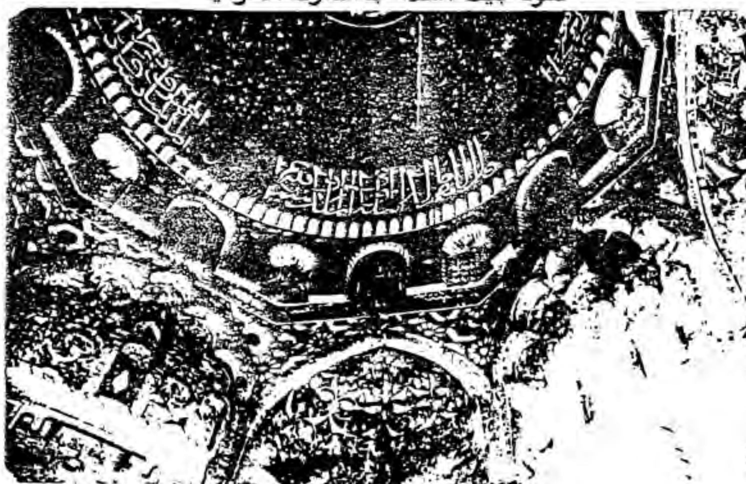
زخارف جصية ملونة من قبة المدرسة

الاشرفية بتعـــــــز



اللوحة (٣)

جانب من الزخارف الجصية فى أحد عقود بيت الصلاة بالمدرسة الاشرفية



اللوحة (٤)

الزخارف الجصية على باطن القبة الرئيسية بالمدرسة الاشرفية بتعز

دينار فاطمى نادر
ضرب فى زبيد عام ٤٤٧هـ

د. سهام محمد المهدى
وكيل أول متحف الفن الاسلامى بالقاهرة

ضرب هذا الدينار مماثلا لاحد طرز الدنانير الفاطمية فى عصر الخليفة ابى تميم معد المستنصر بالله ذى كتابات دائرية متوالية فى ثلاثة اسطر حول دائرة مركزية خالية من الكتابة (١) .

وقراءته كالتالى :

الوجه

١ - الهامش الخارجي :

محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون(٢) .

٢ - الهامش الاوسط :

وعلى افضل الوصيين ووزير خير المرسلين

٣ - الهامش الداخلى :

لا اله الا الله محمد رسول الله

الظهر

١ - الهامش الخارجي :

بسم الله ضرب هذا الدينر بزبيد سنة سبع واربعين واربعمائة .

٢ - الهامش الاوسط :

دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد

٣ - الهامش الداخلى :

المستنصر بالله امير الموءمنين (لوحة رقم ١ أ ، ب) .

---

١) رقم تسجيله ٢٦٥٦٥ - ووزنه ٤٫١٥٠ جم - وقطره ٢٢ مم .
٢) القرآن الكريم سورة التوبة آية رقم ٣١ .

وزبيد مدينة تقع جنوبى غرب صنعاء باليمن على ساحل البحر الاحمر اختطها محمد بن رياد عام ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) فى عصر الخليفة المأمون واتخذها حاضرة ملكه [٣] . وصارت فى يد " نجاح " احد عبيد بنى زياد الذى دخلها فى سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) وضرب السكة باسمه وكاتب الخليفة العباسى ودخل فى طاعته فنعته " بالمؤيد " ولقبه " نصر الدين " . وظلت زبيد فى يده حتى توفى عام ٤٥٢هـ (١٠٦٠م)[٤].

ويثير التساؤل بشأن هذا الدينار عدة أمور :

أولا : تاريخ ضربه عام ٤٤٧ هـ بمدينة زبيد وهى المدينة السنية

ثانيا : أنه دينار فاطمى باسم الخليفة أبى تميم معد المستنصر بالله مصحوبا بالقابه ورموزه الشيعية الصريحة . كما أنه مماثل لشخصية الدنانير الفاطمية المصرية المضروبة فى تاريخ معاصر .

فكيف ضرب مثل هذا الدينار الشيعى باسم الخليفة الفاطمى بمصر فى تلك المدينة السنية الموالية للدولة العباسية ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نبدأ بتتبع سريع لتاريخ الدعوة .

الشيعة فى بلاد اليمن :

كانت بلاد اليمن مهدا للدعوة الاسماعيلية السرية منذ عام٢٦٨ هـ (٨٨٢ م) والتى تزعمها الداعيان رستم بن حوشب وعلى بن الفضل ولما قوى امرهما اعلنا الثورة ونجحا فى الاستيلاء على صنعاء وزبيد من ايدى اليعفريين ثم توفى ابن حوشب عام ٣٠٢ هـ (٩١٥ م) ، وبعده توفى ابن الفضل عام ٣٠٣ هـ (٩١٦ م) ومن ثم عادت الدولة اليعفرية الى الظهور فى صنعاء من جديد الا ان الدعوة الاسماعلية ظلت مستمرة فى الخفاء وخاصة فى ناحية جبل مسور جنوبى صنعاء . وكان الفاطميون يغذون هذه الدعوة سرا من المغرب ثم من مصر .

وفى عصر الخليفةأبى تميم المستنصر تمخض عن هذه الدعوة ثورة

---

٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ـ تحقيق محمد بن على الاكوع ـ المكتبة اليمنية (١٩٧٩م) ص ٤٥ ، ٤٦ .

٤) عبدالرحمن بن على الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيدفى اخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، صنعاء ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

على بن محمد الصليحى فى حصن مسور ونجح فى الاستيلاء على صنعاء ومعظم انحاء اليمن منذ سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨م) [٥] أو ٤٣٩ هـ (١٠٤٩م)[٦].

الا أن مدينة زبيد استعصت عليه وبقيت فى يد " نجاح " وكان الصليحى يدعو المستنصر سرا ويخاف نجاحا[٧] ويكن لامره فى الظاهر وهو فى الباطن يعمل الحيلة فى قتله[٨] .

ولم تذكر المصادر التاريخية اية صلة للفاطميين بمدينة زبيد الا فى عام ٤٥٣ هـ (١٠٦١م) بعد ان نجح الصليحى فى قتل نجاح بالسم فى عام ٤٥٢ هـ فكتب الى الخليفة الفاطمى المستنصر يستأذنه فى اظهار الدعوة ووجه اليه بهدية جليلة منها سبعون سيفا قوائمها من العقيق[٩] .

ولما وصلت هديته الى الخليفة الفاطمى قبلها وامر له برايات وكتب له الالقاب وعقد له الولاية واذن له فى نشر الدعوة هناك[١٠].

ومما سبق ذكره نلاحظ ان زبيد فى سنة ٤٤٧ هـ تاريخ ضرب الدينار المذكور لم تكن فى طاعة الصليحى ، بل كانت تحت راية دولة نجاح السنية .

فكيف نفسر ضرب مثل هذا الدينار الشيعى فى دولة سنية ؟

---

٥) د. محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٨٠ - احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص ٣٣٤ - ٣٤٥ .

٦) اختلفت المصادر التاريخية فى تاريخ قيام الصليحى بثورته ، فبعضهم ذكرها سنة ٤٢٩ هـ .
انظر : ابو الحسن على بن الحسن الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ص ٥٦ وكذلك عبد الرحمن بن على الديبع ، الفضل المزيد على بغية المستفيدفى اخبار مدينة زبيد ص ٥٥ .
وذكرعمارة اليمنى تاريخهذه الثورة عام ٤٣٩ انظر :المرجع السابق ص ١٠٣.

٧) د.جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ٨١ (عن بامخرمة :المختار فى تاريخ ثغر عدن ورقة ١٢٧) .

٨) ابو الحسن على الخزرجى : المرجع السابق ص ٥٧ .

٩) ابو الحسن على الخزرجى : المرجع السابق ص ٥٧ .

١٠) المرجع نفسه ص ٥٧،عبد الرحمن بن على الديبع : المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٦ .

من المعروف ان الفاطميين حققوا دعوتهم بوسائل شتى بالدعاية تارة وبقوة السيف وبذل المال و استغلال مطامع الافراد تارة اخرى[١١].

وعلى سبيل المثال وصلتنا دنانير فاطمية سجل عليها انها ضربت فى مصر قبل دخولهم اليها بسنوات عديدة[١٢] .

ومن المؤكد ان مثل هذه الدنانير لم تضرب فى مصر وكذلك هذا الدينار محل البحث لم يضرب فى زبيد فكلنا يعرف الرقابة الصارمة على دار الضرب فى أى بلد بصفتها من المسئوليات السياسية و الاقتصادية الرئيسية فيها حيث يختص بها الحاكم نفسه او من ينوب عنه فى الحكم[١٣].

وحيث كانت زبيد فى دولة نجاح السنية ولم يكن الصليحى مسيطرا عليها فان من المرجح ان ذلك الدينار هو من تلك النقود التى استخدمها الفاطميون للدعاية لمذهبهم و ان نقشهم لمكان الضرب " زبيد " هو من قبيل الحرب النفسية لذلك الحاكم السنى نجاح ومن ثم فمن المرجح انه ضرب فى احدى دور الضرب الفاطمية فى مصر او الشام ولانه من نقود الدعاية فقد جاء وزنه قريبا من الوزن الشرعى للدينار ليكون وسيلة جيدة للدعاية للنفوذ الشيعى فى المدينة المذكورة .

* * * *

---

(١١) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ـ تقديم وتعقيب اندريه فريه المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقية القاهرة (١٩٧٢) ص ٢٢، ٢٧ ، ٢٨ ، د. حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٣٩٥ .

(١٢) منها دينار محفوظ بدار الكتب المصرية ضرب فى عام ٣٥٣ هـ انظر:
Lane-Poole (stanly): Catalogue of the Collection of the Arabic coins preserved in the Kh.lib.in Cairo, N. 956.
ونشر الدكتور باقر الحسينى دنانير مؤرخة عام ٣٤١/٣٤٣/٣٥٣ / ٣٥٤ هـ انظر : دراسة تحليلية اسلامية عن نقود الدعاية و الاعلام و المناسبات ، مجلة المسكوكات العدد ٦(١٩٧٥) ص ٩ ـ ١١ .

(١٣) د. سهام محمد المهدى : دار ضرب الاسكندرية ونقودها الاسلامية ـ رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الاثار جامعة القاهرة (١٩٨٦) ص ٤٤ .



لوحة رقم:١(أ)

دينار فاطمي ضرب في زبيد



لوحة رقم:١(ب)

الأرشيف الألمانى وكتابة تاريخ مصر المعاصر

د. وجيـــه عتيق *
كليـة الآداب - جامعـة القاهـرة

لا تجافى الحقيقة اذا سلمنا فى بادىء الأمر بانه كلمـا ازداد فاعلية الدور السياسى والاقتصادى والعسكرى لأمة من الامم فى التأثير على حركة التاريخ ، توجهت الأنظار الى هذه الأمة لتتبع هذا الدور بالبحث والتحليل سواء للاستفادة من تجربتها أو للتصدى لها . والأرشيف فى هذه الحالة هو المكان الطبيعى والوحيد الذى منه نتعرف على الدور التاريخى لكل أمة وعلاقتها بالأمم الاخرى . وبناء على ذلك فان قيمة المجموعات الوثائقية لأمة ما تزداد وتقل أهميتها تبعـا لموقع هذه الأمة من الأحداث التاريخية .

وبشكل عام يستمد الأرشيف الالمانى أهميته من ذلك الدور الخطير الذى لعبته الأمة الألمانية فى صنع أحداث تاريخ العالـم الحديث والمعاصر . فالأمة الالمانية على المستوى القارى كانت طرفا أساسيا فى الصراعات السياسية والعسكرية التى نشبت فى قارة أوربـا منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر على الاقل . ثم أصبحت طرفـا فى الصراع العالمى منذ بداية القرن العشرين والمحرك الأول للاحـداث الكبرى التى أشعلت كلا من الحرب العالمية الأولى والثانية ، وامتلكت زمام المبادرة أحيانا ، فكانت حركة الدول الأخرى بمثابة رد فعـل للسياسة الألمانية حتى عام ١٩٤٥ .

ولذلك لا يستطيع مؤرخ مدقق يتعرض لكتابة تاريخ العالم المعاصر أن يتجاهل المجموعات الوثائقية التى يحتويها الأرشيف الألمانـى . هذا من ناحية . من ناحية أخرى لا يمكن لمن يبحث فى تاريخ دولة من الدول ، تأثرت بدرجة أو بأخرى بالاحداث العالمية الكبرى ، أن يغض الطرف عن الأرشيف الألمانى لما يحتويه من وثائق قيمة تساعد على كشف الكثير من الحقائق .

---

* شارك الباحث بهذا البحث فى ندوة "وثائق تاريخ مصر الحديث" ، التى عقدها سمنار قسم التاريخ بكلية الاداب - جامعة عين شمس فى ابريل ١٩٨٨ .

وبشكل خاص يزيد من قيمة المجموعات الوثائقية الالمانية تلك القدرة التنظيمية الهائلة التى يتمتع بها الشعب الألمانى ، والتى يترتب عليها عناية الفرد والدولة معا بالوثيقة الخاصة والعامة . كما تنعكس هذه العناية والاهتمام بالوثيقة على سير العمل داخل مبانى الأرشيف الألمانى حيث تتبع الأساليب العلمية فى تنظيم عالى المستوى للمجموعات الوثائقية مما يسهل للباحث الوصول الى هدفه فى وقت وجيز .

تأثرت مصر فى تطورها السياسى والاقتصادى والاجتماعى بالاحداث العالمية طوال القرن التاسع عشر ، وزاد الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ من جذب مصر الى حلبة التنافس الدولى . واذا نظرنا الى تطور تاريخ مصر منذ بداية القرن الحالى نجد أنه ارتبط الى حد كبير بالتنافس الانجليزى الألمانى من أجل السيطرة .

فبالنسبة للحرب العالمية الأولى اضطرت انجلترا الى فرض حمايتها على مصر مع نهاية عام ١٩١٤ وتبع ذلك عدة اجراءات من جانب بريطانيا كان لها أثر بعيد على مصر من كل الجوانب حتى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى . وكل ذلك انما كان من أجل مقاومة المنافس الالمانى.

وبالنسبة للحرب العالمية الثانية فقد سبقتها انجلترا بتوقيع المعاهدة الانجليزية المصرية لعام ١٩٣٦ التى ترتب عليها تغيرات سياسية واجتماعية خطيرة فى مصر أدت فى النهاية الى قيام الجيش بثورة ١٩٥٢ . وأثناء الحرب العالمية الثانية شهدت أرض مصر واحدة من أعنف المعارك التى وقعت بين الحلفاء ودول المحور ، كانت القاهرة فيها هدفا على وشك المنال للجيش الألمانى .

ولكل ذلك يعد الأرشيف الألمانى مصدرا هاما على وجه الخصوص لمن يكتب تاريخ مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، والوثائق الألمانية لا تقل أهمية عن الوثائق البريطانية بأى حال من الاحوال ، بل أن الوثائق الألمانية تكشف لنا بعض الغموض الذى لا يزال يكتنف العديد من الوقائع التاريخية بالرغم من تعرض الوثائق البريطانية المنشورة لها .

وبالرغم من هذه الأهمية للوثائق الألمانية الخاصة بتاريخ مصر ،

فان الأرشيف الألمانى ما زال يمكن وصفه " بالأرشف المجهول " أمام الباحثين المصريين .

فعلى مستوى الباحث ، هناك العديد من الملابسات التى أدت فى بعض الأحيان الى نقص معرفة الباحث المصرى بمحتويات ذلك الأرشيف وبالتالى عدم الاهتمام الكافى به ، وفى أحيان أخرى كثيرة أدت الى تجاهل كامل للوثيقة الألمانية عند كتابة تاريخ مصر فى الحرب العالمية الأولى والثانية .

تعد اللغة الألمانية أول عقبة تحول دون اقدام الباحث المصرى على الاطلاع على الوثائق الألمانية . واللغة التى هى من أهم مقومات البحث التاريخى التى يجب أن يتسلح بها الباحث يعتبرها البعض ضرورية فى حالة اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية عند دراسة تاريخ مصر الحديث والمعاصر وذلك لوجود علاقة مباشرة بين مصر وكل من انجلترا وفرنسا ، وهذه العلاقة المباشرة لم تتوافر بنفس القدر بالنسبة للعلاقات المصرية الألمانية . كما ينظر البعض الآخرالى تعلم اللغة الألمانية على أنه أمر لا يجدى من الناحية العملية بسبب انحسار هذه اللغة فى وسط أوربا ، ولعل هذا أحد أسباب عدم انتشار المعرفة باللغة الألمانية بين المصريين وخاصة الباحثين منهم . كما أن اللغة الألمانية لغة حديثة على التعليم المصرى ،فلم يتم ادخالها فى مراحل التعليم بجانب اللغات الأجنبية الأخرى الا منذ عام١٩٥٦(١) . فى حين أن تاريخ التعليم المصرى منذ عهد محمد على حافل بانفراد اللغة الانجليزية والفرنسية بالمدارس المصرية ، هذا علاوة على البعد الجغرافى الكبير الذى يفصل بين مصر وألمانيا .

من ناحية أخرى فان التفوق الفكرى والسياسى الذى تميزت به كل من انجلترا وفرنسا على غيرها من الدول الأوربية والعمق التاريخى للتنافس الانجليزى الفرنسى حول مصر الذى ترتب عليه وقوع مصر تحت الاحتلال ، ثم العلاقة الخاصة للطبقة المصرية المثقفة بكل من انجلترا وفرنسا سواء من خلال محاولة القوى الوطنية منها تحقيق الاستقلال

---

١) د.مصطفى ماهر : " حوار بين الألمان والعرب " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٣ .

تارة بتدويل القضية المصرية وتارة أخرى بثنائية تلك القضية، أو من خلال الاستفادة بقدر المستطاع من الوجود الانجليزى فى مصر . فان كل ذلك أدى الى أن يصبح توجه مصر الثقافى منذ بداية القرن التاسع عشر وجهة فرنسية فى بعض الفترات ثم وجهة انجليزية فى فترات أخرى. وكانت بعثات الحكومة المصرية ، التى ركزت على فرنسا وانجلترا ، أولى خطوات هذه التوجه فى تاريخ مصر الحديث ،ثم تلاها ذهاب الدارسين المصريين على نفقتهم الخاصة الى جامعات انجلترا وفرنسا لاستكمال دراساتهم الانسانية هناك حيث تشتهر تلك الجامعات فى الدراسات القانونية والدستورية بصفة خاصة ، وذلك فى ظل علو شأن دارسى العلوم الانسانية فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين .ولهذا السبب كان قادة الفكر والسياسة فى مصر بصفة عامة من خريجى الجامعات الفرنسية والانجليزية .

أما على مستوى الدولة ، فلم يتجاوز تطلع الحكومات المصرية الى ألمانيا مرحلة الاعجاب بالقدرة الاقتصادية لألمانيا أو الانبهار بتاريخها العسكرى . واذا كانت بعض محاولات الانفتاح على ألمانيا قد بذلت من جانب مصر منذ عام ١٩٥٢ لاسباب سياسية واقتصادية عديدة ، حيث أرسلت بعض البعثات الى الجامعات الألمانية ، فان هذه البعثات فى الغالب خصصت لدراسة العلوم البحتة والتطبيقية . وكما هو ملموس حتى الآن وبصفة عامة فان الحكومات المصرية قد تهتم بالصناعة الألمانية أو بتجربة بناء الاقتصاد الألمانى ، ولكنها بعيدة كل البعد عن الاهتمام بالدراسات التاريخية ، أو على الأقل بما يخص مصر من وثائق داخل قاعات الأرشيف الألمانى .

كما أن دور النشر الحكومية وغير الحكومية فى مصر يقتصر اهتماما واعتمادها على الوثائق البريطانية عند نشر الدراسات الخاصة بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ، كما تولى دور النشر فى جميع أنحاء العالم العربى عناية فائقة للحصول على الوثائق البريطانية ودراستها وتحليلها بالرغم من أن هذه الوثائق تعبر عن وجهة النظر البريطانية وحدها (٢) .

---

٢) د. رءوف عباس ، الاهرام الاقتصادى العدد ٨٨٨ ، ص ٣٧ .

واذا كانت الوثائق البريطانية لا تقدم صورة دقيقة لايقاع الأحداث فى مصر يمكن ان يطمئن اليها ضمير المؤرخ(٣) ، فان المنهج التاريخى يرفض التجاهل التام لمجموعات وثائقية هامة مثل الوثائق الألمانية عند التصدى لكتابة تاريخ مصر فى الحرب العالمية الأولى والثانية .

كذلك تبتعد بعض المدارس التاريخية المعاصرة عن الدراسات التاريخية المحلية أى التى تدور فى النطاق المحلى أو تلك التى تكتفى بالاعتماد على المصادر المحلية أو بعض مصادر القوى الاستعمارية القديمة . فالاتجاه الحديث لدراسة التطور التاريخى المحلى لدولة من الدول ، انما يعالج هذا فى اطار الرؤية العالمية الشاملة لحركة التاريخ ويرفض فصل الدراسة المحلية عن الأحداث العالمية ، حيث تتداخل العوامل وتتشابك الدوافع وتختلط الوقائع التاريخية(٤) .

ونستطيع أن نرصد موقف المؤرخ المصرى من المصادر والمراجع الألمانية فى ثلاثة مواقف محددة ، وذلك من خلال أهم الدراسات المنشورة التى تتعرض لتاريخ مصر المعاصر .

الموقف الأول : تجاهل بشكل تام لتلك المصادر والمراجع فى دراساتهم التاريخية ، وهؤلاء أغلبية بين الباحثين المصريين المعاصرين(٥) .

الموقف الثانى : تناول بعض المصادر والمراجع ، سواء باللجوء لترجمة بعض اجزائها من الألمانية الى العربية بواسطة طرف ثان أو الرجوع لما نشر عن تلك المصادر والمراجع الألمانية باللغة العربية وهو قليل . وهؤلاء قلة بين المؤرخين المصريين . وقد استفادوا بالدرجة الأولى من الدراسة القيمة التى خرج بها "لوكاز هيرزوبر" من الأرشيف الألمانى والتى ترجمها الى العربية الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى بعنوان " ألمانيا والمشرق العربى " والترجمة العربية

---

٣) نفس المصدر السابق .
٤) لمعى مطيعى ، "ارنولد توينبى" ص ٩٤ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .
٥) انظر : د.محمد جمال الدين المسدى وآخرون " مصر والحرب العالمية الثانية " الاهرام ، القاهرة ١٩٨١ .

مأخوذة عن النص الانجليزى لتلك الدراسة (٦) . كما يذكر فى هذا المجال الجهد الكبير الذى بذله الاستاذ خيرى حماد فى ترجمة ونشر الكتابات الألمانية عن اللغة الانجليزية الى اللغة العربية .

الموقف الثالث : الرجوع بشكل مباشر الى المصادر والمراجع الألمانية ، وهؤلاء أفراد قلائل ، توفرت لديهم امكانية استخدام اللغة الألمانية فى دراساتهم التاريخية . والدكتور محمد كمال الدسوقى يعد واحدا من هؤلاء ، وقد استقى الكثير من مادته التاريخية من خلال المصادر والمراجع الألمانية فى انجاز اطروحته التى تقدم بها الى جامعة برلين الحرة لنيل درجة الدكتوراة عام ١٩٦٣ تحت عنوان " هتلر والشرق الأوسط " (٧) .

واذا كان لنا ان نعتبر الأرشيف الألمانى بصفة عامة بما فيه من مصادر ومراجع - حتى الآن مجهولا للمؤرخ المصرى ، فمن الغريب أن الأرشيف المصرى ليس كذلك بالنسبة للمؤرخين الالمان المهتمين بالدراسات التاريخية حول مصر . فقاعات الاطلاع فى دار الوثائق القومية بالقلعة وفى قاعة الدوريات بمبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب وغيرها من قاعات البحث فى انحاء مصر تشهد من وقت لآخر تواجد باحث أو أكثر من الشرق والغرب ، يعكف على فحص وتحليل المصادر والمراجع المصرية المختلفة التى تعينه على كتابة دراسته ، وخاصة اذا كانت هذه الدراسة تدور حول تاريخ مصر الحديث ، وذلك لتواجد مصادر ومراجع هذه الفترة بحالة طيبة .

أما اذا كانت الدراسة تدور حول موقع مصر من الأحداث التاريخية المعاصرة ، فان المؤرخ الأجنبى بصفة عامة يفضل الاعتماد على المصادر والمراجع غير المصرية ، ذلك أن وثائق تاريخ مصر المعاصر فى الارشيف المصرى تفتقر فعلا الى الحصر والتنظيم علاوة على حظر الاطلاع على جزء كبير من القليل المتوافر فعلا فى دور الوثائق المصرية ، ومن هنا لا تصبح المراجع المصرية دقيقة بشكل كاف .

---

٦) لوكاز هيرزويز ، " المانيا الهتلرية و الشرق العربى " ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ .
٧) انظر :
M.K. El Dessouki, Hitler und der Nahe Osten, Diss. Berlin 1963

نشرت العديد من الدراسات التى تستقى مادتها العلمية من الوثائق الألمانية فى الدرجة الأولى فى الشرق والغرب ، ومنهادراسات تبحث فى سياسة ألمانيا تجاه بلدان الشرق الأوسط اثناء الحرب العالمية الأولى والثانية ، وقد خرجت بعض هذه الدراسات متأثرة بسياسة الدولة التى ينتمى اليها هذا أو ذاك الباحث .

وللمؤرخ الألمانى دور هام فى نشر وتحليل المجموعات الوثائقية التى يحتويها الأرشيف الألمانى . أما عن أهم الدراسات المنشورة التى تعرضت لتاريخ مصر المعاصر فى ضوء وثائق الأرشيف الألمانى . فتأتى اثنان منها فى المقدمة ، تبرز جهود الباحث عند الرجوع الى المجموعات الوثائقية الألمانية لدراسة تاريخ مصر المعاصر .

الأولى : هى الدراسة التى نشرها " هاينزتلمان " باللغة الألمانية عام ١٩٦٥ فى مدينة برلين الشرقية تحت عنوان " السياسة الألمانية تجاه العرب فى الحرب العالمية الثانية "(٨) .

وهذه الدراسة المطولة تنصب فى الدرجة الاولى على السياسة الألمانية ازاء الدول العربية خلال الحرب العالمية الثانية ،والباحث هنا لم يلجأ الى الربط بين تطور الموقف الدولى أثناء تلك الحرب وموقع الدول العربية منها عند تقسيم دراسته ، بل أنه ربط بين وقائع تلك الحرب فى القارة الأوربية وتحديد أبواب هذه الدراسة ، كما ربط بشكل ملفت للنظر الأحداث العسكرية لتلك الحرب وموقع الاتحاد السوفيتى منهاعند تحديد بداية ونهاية دراسته زمنيا .ولعل ذلك يرجع الى كون الباحث ينظر الى هذه الحرب من خلال رؤية ماركسية بحكم انتمائه الى دولة ألمانيا الشرقية .

عالج الباحث سياسة ألمانيا تجاه الدول العربية فى أربعة أبواب ، بدأها بخلفية تاريخية عن تلك السياسة حتى فترة الاعداد للحرب العالمية الثانية ، ثم تلك السياسة منذ قيام الحرب وحتى تسليم فرنسا (سبتمبر ١٩٣٩ - يونيه ١٩٤٠) ثم منذ توقف الحرب مع فرنسا حتى بداية الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفيتى (يونيه ١٩٤

---

٨) Heinz. Tillmann, Deutschlands Arabere politik im Zweiten-Weltkrieg, Berlin 1965.

- يونيه ١٩٤١) ، ويتوقف الباحث بدراسته عند الباب الرابع بالمعركة الفاصلة عند نهر الفولجا التى أوقفت الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفيتى (يونيه ١٩٤١ - يوليه ١٩٤٣) ، ويعكس هذا التوقف رؤية الباحث لتطور السياسة الألمانية فى المنطقة العربية ، على اعتبار ان عام ١٩٤٣ يمثل بداية انهيار الخطط الألمانية تجاه هذه المنطقة ، بل بداية هزيمة ألمانيا فى الحرب .

اعتمد " هاينرتلمان " فى اعداد دراسته على العديدمن المصادر السوفيتية والانجليزية والامريكية ، ولكن المجموعات الوثائقية الألمانية فى شرق وغرب ألمانيا تأتى فى مقدمة ما رجع اليه الباحث ، فقد رجع الى مجموعات الأرشيف الألمانى المركزى فى بوتسدام بألمانيا الشرقية ، ومجموعات أرشيف وزارة الخارجية الألمانية فى مدينة بون بألمانيا الغربية التى توافرت عند اعداد الدراسة . وقد أعطت وثائق أرشيف بوتسدام للدراسة قيمة خاصة ، حيث رجع الباحث الى مجموعة مراسلات وتقارير وزارة الخارجية الألمانية اثناء الحرب العالمية الثانية الموجودة بذلك الأرشيف والخاصة بمصر والدول العربية وأهمها[٩] :

Pol. VII, Arabien, Nr. 61123, Bd 1: Oktober 1940-April 1942.

" " " 61124, Bd 2: April 1942-Dezember 1942.

" " " 61125, Bd 3: ab Dezember 1942.

Wirtschafts politische Abteilung, Agypten, No.68425, ab Jun. 1937.

الثانية : الدراسة التى نشرها " بيرند فيليب شرودر" باللغة الألمانية عام ١٩٧٥ فى مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية بعنوان " ألمانيا والشرق الاوسط فى الحرب العالمية الثانية "[١٠] . وقد قسم الباحث الأبواب الثلاثة لتلك الدراسة حسب التقسم الاقليمى لبلدان الشرق الاوسط فخص العراق بجزء كبير منها ، ثم جعل بابا ثانيا لسوريا الكبرى ، ثم عالج السياسة الألمانية تجاه مصر كجزء

---

٩) انظر نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٣ .

١٠) Bernd Philipp Scheeder, Deutschland und Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg, Frankfurt, 1915.

من الباب الثالث الخاص بدول شمال افريقيا . ويتعرض الباحث فى الجزء الخاص بمصر الى المحاولات الألمانية للاتصال بالضباط الوطنيين داخل الجيش المصرى ، وحادث ٤ فبراير و السياسة الانجليزية خلال هذه الفترة ، ثم يستعرض بشكل سريع وقائع العمليات الحربية الألمانية فى شمال افريقيا . ومن أهم المجموعات الوثائقية و التى رجع اليها الباحث عن مصر فى الأرشيف السياسى لوزارة الخارجية الألمانية فى بون بألمانيا الغربية هى مجموعات التى تتضمن مراسلات القيادة السياسية العليا فى ألمانيا بخصوص الحالة فى مصر :

HA, Rltter: Agypten. 1942

HA, Rltter: Brief wechsel RAM und Ciano mit Grossmufti und Cailani (1940-1943)

كما رجع الباحث الى مجموعات الأرشيف الحربى فى مدينة فراى بورج بألمانيا الغربية وأهمها :

مجموعة "OKW 208" ومجموعة "OKW 1658" التى تحتوى على الخطط الألمانية الحربية فى شمال أفريقيا .

من الحقائق الجديرة بالتنويه أن الارشيف الالمانى طوال تاريخه وحتى الآن لم يعرف المركزية حتى فى ظل قيام الدولة الموحدة بل طالما توزع بين المدن الكبرى . ويرتبط تطور بناء الأرشيف الألمانى الى حد بعيد بالتطور الحربى و النشاط العسكرى و السياسى للأمة الألمانية سواء فى أوربا أو خارجها ، ويمكن لنا من خلال ذلك أن نقسم مراحل تكوين الأرشيف الألمانى الى مراحل خمس رئيسية :

المرحلة الأولى ١٨٠٦ - ١٨٧١ :

وهى التى بدأت بسقوط الامبراطورية الرومانية المقدسة ذات القومية الألمانية وانتهت بقيام الوحدة الألمانية . وقد تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار سواء بسبب الغزو الخارجى "الحروب النابليونية" أو من خلال التنافس الداخلى بين المقاطعات الألمانية نفسها أو بسبب المحاولات الفاشلة المتكررة لاقامة وحدة ألمانية .

وفى ظل هذا الاضطراب والانقسام لا توجد وثائق هذه المرحلة فى مكان واحد ، بل تنتشر وثائقها بين مكتبات عواصم المقاطعات القديمة .

وتعتبر مدينة فيينا ومدينة فرانكفورت من أهم المراكز التى يرجع اليها الباحث للاستعانة بأهم المجموعات الوثائقية عن هذه المرحلة. ويعرف أرشيف فيينا باسم Wiener Kriegsarchiv وفى مدينة فرانكفورت يعرف باسم
Die Aussenstelle Frankfurt/Main des Bundesarchivs.

المرحلة الثانية ١٨٧١ – ١٩١٨ :

وهى التى شهدت قيام الامبراطورية الألمانية " الرايخ الألمانى الأول " ، والحرب العالمية الأولى . أيضا فى هذه المرحلة لم يظهر أرشيف مركزى لتجميع وثائق الدولة الألمانية الموحدة ، بل توزعت المجموعات الوثائقية بين عواصم الولايات الألمانية وبين أفرع القوات المسلحة الألمانية وخاصة القوات البحرية . ومع العمليات الحربية فى الحرب العالمية الأولى تطلبت الحاجة اقامة مركز ابحاث ودراسات عسكرية ، احتوى على التقارير السياسية والحربية لتلك الحرب . وقد ظهر هذا المركز الى الوجود فى عام ١٩١٦ فى ادارة سلاح البحرية بمدينة برلين ، وظل المركز قائما كأرشيف هام لحفظ الوثائق حتى عام ١٩١٨ .

والمجموعات الوثائقية الألمانية للرايخ الأول تنتشر فى الوقت الحاضر فى عدة مدن فى شرق وغرب ألمانيا على الباحث أن يرجع اليها عند التعرض لهذه الفترة ، حيث يوجد فى مدينة ميونخ Kriegsarchiv Munchen ، وفى مدينة كارلسروه بألمانيا الغربية Generallandesarchiv وفى مدينة شتوتجارت بألمانيا الغربية Hauptstaatarchir ، وفى مدينة درسدن بألمانيا الشرقية Staatsarchiv Dresden ، وفى مدينة بوتسدام بألمانيا الشرقية Militaerarchiv der DDR Potsdam

المرحلة الثالثة ١٩١٩ – ١٩٣٥ :

وهى المرحلة التى شهدت قيام جمهورية فيمار (الرايخ الالمانى الثانى) وانفراد هتلر بالحكم . وفى اكتوبر ١٩١٩ انشىء أرشيف الرايخ فى بوتسدام Reichsarchiv Potsdam بالقرب من برلين ،

واحتوى هذا الأرشيف على أغلب مجموعات وثائق الدولة خلال تلك الفترة، وهى الوثائق السرية الخاصة بوزارة الحربية ، ووزارة الاقتصاد ، ووزارة الخارجية ، كما انشىء لهذا الأرشيف افرع فى مدن المانية أخرى اهمها مدينتى شتوتجارت ودرسدن .

والمجموعات الوثائقية الخاصة لتلك المرحلة والتى نجت من الحرب العالمية الثانية توجد فى الوقت الحاضر فى أرشيف درسدن بألمانيا الشرقية Staatsarchiv Dresden وأرشيف كوبلنز بألمانيا الغربية Militaerarchiv Koblenz وفى أرشيف مدينة فراى بوج بألمانيا الغربية Forschungsamtes Freiburg

المرحلة الرابعة ١٩٣٥ - ١٩٤٥ :

وهى تشمل اعادة بناء الجيش الالمانى والحرب العالمية الثانية . وفى هذه الفترة ظل أرشيف الرايخ فى بوتسدام قائما ، ولكن اقتصر دوره على تلقى وحفظ كل ما يرد اليه من وثائق وزارة الخارجية الالمانية ..وفى عام ١٩٣٦ أصبح أرشيف الرايخ فى بوستدام تابعا مباشرا لوزارة الخارجية ومكان حفظ وثائقها ، وانفصل منذ هذا التاريخ ولأول مرة فى تاريخ ألمانيا الأرشيف السياسى عن الأرشيف العسكرى ، وانشىء فى فبراير ١٩٣٧ أرشيف عسكرى خاص بالقيادة العامة ،والبحرية ، والطيران والقوات البرية فى نفس مدينة بوتسدام ، وانضم لهذا الارشيف العسكرى الجديد أفرع أرشيف الرايخ القديم فى مدينتى شتوتجارت ودرسدن ، وكذلك أصبحت مدينة ميونيخ مركز هام من مراكز الأرشيف العسكرى خلال هذه الفترة . وتوجد الوثائق العسكرية لهذا المرحلة فى الوقت الحاضر والتى نجت من غارات الحلفاء الجوية فى ثلاث مدن رئيسية يجب على الباحث الرجوع اليها للاستفادة مما يحتويه الأرشيف فيها من مجموعات وثائقية نادرة عن هذه الحقبة الزمنية . وهذه المدن حسب الاهمية هى كوبلنز بألمانيا الغربية وبها الآن Bundesarchiv Milit aer archiv Koblenz ومدينة فراى بورج بألمانيا الغربية وبها فرع من الأرشيف الفيدرالى Bundes archiv Militaerarchiv Freiburg ومدينة بوتسدام بألمانيا الشرقية حيث يوجد بها Militaerarchiv der DDR Potsdam

أما الوثائق الخاصة بوزارة الخارجية الألمانية خلال هذه المرحلة فتوجد فى الدرجة الأولى فى مدينة بون بألمانيا الغربية حيث يوجد بها الآن Des Politische Archiv des Auswaertigen Amtes وفى مدينة درسدن بألمانيا الشرقية حيث يوجد بها الآن Staatsarehir Dresden .

المرحلة الخامسة منذ ١٩٥٠ وحتى الآن :

وهى الفترة التى أعقبت اعلان قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية ، فبعد حوالى نصف العام من قيام هذه الدولة الألمانية الجديدة اتخذت حكومتها فى مارس ١٩٥٠ قرارا بتأسيس " الأرشيف الفيدرالى Bundesarchiv " فى مدينة كوبلنز . وفى البداية احتوى هذا الارشيف العسكرى على بعض الوثائق الالمانية التى سلمت من التخريب أو التى اهملها الحلفاء . وقد بدأ الارشيف الفيدرالى نشاطه الرسمى فى يونيه ١٩٥٢ ، وبمرور الوقت استطاع هذا الارشيف أن يجمع كما هائلا من الوثائق الخاصة بالدولة الألمانية والجيش الألمانى قبل عام ١٩٤٥ ، مما تطلب الامر فى أغسطس ١٩٥٥ أن ينشىء الأرشيف الفيدرالى بمدينة كوبلنز قسما خاصا بالأرشيف العسكرى Militaer archiv .وقد ظل الأرشيف الفيدرالى العسكرى وفرعه بعد ذلك " الأرشيف العسكرى " حتى عام ١٩٦٧ يقع تحت اشراف وزارة الداخلية الفيدرالية وحدها ، الا أنه وبعد أن نجحت الحكومة الألمانية منذ أواخر الخمسينات فى استعادة كل الوثائق الألمانية من الحلفاء الغربيين تقريبا ، أصبح الأرشيف العسكرى يخضع أيضا لاشراف وزارة الدفاع الفيدرالية . ولهذا السبب تأسس فى عام ١٩٦٧ فرع ثان للأرشيف العسكرى فى مدينة فراى بورج Freiburg لحفظ ونشر كل المجموعات الوثائقية الخاصة بالقيادة الألمانية والجيش الألمانى فى العهد النازى التى أعادها الحلفاء الغربيون الى ألمانيا الغربية ، وكذلك يضم أرشيف فراى بورج ملفات وتقارير الجيش الألمانى فى شمال أفريقيا ، والتى كانت قد سقطت فى يد الحلفاء فى العلمين وغيرها من جبهات القتال . ومنذ عام ١٩٦٨ أصبح أرشيف فراى بورج يتلقى وثائق وزارة الدفاع الفيدرالية الحالية لحفظها . كما أنشأت وزارة الدفاع الفيدرالية فى عام ١٩٦٨ بمدينة فراى بورج قسما خاصا للأبحاث العسكرية ويحتوى هذا القسم على

أوراق ومذكرات القادة الألمان فى الحرب العالمية الثانية .

تحاول الحكومة الألمانية بصفة مستمرة استعادة الوثائق الالمانية من الحلفاء وغيرهم من الدول بشتى الطرق ، ونجحت فى عام ١٩٧٧ فى أن تحصل على تقارير الملحقين العسكريين الألمان فى عواصم العالم وعلى أغلب أصول وثائق سلاح البحرية وسلاح الغواصات الألمانى التى كانت لدى بريطانيا وأودعت هذه الوثائق فى الارشيف العسكرى بمدينة فراى بورج . كما حصل أرشيف فراى بورج فى نفس الفترة تقريبا على صور الوثائق التى تحتفظ بها الولايات المتحدة الامريكية والخاصة بسلاح الطيران الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، كما تسلم أرشيف فراى بورج فى عام ١٩٨٥ شرائط ميكروفيلم لأجزاء من الوثائق الالمانية لدى فرنسا ويوغسلافيا وهولندا .

ما زال حتى الآن هناك الكثير من الوثائق الألمانية شديدة الاهمية تحتفظ بها العديد من دول العالم ، ويعتبر الأرشيف القومى الامريكى فى واشنطن من أهم المراكز التى تحتوى على مجموعات وثائقية المانية خارج المانيا . كما توجد وثائق المانية أخرى فى أنحاء متفرقة من الدول الأوربية تركتها الجيوش الألمانية هناك أثناء انسحابها الاضطرارى من تلك الدول ومنها الاتحاد السوفيتى وبلجيكا والمجر ورومانيا وفنلندا وبولندا .

امتدت الآثار الخطيرة للحرب العالمية الثانية التى أدت الى تمزق وانهيار الدولة الألمانية (الرايخ الثالث) لتشمل ايضا مراكز الارشيف العسكرى والسياسى المنتشرة فى تلك الدولة . فقد أصابت تلك الحرب محتويات هذه المراكز بضرر بالغ ، سواء بفعل الغارات الجوية المركزة للحلفاء على المدن الألمانية أو بفعل تدمير القيادة الألمانية نفسها لأوراقها مع اقتراب الهزيمة .

ففى فبراير ١٩٤٢ أصابت قنابل الحلفاء مبنى الأرشيف العسكرى فى مدينة بوتسدام واشتعل فيه الحريق وفقد من جراء ذلك مجموعات كبيرة من وثائق فرق الجيش الألمانى التى كانت تتواجد فى بولندا والنرويج وفرنسا اثناء الحرب ، وقد أمكن تعويض بعض المجموعات التى احترقت مما كان فى حوزة فرق الجيش من وثائق متشابهة عندما كانت

وفى ربيع عام ١٩٤٥ اغارت طائرات الحلفاء على مدينة برلين وغيرها من المدن الألمانية ، ودمر أرشيف المعلومات والتنظيم والادارة الملحق بالقيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة برلين فى احدى هذه الغارات ، وفقدت أغلب الوثائق الخاصة بالقيادة العامة التى كانت فى هذا الأرشيف وكذلك ملفات تجهيز وتشكيل الجيش الألمانى فى الحرب . وقد أدى عدم تركيز الأرشيف العسكرى الألمانى فى مدينة واحدة الى تكرار نفس الوثائق فى مدن أخرى وبالتالى تعويض ما دمر فى أرشيف المعلومات والتنظيم والادارة ، حيث بقيت مجموعات وثائق الارشيف العسكرى فى مدينة ميونيخ سليمة لتعطى صور دقيقة لما كان يدور فى القيادة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية .

من ناحية أخرى وبأمر من هتلر نفسه قبيل سقوط برلين فى يد الحلفاء تم احراق العديد من ملفات القادة والأوراق الشخصية الخاصة بكبار ضباط الجيش الألمانى . كما صدرت الأوامر الى قيادة أفرع القوات المسلحة من بحرية وطيران ومشاة لتدمير ما لديها من أوراق قبل أن تسقط فى يد الحلفاء . ولكن وبسبب الارتباك العام الذى أصاب قيادات أفرع القوات المسلحة عندما حلت الهزيمة ، لم يتمكن أغلب القادة من تنفيذ تلك الأوامر وبقيت بذلك الكثير من الوثائق العسكرية سليمة .

عندما انتهت الحرب واحتل الحلفاء ألمانيا ركزت القوات المنتصرة على مصادرة الوثائق الألمانية ، وقامت دول الحلفاء كلا على حدة بنقل ما وقع فى يدها من وثائق ألمانية وذلك لدراستها وتحليلها . فنقلت القوات الامريكية وثائق القيادة الالمانية التى استولت عليها من برلين الى مدينة واشنطن ومدينة الاسكندرية فى ولاية فرجينيا ، وقامت القوات البريطانية بنقل أغلب وثائق البحرية الألمانية الى لندن ، واقتسمت امريكا وبريطانيا وثائق سلاح الطيران الألمانى . كذلك قام الاتحاد السوفيتى بنقل وثائق أرشيف بوتسدام وغيره من الوثائق الى مدينة موسكو وغيرها من المدن السوفيتية (١١) .

تذكر بعض المصادر الألمانية المعاصرة أن القيادة النازية

---

١١) نشرة الأرشيف العسكرى فى مدينة فراى بورج .
Bundesministerium der Verteidigung. Issn 0171-3981

بذلت عدة محاولات لنقل أهم أوراقها السرية نحوالجنوب بعيدا عن مدينة برلين التى أصبحت هدفا للغارات الجوية من قبل طائرات الحلفاء بصورة مكثفة . وليس من المعروف على وجه الدقة عدد هذه المحاولات ، ولكن ما وصل الينا هو أنه هناك محاولتان كللتا بالنجاح امكن فيهما نقل كم كبير من الوثائق الهامة الى مكان أمين ، كما أنه هناك محاولة أخرى ثالثة لم يقدر لها النجاح فقدت فيها قدرا كبيرا من الملفات السرية الخاصة بالزعيم النازى هتلر وبعض قادة الحزب(١٢) .

وحدثت المحاولة الناجحة الأولى فى فترة مبكرة من سنوات الحرب العالمية الثانية ، حيث أمكن فى عام ١٩٤١ نقل الملفات الخاصة بتنظيم فرق العاصفة التابعة للحزب النازى الى مدينة زاسموكى Zasmuky فى اقليم بوهيميا Boechmen أحد أقاليم تشيكوسلوفاكيا الحالية ، وسقطت هذه الملفات فى يد القوات السوفيتية بعد ذلك . وحدثت المحاولة الناجحة الثانية فى منتصف عام ١٩٤٤ ، حيث أمكن نقل أجزاء من مجموعات وثائق سلاح الغواصات الألمانية الى Coburg فى الجنوب الألمانى ، واستولت القوات الامريكية على هذه الوثائق وسلمت بريطانيا بعضا منها .

أما المحاولة الثالثة فيذكر عنها أن هتلر قرب نهاية الحرب ، وبعد أن أصبحت الأجواء الألمانية تحت السيطرة الكاملة لقوات الحلفاء الجوية ، أمر فى ابريل ١٩٤٥ بنقل أهم ملفات القادة الالمان والحزب النازى فى طائرتين حربيتين الى مكان سرى فى الجنوب ، الا أن القوات الامريكية الجوية استطاعت اسقاط هاتين الطائرتين فوق ولاية بايرن فى الجنوب الألمانى واحترقت الطائرتان بما فيهما من ملفات .

ثم هناك محاولة أخرى مزعومة ، حيث يقال أن هتلر قد أمكنه بمساعدة شخص مجهول من اخراج مذكراته اليومية من مدينة برلين بعد أن حاصرها الحلفاء ، وقد تمكن هذا الشخص المزعوم من اخفاء هذه المذكرات فى مكان ما من أراضى ألمانيا ... وهذه الرواية خيالية ، كما لا يوجد أى دليل مادى حتى الآن يثبت وقوعها ، وقد حاولت مجلة ألمانية كبرى وهى مجلة النجمة الاسبوعية " Stern " فى ابريل

---

١٢) نفس المصدر السابق .

١٩٨٣ استغلال هذه الرواية المزعومة وبدأت فى نشر يوميات هتلر منذ مايو من نفس العام ، والتى قيل عنها آنذاك ان المجلة استطاعت الوصول اليها . وقد أحدث ذلك صدى واسع النطاق فى الاوساط السياسية والعلمية ، ولكن سرعان ما قيل أن هذه المذكرات مزورة بعناية بيد تاجر عاديات ألمانى واشترك فى هذا التزوير أحد محررى المجلة نفسها، واشتهرت هذه الفضيحة الصحفية فى النصف الثانى لعام ١٩٨٣ بفضيحة " يوميات هتلر المزورة "(١٣) .

يسهل على الباحث الرجوع الى المجموعات الوثائقية الالمانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الموجودة فى الأرشيف الألمانى الغربى ، فى حين ما زالت هناك صعوبات تواجه الباحث وخاصة الاجنبى فى الاطلاع على مجموعات الأرشيف الألمانى الشرقى . ولذا يتوجه أغلب الباحثين الراغبين فى الرجوع الى المصادر الألمانية الى مراكز الأرشيف الألمانى الغربى ، حيث أن المجموعات الوثائقية التى تحتويها هذه المراكز يسمح حسب اللوائح السارية بالاطلاع عليها ونشرها دون حظر أو تعقيدات .

ينقسم الأرشيف الألمانى الغربى فى الوقت الحالى الى " الأرشيف السياسى " ومقره مدينة بون وهو تابع لوزارة الخارجية ، ثم" الارشيف العسكرى " ومقره مدينتى كوبلنز وفراى بورج وهو تابع لوزارة الدفاع. ومن المفيد التعرف على كيفية رجوع الباحث الى كل أرشيف على حدة ، وأهم محتويات كل أرشيف من المجموعات التى تتعلق بتاريخ مصر المعاصر.

أولا : الأرشيف السياسى :

وعنوانه :

Politisches Archiv des Auswaertigen Amtes Postfach 1148-5300 Bann 1-W. Germany.

ويحتل هذا الأرشيف الطابق الأرضى من مبنى وزارة الخارجية الألمانية الواقع على نهر الراين فى مدينة بون ، وتوجد به قاعة اطلاع تستوعب ٢٥ باحثا تقريبا .

---

١٣) انظر مجلة Stern الالمانية :

"Stern" Nr. 18, Nr. 19 - 1983.

ومحتويات الارشيف السياسى متاحة للباحثين (ما فوق الدكتوراة) الراغبين فى الاطلاع عليها بغرض الابحاث العلمية أو أبحاث الترقية ، أما طلاب الدراسات العليا فيسمح لطلاب الدكتوراة بالاطلاع بعد تقديم خطاب بذلك من الاستاذ المشرف . وعلى الراغب فى الاطلاع أن يتوجه بطلب كتابى على عنوان الأرشيف باللغة الأوربية التى يجيدها ، يحدد فى ذلك الطلب المدة الزمنية للاطلاع ، والأطار العام لموضوع الدراسة ، وارقام المجموعات الوثائقية . وبالنسبة للباحث الاجنبى بشكل عام عليه احضار خطاب تزكية من الهيئة الدبلوماسية التى تمثل بلده فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، والمستشار الثقافى المصرى فى بون فى هذه الحالة يمكن الرجوع اليه للحصول على خطاب تعزيز للباحث ، وهذه فى العادة خطوة متأخرة يمكن ارجاؤها الى ما بعد الحصول على الموافقة المبدئية من الأرشيف نفسه .

والأرشيف السياسى يقوم بالرد الايجابى على الباحثين الراغبين فى الاطلاع طالما أن مجموعات الوثائق المراد الرجوع اليها لا تخضع للحظر وعندما يتعهد الباحث بأن يلتزم بنظام الأرشيف المعمول به داخليا . وتعتبر كل المجموعات الوثائقية الألمانية الصادرة قبل مايو ١٩٤٥ قابلة للنشر ومتاحة للاطلاع عليها بحرية دون قيود حظر ، أما مجموعات وثائق ما بعد ١٩٤٥ فيمكن الاطلاع عليها بتصريح خاص من الأرشيف بشرط ألا يسبب الرجوع اليها أى مشاكل سياسية للدول أو للافراد .

ومجموعات الوثائق الرسمية بشكل عام طبقا لقانون حفظ الوثائق تخضع لحظر الاطلاع والنشر مدة ٣٠ عاما وهى الفترة المغلقة أمام الباحث . وبالرغم من مرور فترة ٣٠ عاما على مجموعات الوثائق فللأرشيف حق عدم السماح بالاطلاع على الوثائق التى تمس الاشخاص الذين على قيد الحياة أو مصالح الدولة الألمانية (١٤) .

أما بالنسبة للوثائق الغير رسمية قبل وبعد ١٩٤٥ الخاصة والشخصية لبعض موظفى الدولة أو مذكرات بعض الساسة الألمان أو أوراق الشخصيات التى لعبت دورا هاما وبارزا فى الحياة الألمانية العامة ، والتى

---

١٤) اللائحة التنظيمية للأرشيف السياسى
Benutzungsordnung fur das Pol. Arch. 1.DEZ. 1978.

يحتوى الأرشيف السياسى على قدر كبير منها ، فهى تخضع لحظر الاطلاع والنشر طبقا للمدة التى يحددها أصحابها أو ورثتهم والتى تقع بين ٥٠ و ٣٠ عاما . ولا يملك الأرشيف تعديل مدة الحظر التى يشترطها أصحاب هذه الوثائق عند ايداعها فى الأرشيف السياسى(١٥) . وأهم ما بهذا الارشيف من مذكرات شخصية تهم الباحث المصرى هى المجموعة المعروفة باسم مجموعة ميلشرز W.Melchers رقم ٦٣٩٤ ، الذى كان مسئولا عن القسم الشرقى بوزارة الخارجية الألمانية حتى عام ١٩٤٥ .

والأرشيف السياسى كونه المصدر المتاح امام الباحثين ، والذى يحتوى على أغلب الوثائق السياسية الرسمية للدولة الألمانية من ١٨٦٧ الى ١٩٤٥ ، يسمح للباحث بالحصول على صور الوثائق التى يطلبها أو على ميكروفيلم لمجموعات وثائقية كاملة وذلك على نفقة الباحث .

ولسهولة رجوع الباحث الى المجموعات الوثائقية فهناك نوعان من السجلات أو الفهارس باللغة الانجليزية لأرقام مجموعات الارشيف السياسى ، وهذه السجلات موجودة فى أغلب الجامعات الاوربية الكبيرة والمكتبات العامة . النوع الأول وهو المعروف بفهرس " OXFORD " الصادر عام ١٩٥٩ وهو يحتوى على قائمة بأرقام مجموعات الوثائق للفترة الزمنية الواقعة بين عامى ١٨٦٧ - ١٩٢٠ . أما النوع الثانى فهو المعروف بفهرس " KENT " الصادر فى عام ١٩٦٦ وهو يحتوى على قائمة بأرقام مجموعات الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٠ - ١٩٤٥(١٦) .

وطريقة سجلات "OXFORD " و " KENT " وكذلك فهارس الأرشيف السياسى الداخلية هى الاختزال ، أى الاشارة بالأحرف الأولى الى عناوين المحافظ والملفات تحت الترتيب الهجائى لاسماء الدول . ومعرفة الباحث باختصارات هذه المسميات ومعانيها تعينه بلا شك على الوصول دون عناء الى المجموعات الوثائقية المراد الاطلاع عليها . وتشمل القائمة التالية اختصارات أهم مسميات مجموعات وثائق التاريخ المعاصر التى تهم الباحث المصرى .

---

(١٥) نفس المصدر السابق .
(١٦) نشرة الارشيف السياسى :
Merkblatt fur die Benutzung des Pol. Arch. 117-251.

الأرشيف السياسى لوزارة الخارجية .

PoL. Arch.= Politisches Archev des Auswaertfgen Amts.

محافظ وزير خارجية الرايخ .

RAM= Akten des Reichsaussen ministers.

محافظ وكيل الوزارة .

STS= Aken des Unterstaatssekretaers.

محافظ وكيل الوزارة المساعد .

USTS = Akten des Unterstaatssekretaers.

HA = Handakten. ملفات تقارير

Chef A/O=Aktenobs محافظ قيادة الجهاز الخارجي للحزب النازى

Chefs der Auslandsorganisation der NSDAP.

محافظ السياسة الخارجية الألمانية

(١٧) ABSP= Akten Zur Deutschen Auswaertigen Politik.

هناك العديد من المجموعات الوثائقية الخاصة بتاريخ مصر المعاصر ضمن محتويات الأرشيف السياسى هى :

مجموعات التقارير السياسية :

وتضمن الاتصالات الألمانية مع الملك فاروق ، والاساليب السرية التى اتبعها فاروق حتى تمكن من أن يقيم جسرا من التفاهم مع المحور مع اقتراب رومل من الحدود المصرية ، وذلك عبر رجاله المقربين من وراء ظهر الانجليز ، وكيف كانت هذه الاتصالات تدورفى طهران واستانبول، وما شهدته باريس فى عهد حكومة فيشى من أهم الاتصالات بين رجال

---

١٧) انظر فهرس "Kent"

Cataloug of Files and Microfilms of German.
Foreign Ministry Archives 1920-1945. Comp. anded. by George O. Kent, Vol.1 111, Stanford/Calif. 1962-66.

فاروق والحكومة النازية . وتتناول هذه التقارير موقف الجيش المصرى من المعركة الدائرة بين قوات المحور والانجليز غرب الأراضى المصرية، واحتمالية وقوف الجيش والشعب المصرى بجانب جيش روميل فى حالة اختراقه للاراضى المصرية ، وكذلك تفاصيل محاولات بعض ضباط الجيش المصرى الاتصال بجيش روميل غرب السلوم ومنها محاولة محمد رضوان فى يوليه ١٩٤٢ ، ورد فعل القيادة الألمانية تجاه هذه الاتصالات سواء من جانب فاروق أو من جانب ضباط الجيش المصرى . كما تشمل هذه التقارير على الاتصالات التى كانت تدور بين وزارة الخارجية الالمانية وبين بعض الامراء المصريين ومحاولات الملك فاروق لوقف هذه الاتصالات وخاصة تلك التى جرت بين خديوى مصر السابق عباس حلمى الثانىووزير خارجية ألمانيا . وكذلك موقف الانجليز من القصر والاحزاب المصرية فى ضوء الحرب وأزمة ٤ فبراير ، وموقف ألمانيا من مسألة الحكم فى مصر ومن القوى السياسية المصرية والخطط الألمانية تجاه مختلف جوانب المسألة المصرية فى حالة دخول روميل للقاهرة .

كما تحتوى هذه التقارير على مجموع المكاتبات الألمانية الايطالية بشأن الاوضاع فى مصر ، والمراسلات التى جرت بين وزارتى الخارجية فى البلدين حول مصر ، ومراحل تبادل وجهات النظرفى مشاريع ونصوص الاتفاقات من أجل تقسيم النفوذ فى مصر بين القوتين ، وهذه التقارير تفصح عن حقيقة الاطماع الاستعمارية التى كانت تدور فى اذهان ساسة روما وبرلين(١٨) .

مجموعات المراسلات السياسية :

وهى تهم الباحث المتخصص فى تاريخ العرب المعاصر بصورة مباشرة، حيث تضم المراسلات التى تمت بين حكومة رشيد عالى الكيلانى والحكومة

---

١٨) انظر المجموعات التالية :

HA. Ettel, 2, "Koenig Faruk", 1942-1943.
HA. Ettel, 6, "Grossmufti allgem"., 1942-1944.
Buero STS. 211, "Aegypten" 1939-1943.
USTS, 1, "Aegypton", 1941-1943.

الألمانية ، والخطط الألمانية من أجل دعم الكيلانى فى بغداد ، وحجم التدخل العسكرى الألمانى أثناء ثورة الكيلانى ضد الانجليز -ومجموع مراسلات البعثات الدبلوماسية الألمانية فى كل من بغداد وطهران وانقرة والرياض الى وزارة الخارجية فى برلين حول القوى السياسية فى المنطقة العربية . كما تشمل هذه المجموعات على نصوص اتفاقات الصداقة التى تم التوصل اليها بين الكيلانى والحكومة الألمانية لتنظيم العلاقة بين الجانبين .

كذلك تحتوى هذه المجموعات على الخطابات المتبادلة بين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ورشيد الكيلانى من جانب وبعض الشخصيات القيادية الألمانية ووزارة الخارجية فى برلين من جانب آخر . والمحادثات التى جرت بين الجانب العربى والجانب الألمانى اثناء لجوء الحسينى والكيلانى لدول المحور من أجل تنظيم سبل التعاون بين الجانبين . كما تكشف هذه المجموعات عن حقيقة موقف الحكومة الالمانية والايطالية من الشعوب العربية ، ومشكلة فلسطين ، والمستقبل السياسى للاقطار العربية فى حالة انتصار المحور فى الحرب .

وتشمل كذلك تقييم القيادة الألمانية لحجم الدور الذى يمكن أن يلعبه الكيلانى والحسينى والقوات التابعة لكل منهم فى خدمة المجهود الحربى للمحور فى الشرق .

كما تشتمل هذه المجموعات على طرق بناء وتنظيم المقاومة العربية ضد الحلفاء بقيادة الحسينى والكيلانى بتوجيه من برلين وروما ، والمراسلات التى تمت بين الادارات المختلفة فى ألمانيا بعضها البعض وبين برلين وروما حول المقاومة العربية ، وصور التنافس الشديد بين الحسينى والكيلانى من أجل الانفراد بحق تمثيل العرب لدى المحور ، ونشاط الحسينى والكيلانى السياسى فى عواصم المحور ، واسلوب معيشة هؤلاء وجماعاتهم فى ألمانيا وايطاليا ، وأوجه الانفاق ، والمرتبات الشهرية المدفوعة لهم من جانب المحور . علاوة على المنشورات الدعائية الموجهة الى البلاد العربية سواء تلك التى كانت تصدر عن الحسينى والكيلانى أو برلين وروما ، ونسخ المنشورات العربية الموجهة الى الجماهير العربية (١٩) .

---

١٩) انظر المجموعات التالية :

Handakten, Ettel,4, "Grossmufti", 1942-1943.

Handakten, Ettel,5, "Grossnufti", 1942.

Handakten, Ettel,ÎÎ,"Laender des arab-Raumes im nahen Osten".

ثانيا : الأرشيف العسكرى :

يعد فرع الأرشيف العسكرى فى مدينة فراى بورج Freiburg هو المركز الهام للباحث المصرى المتخصص فى تاريخ مصر المعاصروعنوانه هو :
Bundesarchir/Militaerachiv-Wiesentalstr. 10
7800 Freiburg/Br.

وللكم الهائل من المجموعات الوثائقية التى يحتويها هذا الارشيف فإنه يتكون من ثلاثة مبان ضخمة على أطراف المدينة ، وفى الطابق الثانى من المبنى الأول يستقبل الأرشيف جمهور الباحثين حيث يوجد به قاعة اطلاع تسع ١٤ باحثا . وهذا الأرشيف متاح لجميع الباحثين سواء الدراسات العليا أو غيرها . وعلى الباحث أيضا قبل أن يذهب الى هناك أن يراسل ادارة الأرشيف حتى يحصل على موافقة بالاطلاع . وتعتبر موافقة ادارة الأرشيف مؤكدة اذا أراد الباحث الاطلاع على مجموعات وثائق ما قبل مايو ١٩٤٥ .

أما مجموعات وثائق ما بعد مايو ١٩٤٥ ، فهى تخضع بصفة عامة لقانون الحظر وهو ٣٠ عاما من تاريخ صدور الوثيقة ، علاوة على أن ادارة الأرشيف قد تمنع الاطلاع على بعض المجموعات التى صدرت بعد ١٩٤٥ بالرغم من انقضاء ٣٠ عاما(٢٠) .

أما بالنسبة للمذكرات الشخصية فيحتوى هذا الأرشيف على قدر هائل منها مثل مذكرات القادة العسكريين المشهورين من أمثال مولتكه "Moltke" ، وتعتبر المذكرات الصادرة قبل ١٩٤٥ متاحة للاطلاع عليها ، أما تلك الصادرة بعد هذا التاريخ فهى كما فى حالة الارشيف السياسى تخضع لمدة الحظر التى يقررها اصحابها أو ورثتهم عند تسليمها للأرشيف العسكرى .

---

٢٠) انظر نشرة الارشيف العسكرى :
Benutzung sordnung , 11 SEP. 1969-K3-32515/1.

وهناك مجموعة هامة من المذكرات الشخصية بالارشيف تهم الباحث المصرى وهى المجموعة المعروفة بمجموعة فارمباخر W. Fahrmbacher رقم ٩٤١ الذى كان يرأس مجموعة الخبراء العسكريين الألمان فى مصر منذ عام ١٩٥٢ •

وللأرشيف العسكرى فهرس داخلى لمجموعات الوثائق الرسمية الصادرة قبل ١٩٤٥ ، وآخر المجموعات والاوراق والمذكرات الشخصية • وفهرس المجموعات الرسمية قسم حسب مسميات افرع القوات المسلحة الالمانية قبل ١٩٤٥ ، اما فهرس المذكرات الشخصية فيتبع طريقة الترتيب الهجائى لاسماء اصحاب هذه المذكرات ، وهناك اختزال لمسميات مجموعات الوثائق الرسمية ، واهم ما يخص الباحث المصرى منها هى :

محافظ القيادة العليا للقوات المسلحة •

OKW= Akten des oberkommandos der Wehrmacht.

محافظ الفيلق الثامن والستين (فيلق افريقيا)

LXVIII. A.K.= Akten des archtundsechzigsten Armeekorps.

القوات المسلحة للرايخ الثالث ،

BW= Reich-Wehr macht.

يحتوى الارشيف العسكرى فى فراى بورج على محافظ خاصة بالفيلق الذى قاده رومل فى شمال افريقيا وهو المعروف اختصارا A.K. (Afrikakorps.) أى فلق افريقيا • وهذه المحافظ تحتوى على اعداد وتشكيل هذا الفيلق ، والخرائط والخطط الحربية لهذا الفيلق ، والمراسلات المتبادلة بين رومل والقيادة العامة للقوات المسلحة فى برلين ، كذلك هناك محافظ تحتوى على كم هائل من الصور التاريخية للعمليات الحربية لهذا الفيلق فى شمال افريقيا وغرب الاراضى المصرية ، ثم هناك ارشيف خاص بافلام وثائقية عسكرية نادرة عن المعارك العسكرية التى خاضها هذا الفلق فى شمال افريقيا ،

من المدهش أن نتبين من خطط رومل انه كان يرمى الى اختراق الاراضى المصرية جنوب بنى سويف حتى يقطع خطط الانسحاب امام القوات الانجليزية نحو السودان • كذلك حتى يتفادى غمر أراضى الدلتا الطيبة بالمياه ،

وهذا بخلاف ما يعتقده الكثير من الباحثين ، من أن رومل كان سيندفع من العلمين الى الاسكندرية ثم القاهرة . كذلك هناك محافظ خاصة بتنسيق قيادة قوات المحور فى شمال افريقيا بين الالمان والايطاليين وتشمل هذه المحافظ على المراسلات التى تمت بين برلين وروما بهذا الخصوص . وهناك أيضا محافظ خاصة بفرع المخابرات التابع لفيلق افريقيا وتشمل على المهمات السرية التى قامت بها المخابرات الألمانية فى شمال افريقيا وعلى الاتصالات السرية التى جرت مع بعض الشخصيات المصرية (٢١) . ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد فى محافظ المخابرات ما يشير الى دور الجاسوس الالمانى هانز ابلر "Hans Eppler" الذى أشار اليه السادات كثيرا فى كتابه البحث عن الذات (٢٢) .

وهذا الجاسوس نفسه نشر مذكرات له بعد صعود نجم السادات تحدث فيها عن مهمته السرية فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية .

وبعد . ومن هذا العرض الموجز عن الأرشيف الالمانى ومحتوياته يتبين لنا أنه فى الوقت الذى كانت مصر تحتل فيه أهمية خاصة فى الاستراتيجية الألمانية فى الحرب العالمية الثانية من خلال الصراع الاستعمارى بين ألمانيا وانجلترا بشكل خاص وذلك الصراع بين المحور والحلفاء بشكل عام ، نجد أن محتويات الأرشيف الألمانى عن مصر مازالت لا تلقى العناية الكافية من جمهور الباحثين المصريين لاسباب فى الغالب خارجة عن ارادتهم . ولكن محتويات هذا الارشيف جديرة بالاطلاع لاهميتها عند كتابة تاريخ مصر المعاصر وخاصة فى الحقبة التى كانت فيها مصر تحتل مكانا هاما فى السياسة الالمانية .

* * *

---

٢١) انظر المحافظ التالية بالارشيف العسكرى : OKW 208, 1658.

LXVIII. A.K./33202/2, 33202/3.

٢٢) أنور السادات " البحث عن الذات " ، الاهرام ١٩٧٨ .

الرقيق الأفريقى بالحجاز
فى النصف الأول من القرن العشرين

د. عبد العليم على أبو هيكل
كلية الآداب - جامعة القاهرة

تضرب الصلات العربية الأفريقية بجذورها فى أعماق التاريخ، متخذة فى أشكالها ووسائلها أساليب شتى ، وتبلورت من خلال تلك العلاقة مسألة الاسترقاق[1] .

ومع تعدد أسباب الاسترقاق كالحرب والفقر والجريمة والخطف ، فقد فتح الاسلام أبوابا متعددة لتحرير الرقيق ، الا أن تلك الأبواب ظلت فى مجملها محصورة بنطاقها الدينى ، ثم دخلت مسألة الرقيق حيز الاهتمام العالمى ، كظاهرة استفحل أمرها عندما قادت انجلترا مواكب التصدى للاسترقاق عام ١٨١٥ م ، تلبية لطموحها الرأسمالى واستجابة لمتطلبات المرحلة ، بعد ذلك ، مغلفة دعواها للتحرر بالشعارات الانسانية .

** <u>الأسباب الرئيسية لاستمرار تدفق الرقيق الى الحجاز</u> :

على أن خطوات استفحال ظاهرة الاسترقاق أو الحد منه لم تتتابع فى طريقها الذى رسمته انجلترا ، ومن تبعها ، كما حلو لهم بل تدخلت فيه عوامل متعددة محلية وعربية وأفريقية ، برز فيها الحجاز كمنطقة من مناطق استقطاب خصبة للرقيق بصورة عامة والأفريقى منه بصورة خاصة .

فمع موقع الاقليم الجغرافى باعتباره الواجهة الغربية لشبه الجزيرة العربية ومواجهته لساحل أفريقيا الشرقى ، أضحى الحجاز مرتكزا طبيعيا ومصبا مناسبا للرقيق ، بعيدا عن التوغل فى أعماق الصحراء كسبيل للتجار القادمين من عمان أو اليمن باتجاه الشمال بعيدا عن صحراء (الربع الخالى) فقد اعتاد التجار اتباع الطريق الساحلى من مسقط حتى صنعاء ومنها الى مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبار الآخيرتين مراكز رئيسية لجزيرة العرب - كما حددها (البكرى)

---

١) حمزة (فوءاد) - قلب جزيرة العرب - ط ٢ - الرياض ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م - ص ٩٧ .

فى الممالك والمسالك[٢] وبأهم خصائص الطرق كوفرة المياه وامتداد العمران .

وبلغت فوضى الاقليم ذروتها بدأ من عهد (عون الرفيق) مرورا بالحسين بن على وابن سعود ، عندما تقوقع هوءلاء داخل اهتمامات اما شخصية أو قومية أو أسرية صرفتهم عن الاهتمام لمواجهة - ظاهرة الاسترقاق[٣] .

ففى عهد عون الرفيق الذى بدأ عام ١٨٨٢م وصلت الفوضى ذروتها ، بتواطئه مع الآستانة والنزاع بين أفراد أسرته[٤] وجاء الحسين بن على ليصب اهتماماته نحو قضايا أخرى بعيدة عن معالجة شؤون الحجاز ، وتضارب بنيانه اجتماعيا واقتصاديا واداريا[٥] .

ورغم نجاح ابن سعود فى تقويض حكم الاشراف عام ١٩٢٦ م فلم يكن باستطاعته التوغل بقوة داخل عناصر البنيان الداخلى بالاقليم من (أهل الحل والعقد) كالتجار والاسر والقبائل - الذين كانت ثمار الغالبية العظمى من عمل الرفيق تذهب اليهم ، وظلت السطحية فى شكل الحكم - سمة مميزة للنظام ، مع فارق بسيط عن حكم الأشراف ، تمثل فى رغبة عبد العزيز نفسه الابتعاد عن الاصطدام بواقع الحجاز داخليا ، ولادراكه مدى الحساسية التى حكمت مقدرات العلاقة بين أقاليم مملكته المتنوعة والمتباينة فى آن واحد[٦] .

ومن هنا وقع ابن سعود فى حيرة من أمره بين ضغوط تلك القوى المحلية والرواسخ الاجتماعية التى دعمت سيادته بالاقليم وبين الضغوط الخارجية خاصة من قبل بريطانيا حاملة شعار مقاومة الرقيق ، والدولة الأكثر حضورا بالمنطقة .

---

٢) الغنيم (دكتور عبدالله يوسف) - تحقيق ودراسة كتاب جزيرة العرب من الممالك والمسالك للبكرى - ط ١ - الكويت -١٩٧٧- ص ١٤٩ .

٣) De Gaurry, Rullers of Mecca, London, 1950, P. 275.

٤) موسى (سليمان) - الحركة العربية ١٩٠٨/١٩٢٤ - ط ٢ - بيروت ١٩٧٧ - ص ٤٥ .

٥) De Gaury, Op.Cit., P. 275.

٦) D.S.A. 890/F. 00/8, Crowing Modernization of Hejaz Despatch of U.S. Consul, Aden to Secretary of State, 23/1/1928.

على أنه من الخطأ بمكان القاء وزر هذا التدفق لاعداد الرقيق على كاهل النظام العام للحكم فقط خلال تلك الفترة دون الأخذ بعين الاعتبار للخلفية الدينية والتاريخية والاجتماعية للحجاز .

فمع العمق الزمنى لانتشار الرق حتى قبيل الاسلام واختلاط العوامل الدينية بالظواهر الاجتماعية خلق بالضرورة ظروفا مشجعة للاسترقاق داخليا ومن العناصر الخارجية التى شجع تدفقها وجود الاماكن الاسلامية المقدسة من الافارقة مع غيرهم من الجنسيات الأخرى(٧) والبقاء والاقامة حولها . اما بدافع العاطفة أو لعجز السلطات المسئولة ذاتها التصدى لظاهرة تخلف الحجيج ، عندما اضطرت الحاجة المالية للفقراء منهم دخولهم الرق أو بيع أبناءهم للأسر الحجازية ، ظنا بمثوبة البقاء بجوار تلك الاماكن أو لرتابة الحياة الاقتصادية وانعدام فرص العمل بالأقليم فى ذلك الوقت .

واغتنمت معظم الأسر الحجازية والقبائل تلك الفرصة فى التزود من هؤلاء ، خاصة مع رخص ما يدفع لشراء العبيد ، ولأهداف اجتماعية أو حرفية ، أو أمنية وعسكرية على نحو ما سنرى(٨) مع نفور سكان الحجاز - كبقية معظم كيانات الجزيرة العربية - من العمل الحرفى والأعباء الشاقة ، مما فتح الباب على مصرعيه أمام الاسترقاق .

ثم جاءت الخطوات الاولى للبحث عن البترول فى أرجاء الجزيرة لتضيف عاملا من عوامل استمرار هذه الظاهرة ، مع استغلال العوامل السابقة فى ترفع سكان المنطقة عن القيام بمثل تلك الاعمال اليدوية(٩).

ويحكى أحد الرحالة (ولفريد شيسيجر ، W. Thesiger) أثناء جولته فى واحة (البوريمى) عقب الحرب العالمية الثانية ، أنه وجد رجلا يدعى (دعلى المرى) وبرفقته ما يقرب من الخمسين عبدا أفريقيا أخذهم معه من الحجاز الى الاحساء للقيام باعمال الحفر هناك(١٠) .

---

٧) F.O. 141/497, Memorandum on slavery in Saudi by A. Ryan 15/5/1934.

٨) صحيفة البلاد السعودية - (ملامح الحياة الاجتماعية بالحجاز فى ١٤ هـ - الاعداد من ٦٧٠١ الى ٦٧١٥ - محمد على مغربى - مارس ابريل ١٩٨١ .

٩) أم القرى - السنة ٧ - (حديث لحافظ وهبه فى الجمعية الأسيوية - بلندن) العدد ٣٣٤ ، ٢٠ ذى الحجة - ١٣٤٩ هـ / ٨ مايو ١٩٣١ م .

١٠) شيسيجر (ولفريد) - رمال العرب - ترجمة نجدة هاجر وآخر - بيروت ١٩٦١ - ص ٢٨٠ .

على أن الحجاز بأوضاعه السياسية والاجتماعية والدينية لم ينفرد بتفاعلاته تلك ليشكل سببا أو ظاهرة للاسترقاق ، لولا وجود عوامل أخرى على الجانب الأفريقي ساعدت على تلك الاستمرارية للرق ، عندما أجج الاندفاع الأوربى المحموم نحو القارة أسباب التنافس بين تلك القوى الخارجية (١١) واستطاعت القوى المحلية النفاذ بين ثغرات تضارب المصالح الأوربية ، خاصة فى أثيوبيا ، وليستثمر الامراء وشيوخ القبائل والتجار تلك الفوضى بالاستمرار فى تجارة الرقيق ، مع ما رافق هذا من انتشار تجارة الاسلحة النارية منذ أواخر ق ١٩ (١٢) .

وشهدت المستعمرات الصومالية الثلاث المتجاورة أقصى درجات الفوضى

---

١١) انفصلت زنجبار عن عمان منذ عام ١٨٦١ ، وفى عام ١٨٩٠ أعلنت الحماية البريطانية على الجزء الأوسط منها طبقا لاتفاق عقدته انجلترا مع المانيا وفرنسا ، وفى عام ١٩١٣ أصبحت زنجبار كلها من اختصاص وزارة المستعمرات ، وعندما أرغمت القوات المصرية عام ١٨٨٥ على اخلاء جميع الموانئ التى تطل على البحر الاحمر عدا - سواكن - ومع تردد الباب العالى فى احتلال ثغرى - زيلع وبربره - بادرت بريطانيا باحتلالهما .
أما فرنسا فقد ابتاعت - ميناء أوبوك " Obok " - عام ١٨٨٣ وعقدت معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٨٨ ، اعترفت فيها فرنسا بنفوذ البريطانيين فى الصومال البريطانى حتى حدود - دونجاريتا)بينما اعترفت بريطانيا لفرنسا بنفوذها فى خليج تاجورا - ثم استغلت - الاخيرة عدم امتداد نفوذ امبراطور اثيوبيا يوحنا الرابع نحو - الاوجادين - فيما وراء الصوماليين - البريطانى والايطالى - لتتخذ من تلك المنطقة قاعدة لنشاطها السياسى فى القرن الافريقى .
اما ايطاليا ، فقد استغلت نهاية الحكم المصرى بالسودان باعتباره ارض خلاء فاحتلت ثغر - مصوع - ثم نجحت بصورة تدريجية فى وصل - عصب ومصوع - بشريط من الارض الصحراوية بمحازاة الساحل والتى تقطنها بعض قبائل (الدناكل) والتى حملت اسم (ارتيريا) ثم دخلت فى صراع مع مملكة الحبشة حتى لحقت بها الهزيمة فى (عدوة) عام ١٨٩٦ ، ثم استفادت ايطاليا من تنازل الشركات البريطانية عن بعض المواقع فى سلطة زنجبار على ساحل أفريقيا ، وتأييد هذا التنازل من قبل الطرفين وقع عام ١٨٩٢ ، اعقبه رسم الحدود بين الصومال الايطالى وكينيا البريطانية عام ١٩٠٨ ، وقبلها بعامين - ١٩٠٦ - اعترفت انجلترا وفرنسا بحقوق ايطاليا فى شرق افريقيا وحقها وصل مستعمرتى أرتيريا والصومال الايطالى .
انظر - دونالد وايدنر - تاريخ افريقيا جنوب الصحراء - ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٦ .

١٢) - Aitchison (C.M.), A Collection of treaties engagement and sands relating to India and the Neighbouring countries, London 1890, PP. 126/130.

خاصة فى الجزء الايطالى (اذ مورست تجارة الرقيق علنا ، وكانت هناك أسواق للرقيق تحصل الشركة الايطالية منها على ضريبة)[١٣] .

وبرزت فئة أخرى من الهنود الى جانب العرب استطاعت تحت المظلة السياسية للسيادة البريطانية على الجزء الافريقى والهند اثراء تلك التجارة .

يقول المغيرى :

(انتقلت أملاك العرب الى المتاجرين من الهند .... فأغلب أملاك العرب بزنجبار انتقلت الى الهنود الذين استملكوا ما يملكه العرب بالفوائد الفادحة والحيل)[١٤] ، واستتبع ذلك التباين فى نمو القوى المحلية ، امتلاك أعداد من الهنود لكثير من السفن العاملة بالمحيط الهندى ، وهى تحمل عشرات من الرقيق بحجة كونهم عمالا تحت عباءة السيادة البريطانية ، أو تحت ظلال العلم الفرنسى[١٥] ، وبين ثنايا تعدد النشاط التجارى ومنها الرقيق ، عبر مياه البحر الأحمر وما سهلته الرياح الموسمية المنتظمة[١٦] .

ومما سهل أيضا تدفق الرقيق نحو الحجاز - تلك القلاقل السياسية التى ميزت الأوضاع على الساحل العربى جنوب الحجاز فى أواخر ق "١٩" وبداية القرن العشرين ، فقد تعرضت عمان لكثير من مظاهر الفوضى فى عهد السلطان فيصل ومنذ عام ١٨٩٤ م ، سياسيا ودينيا للصراع من أجل السلطنة والامامة ، رسخ منها بأس القبائل وتشتت ولاءها كما حدث فى

---

١٣) رياض (دكتور زاهر) الاستعمار الأوربى لافريقيا - القاهرة ١٩٦٠م - ص ٣٤٦ .

١٤) المغيرى (سعيد بن على) - جهينة الاخبار فى تاريخ زنجبار - مطرح ١٩٨٦ م - ص ٣١٧ / ٤٠١ .

١٥) وندل (فيليس) - تاريخ عمان - ترجمة محمد أمين عبد الله - عمان ١٩٨٣م - ص ١٥٣ - ١٥٤ كانت فرنسا قد تمكنت من اختراق المصالح البريطانية فى مسقط باقامة قنصلية لها هناك عام ١٨٩٢م واصدار صحيفة لها تدعى (مرشد القلوب) عام ١٩٠٢م . ثم اعلان السيد فيصل بن تركى (١٨٨٨ - ١٩١٣) نواياه الطيبة تجاه فرنسا عام ١٨٩٩ م .
- لمزيد من التفاصيل - انظر د. عبد العزيز عبدالغنى ابراهيم - علاقة ساحل عمان ببريطانيا - الرياض ١٩٨٢م - ص ٣١٠/٣١٢ .

١٦) المعمرى (احمد محمود)- عمان وشرق افريقيا - ترجمة محمد امين عبد الله - بودلهى ١٦٧٩- ص ٤١/٤٥

منطقة (الرستاق) و (وادى سمايل) و (جعلان)[١٧] مما سهل لتجار الرقيق نقل تجارتهم باتجاه الشمال ، ثم استمرار قنوات الفوضى ومن ثم قوافل الرق داخل اليمن ، من خلال استمرار المعارك أولا بين الاتراك وامامة اليمن مع الامام المنصور ثم يحيى ، ثم افراز تقلب الولاءات عن خلق كيان الادارسة بعسير مدعما بالمساندة الايطالية ، فى ذات الوقت الذى تبلورت فيه من خلال ذلك الصراع ظهور ميناء (ميدى) الواقع بين سيادة الادارسة وامامة اليمن ليكون مصبا رئيسيا على الجانب العربى لاستقبال رقيق أفريقيا[١٨] .

لقد تضافرت تلك العوامل كلها جغرافيا وسياسيا واجتماعيا مع البعد التاريخى فى تواجد واستمرارية الرق بالحجاز ، الذى مثل (بوءرة استقطاب نشط) لتلك الظاهرة ، فى وقت كانت جهود مقاومة الاسترقاق عالميا ، قد وصلت ذروتها ، وكانت مواجهتها فى تلك المنطقة من الصعوبة بمكان على حد تعبير بعض المصادر الأوربية[١٩] .

** <u>كيفية وصول الرقيق الى الحجاز</u> :

لقد كانت بريطانيا تود الحفاظ على تدعيم نفوذها بتلك المناطق من شرقى افريقيا والساحل العربى ، بعيدا عن اثارة الكيانات الاجتماعية ، فى ذات الوقت الذى لا تستطيع فيه التراجع عما أعلنته من اجراءات لمواجهة تلك الظاهرة[٢٠] من ناحية .

---

١٧) قاد عبد الله بن صالح - نجل صالح بن على - الزعيم ذو النفوذ القوى فى عمان تمردا بدافع من السلطان - محمد بن ثوينى - الذى كان يحلم باعادة توحيد عمان وزنجبار . كذلك التنافس الذى اشتعل بين القبائل من اجل شغل منصب الامامة الذى ظل خاليا منذ عام ١٨٧١م عندما قتل - عزان بن قيس - ولم ينتخب خلفا له حتى عام ١٩١٣م ، مما أوقع البلاد فى فوضى أججها تحول عمان الى سوق رئيسى لواردات السلام بالمنطقة التى كانت تدر عليها ربحا قدر بأربعة آلاف دولا شهريا .
انظر - وندل - المصدر السابق - ص ١٦٣/١٦١ .

١٨) العقيلى (محمد بن احمد عيسى) - المخلاف السليمانى - ج٢ القاهرة ١٩٦٦م - ص ١٢٢/٩٦ .

١٩) - F.O. 371/177, Missionary Work's in Heja 727/7/1433.

٢٠) - Howarth, D. The Desert King, London, 1964, P.130.

ومن ناحية أخرى ادركت القوى المستفيدة من تجارة الرقيق من الزعماء المحليين على الجانب الافريقى ضرورة الابتعاد عما يمس الاتجاهات والسبل البريطانية واتبعوا سبيلين رئيسيين لتحقيق هذه الغاية على النحو التالى :

أما الأسلوب الأول :

فقد كمن تحت عباءة الحجة الدينية ، واشتهرت باتباعه قبائل (المالانجا ـ Malonja) و (المندابا ـ Mondaba) و (أبو سنان ـ Abyssinian) ـ والتى اتخذت من المناطق المحيطة بخليج (تاجورا ـ Tajura) موئلا لها ـ كمنطقة (اوسا ـ Awsa) و (راس دوميرا ـ Ras Dumiera) و (راشيليه ـ Rashaliah) و (جوزيرا ـ Gozayera) وقادت قبيلة (أبو سنان) هذا الاسلوب[٢١] ، فتجمع الاطفال والصبية بحجة تلقينهم التعاليم الدينية المسيحية بكنيسة (أديس أبابا ـ Addis Ababa) وعندما يصلون الى المدينة يسلمون الى تجار الرقيق بها . فيدفعون بهؤلاء الصبية الى مقار للسكنى عبر شوارعها ، ويلقنون اثناء اقامتهم بها مبادىء الطاعة والالتزام الكنسى فى ذات الوقت الذى تتم فيه صفقات وأساليب النقل ، وبعد الاتفاق ينقل الارقاء عبر صحراء (الدناكل ـ Danakil) ومنها الى (رأس تاجورا ـ Ras Tajura) فتحملهم السفن عبر الأحمر ـ بحجة كونهم عمالا أو تحت ستار العلم الفرنسى ، وكان الميناء المفضل والمناسب لتلك الوجهة هو ميناء (ميدى) .

أما الأسلوب الثانى :

فكان يعتمد أساسا على الخطف ، وبرزت منطقة (وادى ـ Wadai) بتشاد حاليا ـ باتباع هذا الاسلوب ، واتخذته قبيلة (الشايقية ـ Shaggi) السودانية سبيلا لها ، مستغلة ضعف القبائل المحيطة بها مثل (الدنكا) و (النوير) ، ومن مركز القبيلة الرئيسى فى (دارسيلا ـ Dar Sila) موئلا لها ، يفد اليه التجار من العرب وخاصة من السوريين ومن غيرهم كالهنود ، الذين ينقلون ما جمعوه الى

(٢١ F.O. 141/497/ E. 3764, Op.Cit.

(سواكن) ومنها وبنفس الطريقة السابقة الى ميناء (جدة) على الساحل العربى - والأقرب جغرافيا (٢٢) .

ولم تستطع زوارق الحراسة البريطانية الحد من نشاط السفن العاملة بتجارة الرقيق اما لعجزها الوصول الى الخلجان أو الأخوار الضيقة التى بحل اليها الرقيق خاصة أثناء الليل على الجانب العربى مع الحركة المحسوبة لتشابك الاوضاع محليا ودوليا على ذات الجانب ، وانعدام نقاط الحراسة المحلية من قبل القوى المحلية ، مع قدرة العاملين فى هذا المجال النفاذ بين ثغرات التنافس الانجليزى الفرنسى وتغاض الجانب الأخير اما بصورة متعمدة أو غير متعمدة عما يحدث فى مناطق نفوذه على الجانب الافريقى (٢٣) .

واشتهرت الموانىء الممتدة على ساحل البحر الاحمر من القنفدة شمالا حتى الحديدة جنوبا باستقبالها سفن الرقيق ، وبرزت من بينها بصفة خاصة موانىء (بيرك وميدى والليث) لملائمة جغرافيتها للسفن الصغيرة ، وانعدام السيطرة الامنية بها (٢٤) .

ولما كان التهريب والسرية هما السمة التى استترت خلفهما عمليات نقل الافارقة بالاضافة الى عمق التواجد التاريخيى لهوءلاء الرقيق وللمستفيدين منهم داخل البيئة المحلية بالتوارث وخلال مواسم الحج . أضف الى ذلك انعدام سجلات المقيمين بالحجاز بصفة عامة - خاصة أن اللوائح التى وضعت بعد ذلك لم تطلب من الاهالى تسجيل ما لديهم من رقيق الا عند عتقهم ، أمام ذلك كله خلقت مشكلة تحديد أعداد هوءلاء الافارقة الأرقاء مع غيرهم من مصادر الرقيق الأخرى ، بالفترة موضوع الدراسة ، وجميع ما استطعنا الحصول عليه من أرقام ، أن هى الا أعداد تقريبية لتصورات من تصدوا لتلك المسألة ، بالاضافة الى أن أولى الأمر سواء من الاشراف أو آل سعود أنفسهم لم يكن من السهولة معرفة ما لديهم من أعداد للرقيق الأفارقة أو غيرهم ، عندما كانت القنصلية البريطانية بجدة تحاول ذلك (٢٥) .

(٢٢ - F.O. 141/497, Op.cit.

(٢٣ - F.O. 371/10874, Anglo-Italian Conservation Regarding South West Arabian 30/11/1933.

(٢٤ - F.O. 84/483, Memorandum by Mr. Bond Received in F.O., Nov. 1936.

(٢٥ F.O 371/10878 Op,Cit.

من هنا تباينت الأرقام التى أوردتها بعض المصادر لاعداد الرقيق فقد حدد فوءاد حمزة تلك الارقام ، بما يقرب من ٢٠٠،٠٠٠ [٢٦] .

على حين قدرتها المصادر البريطانية التى كانت اكثر تواضعا وتفصيلا وعلى لسان ابن سعود نفسه فى ذات العام ردا على سوءال من (فيلبى -John Philby) فى هذا الصدد بأن عدد الرقيق الافارقة يتراوح بين ٢٥ر٤٠ ألف من الذكور والاناث على حد سواء فى كافة انحاء المملكة من بينهم ٣٠،٠٠٠ بالحجاز فقط [٢٧] فى مختلف المدن والبادية على النحو التالى :

مكة المكرمة ٣٠٠٠ر٣ الوجه / ينبع / موانى الحجاز الشمالية / الطائف / المدينة ٥٠٠ر٠ جدة ١٠٠٠ر١ القنفدة / جيزان / موانىء عسير ١٠٠٠ر١٠ رابغ ٥٠٠ر٠ المناطق البدوية بالحجاز ٥٠٠٠ر٥ [٢٨]

ويبدو أن ابن سعود أراد الاستهانة والتقليل من حجم اعداد الرقيق تخلصا من الضغوط المتتالية عليه من قبل البريطانيين ، لذا فاننا نميل ـ مع تحفظنا ـ الى ما أورده (حمزة) من أرقام تقريبية باعتباره أكثر اتصالا بحقيقة الواقع ، ولنا على الأرقام التى وردت بالمصادر البريطانية كموءشر لمدى كثافة الاعداد بعض الدلائل كمايلى:

أولا :

كثرة الرقيق بالمناطق القريبة من موانىء وصولهم ثم ندرتهم داخليا بصورة نسبية .

ثانيا:

استحواذ البدو ـ بعد ذلك على النسبة الاكبر من أعداد الرقيق لحاجة هوءلاء لاعداد كثيرة بغية العمل فى نطاق الحركة الاقتصادية للبدو اذا جاز لنا التعبير ، ولنظرة البدو المتدنية لبعض الحرف كرقابة الماشية والحدادة مثلا ، فتركوها للرقيق .

ثالثا :

استحوزت (مكة المكرمة) على النسبة الاكبر لاعداد الرقيق التى

---

٢٦) حمزة ـ المصدر السابق ـ ص ١٩٧ .

٢٧) - F.O. 141/497, Ryan's Memoyandum.

٢٨) - Ibid.

احتوتها المدن الحجازية نظرا لكونها المصب الرئيسى لقوافل الحجيج، التى كانت مواسمه تتخذ ستارا للمتاجرة الداخلية بالرقيق .

رابعا :

تزايد اعداد الرقيق بصورة ملحوظة بمناطق الاضطراب والبعيدة نسبيا عن يد السلطة .

وامتد نفس التضارب فى أرقام الرقيق حتى منتصف ق "٢٠" فعلى حين قدرتها بعض المصادر العربية بنحو "٧٠" ألفا عام ١٩٥٢ ، ونلاحظ هنا زيادة الرقم عما كان عليه ١٩٣٣[٢٩] فقد قدرتها المصادر الغربية بين ١٢٥ و ١٣٥ ألف . وأعادت المصادر الامريكية صاحبة ذلك الرقم تلك الكثرة الى عدم قدرة النظام السعودى على ضبط مثل هذه المسائل[٣٠].

وتعتبر مكة المكرمة من أكبر وأشهر مراكز تسويق الرقيق بالحجاز تليها المدينة المنورة ثم أماكن تجمعات البدو ، وتنشط تلك المراكز فى حركتها التجارية قبيل وبعد فترة الحج لاختلاط أهل الحجاز بغيرهم من القادمين . وتقام الاسواق بالاماكن البعيدة عن أعين السلطة، على أطراف الأسواق العامة وفى المحلات بصورة غير مباشرة ، ويتم البيع والشراء بطريقة شبيهة بالمزاد العلنى - أى لمن يدفع أكثر[٣١] وبصورة لم تختلف كثيرا عما كانت تتم به منذ القدم .

وأسعار الرقيق بالحجاز فى النصف الأول من " ق ٢٠ " ، لم يكن لها سعر محدد بل كانت تختلف اختلافا بينا ، من وقت لآخر فى موسم الحج أرخص من أى وقت طيلة العام . فقد تراوح فى موسم حج ٣٣ /١٩٣٤ ما بين ١٥ و ٢٠ جنيها استرلينيا للبالغ من الذكور وفى موسم عام ١٩٤٩م ما بين ٢٣ ر ٣٠ جنيها استرلينيا[٣٢] والفارق فى الثمن يرجع الى عامل القوة الجسمانية وصغر السن وهو مفضل عن الأكبر سنا . بل كان شراء الرقيق يتم أحيانا بالمقايضة أو على سبيل الاهداء .

---

٢٩) ديوان ولى العهد - رسالة من الديوان الى عبد الله الفيصل - وزير الداخلية - رقم ٦١/٨٦٨٥ مؤرخة ٧٢/١٩٥٢ ١ هـ .

٣٠) - D.S.A., 890-0/170-1892, Libraries in Saudi Arabia, Mumorandum from American Embassy on Jil Jidda, 21/6/141.

٣١) - F.O. 141/497, Op.Cit., 15/5/1434.

D.S.A. 890-1892, op.cit., 21/6/1949

ويعيش أغلبية الرقيق بالحجاز ، ضمن اطار الاسرة ، أو العشيرة بمفهومها لدى أغلبية سكانه ، فبالرغم من انعدام حقوقهم المدنية بالاضافة الى تقوقعهم بأدنى درجات السلم الاجتماعى تقول بعض المصادر (سنوك هور نجرنجه) فى حديثه عن أوضاع الرقيق بالبلاد العربية : (ان وضع الرقيق فى البلاد العربية سعيد ولطيف ، واذا كان السيد مما يخاف الله ، فانه يحرر كثيرا من عبيده ويرفق بهم بعد العتق ولا يتركهم للفاقة بل ويهبهم مالا ويزوجهم ، أن هوءلاء الافريقيين لا يحقدون لأنهم أصبحوا أرقاء للعرب البدو ، فهم يعيشون مع أسيادهم كأنهم من أفراد عائلاتهم [٣٣] ثم يحدد معاملة الجوارى بمكة المكرمة فيقول (ان السرارى الحبشيات فى مكة المكرمة أسعد من النساء الحرائر فقد كان مالكوهن يعاملونهن بما تقضى به التقاليد الاسلامية وكان أولاد الاماء يتساوون مع أولاد الحرائر)[٣٤] .

ويمكن تقسيم المهام التى قام باداءها الرقيق بالحجاز على النحو التالى :

أولا : المهام الأمنية والعسكرية .
ثانيا : الأعمال الحرفية من خلال مخدوميهم .
ثالثا : الخدمة المنزلية .

* فأما المهام الأمنية والعسكرية :

فقد لوحظ اسناد مهام الحراسة الشخصية لزعماء الحجاز الىرقيقهم فأحاط الشريف نفسه بما يزيد عن المائة منهمكحراس ، وسار ابن سعود على نفس المنوال فكان يحيط به وبقصره وفى حله وترحاله وما ارتبط به من مكاتب ومستلزمات شؤونه الخاصة وادارة الجيش ومساكن لخمسين أو ستين زنجيا كانوا خدما وحراسا للقصر فى وقت واحد[٣٥] وتميز هوءلاء بالحذر والشدة مع كل متعاملى وزائرى القصر .

---

٣٣) الترمانينى (د. عبد السلام) - الرق - ماضيه وحاضره - سلسلة عالم المعرفة رقم (٢٣) ط ٢ - الكويت ١٩٨٥ - ص ٦٩ - ٧٠ .
٣٤) نفس المصدر - ص ٦٩ .
٣٥) المانع (محمد) - توحيد المملكة العربية السعودية - ترجمة د. عبدالله العثيمين - الرياض ١٩٨٢ - ٢٢١ .

وامتدت نفس الظاهرة الى كبار الاسر كآل الضيع وباناجه وآل زينل وآل مهنا وغيرهم ، وان تناقص العدد المحيط بهم فلم يتجاوز أصابع اليد الواحدة .

ولم تقتصر مهام الرقيق الامنية عند الحدود الشخصية بل تعداه الى حراسة المنشآت العامة كجنود للشرطة ، فقد استمرت ظاهرة اسناد حراسة منشآت ميناء جدة ، والمراكز الادارية بمدن الحجاز من عهد الاشراف الى عهد عبد العزيز بن سعود الى هؤلاء الارقاء الأفارقة . وكان أبرز تلك المهام ، حراسة المقدسات الاسلامية بالحرم المكى ومسجدالرسول بالمدينة المنورة (٣٦) فجميع حرس تلك الاماكن كانوا من (الاغوات) وهم من الأفارقة المخنثين - الذين ارتبطوا بأسيادهم ماليا واجتماعيا ، ووقعوا فى حالة وسطى بين الاسترقاق والتحرر ، وقدمهم مالكوهم خدمة للأماكن المقدسة ، وعاشوا فى جماعات معزولة تماما عن بقية فئات المجتمع الحجازى (٣٧) .

ووصل أحد الأرقاء الى رتبة الامارة فى عهد الشريف حسين بن على ، فحينما كان (نورى الشعلان) شيخ عشائر (الرولا) بحكم الجوف عام ١٩٠٩ ، فقد تولى الامارة - كنائب له - مولى يدعى (عامر المشورب) من رقيق آل الشعلان ، ووفقا لما أورده حمد الجاسر (فقد أساء هذا الرجل السيرة باعتدائه على الحرمات وبتسخيره أهل البلدة ببناء القصر) (٣٨).

وعقب اعلان اسم المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ ضم الكثير من الرقيق الافارقة الذين كانوا من حرس الاشراف أو ممن اشتراهم عبد العزيز ، ليكونوا نواة لجنود وجهاز الشرطة وبلغ عددهم بمدن الحجاز الرئيسية - عام ١٩٣٣ - ما يقرب من الثلاثمائة جندى (٣٩) .

واستمر هؤلاء الجنود بذلك الجهاز طيلة حياتهم حتى صدور قرار

---

٣٦) Baker (Rondall), King Hussein and the Kingdom of Hajaz Paris- 1978- PP. 87/93. -

٣٧) صحيفة الندوة - السنة ٢٣ - العدد ٧٦٣٣ - ٢٦ أبريل ١٩٨١ .

٣٨) الجاسر (أحمد) فى شمال غرب الجزيرة - الرياض ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ص ١٢٩ .

٣٩) أم القرى - السنة - العدد ٤٩٧ (نظام مديرية الامن العام) ٢٢ يوسية ١٩٣٤ .

عام ١٩٦٢ بالغاء الرقيق - على أن رواتب الجند من هؤلاء الأرقاء الأفارقة فى تلك الفترة الأولى من بناء الجهاز الأمنى لم تتجاوز الثلاثين ريالا - فى أغلب الأحيان - صرفت لهم مقابل مأكلهم ومستلزمات حياتهم الخاصة ، وهى بالمستوى العام ، تقل كثيرا عما كان يحصل عليه جنود الشرطة اليمانية ، وعللت وزارة المالية هذا الاتجاه عام ١٩٤٠ بالقول : (انهم - أى الرقيق الأفارقة - كثيرا ما يهربون أو يخرجون من الخدمة لأسباب صحية)[٤٠] .

وامتدت مساهمة الرقيق الي المسائل العسكرية الفعالة عند منعطف التحول لعبد العزيز خاصة فى مواجهة بعض حركات التمرد التي واجهته فى البدايات الأولى لاعلان المملكة العربية السعودية ، وكانت أبرز تلك المساهمات للرقيق فى فتنة ابن رفادة[٤١] عام ١٩٣٢ ، فقد عقدت زعامة القوات المرسلة لمقاتلة هذا الرجل الى المسئول العسكرى لأمن عبد العزيز وكان من الرقيق ويدعى (حلوان) مع عدد من الجند الافارقة التابعين أيضا لعبد العزيز وبلغ عددهم ما يزيد على أربعمائة واستطاعت تلك القوات القضاء على التمرد[٤٢] .

ولعل ابن سعود فى اعتماده على هؤلاء الرقيق فى تلك الموقعة يعود بالدرجة الاولى - كما يعتقد الى خشيته من الاعتماد على قبائل الحجاز - حديثه العهد بحكم عبد العزيز - فى مواجهة ابن رفادة وقبائل الشمال - فيشتد عودها ويشجعها بعد ذلك على مواجهته هو نفسه بعد ذلك .

---

٤٠) أرشيف وزارة المالية - رسالة مديرية المالية الى النائب العام للملك بالحجاز رقم ١٣٥٩/١٩٤٠ م .

٤١) هو حامد بن سالم بن رفادة من شيوخ قبيلة (بلى موطنهم الاساسى حول (الوجه) شمالى اقليم الحجاز ، واتخذ منها مقاما له ، وعقب اعلان اسم المملكة أعلن ابن رفادة خروجه عن التأييد لعبد العزيز والتبعية له وجمع حوله اكثر من خمسمائة مقاتل . ثم زحف نحو قرى (الشريح) و (الخريبة) و (تريم) واخضعها وأسر امراءها . وفى اواخر ربيع الاول ١٣٥١ هـ ١٩٣٢م - بعث ابن سعود بقواته بقيادة (حلوان) الى سفح جبل (سار) على مقربة من (ضبا) وانتهت المعركة بقتل حامد بن رفادة وابنيه (فالح) و(حامد) انظر (خير الدين الزركلى - الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز - بيروت ١٩٧١ - ص ١٥٦/١٥٧ .

٤٢) F.O. 141/497, Memo. of Sir Ryan, 1934.

لقد كانت المهام الأمنية والعسكرية التى مارسها بعض الأرقــاء، تقوم على دافع الاخلاص والارتباط الشخصى لسادتهم ، دون دافع آخــر، اما لكسب رضاه أو طمعا فى الخروج من حالة الاسترقاق التى يعيش فيها هذا من ناحية[٤٣] .

ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظنا أن اعتماد الاشراف ثم ابن سعــود فى النصف الاول من "ق٢٠" على الرقيق فى المسائل الأمنية والعسكرية قد تبلور فى مراحل عدم الاستقرار مع تطلعاتهماالمتباينـــة ، الأول لانقسامها داخليا ثم انصرافها الى القضايا العربية ، والثانى لحداثة موقفه الداخلى ، ولكون هوءلاء الرقيق بعد ذلك أداة طيعة الى حــد كبير من هوءلاء المسؤلين فى بيئة اتسمت بتناقض اتجاهات الـــولاء والتأييد .

ثانيا : الأعمال الحرفيــة :

ونظرا لاحتقار البدو خاصة وأهل الحجاز عامة للأعمال الحرفيــة، فقد أوكلوا تلك الحرف الى غيرهم من الاجانب ، ونال (التكرور) النصيب الأوفى فى هذا الصدد وأضحوا أداة لمالكيهم لمزيد من الأموال والربح، عندما يترك السيد رقيقه لممارسة حرفة ما نظير مبلغ معلوم بصــورة يومية أو اسبوعية ، فمارس الافارقة الحدادة - والنجارة والجزارة بل أحتكر هوءلاء دون غيرهم حرفا بعينها كصناعة (الخسف) القائمة على أشجار النخيل وصنع بعض الأوانى منها[٤٤] ، كما أن بعض الحرف التحويلية كطحن القمح والتوابل وتعبئة البضائع كانت من نصيبهم[٤٥] .

وانتشرت فى أسواق مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة ، وبين العائلات الكبرى التى اتخذت من التجارة حرفة لها كآل زينل وآل الصنع أعدادا كثيرة من الرقيق الافارقة كمساعدين لهم فى نشاطهم التجــارى عن طريق مباشر أو غير مباشر ، فنقل البضائع وحراستها ومتابعةرواد

٤٣) - Lebkicker (Ray), and George Rentz, Aramco Hand-book Arabian American Oil Co., 1960,PP. 46/49.

٤٤) صحيفة البلاد السعودية - العدد ٦٧١١ - ملامح الحياة الاجتماعيــة فى الحجاز - محمد على مغربى فى ١٩٨١/٤/١١ - الحلقة "٢٦" .

٤٥) - F.O. 141/497/1934.

المحال أوكلت الى هوءلاء المساعدين ، على أن الأكثرية من الرقيق استحوزهم العمل الزراعى ورعى الماشية من خلال عملهم لدى القبائل البدوية ، ففى (وادى فاطمة) بالقرب من المدينة المنورة شوهد العديد من الأفارقة بالمزارع الخاصة ، وخلف الماشية حول المدينة واعتبرتهم بعض المصادر سببا رئيسيا فى الحفاظ علي مصادر الثروة الحيوانية والزراعية بالحجاز مع بداية الاستغلال السيء لهذا النشاط الرعوى بالاقليم عقب الحرب العالمية الثانية (٤٦) .

لقد ساعد وجود (التكرور) داخل البنيان الاجتماعى للحجاز على الحفاظ على موازين النشاط الحرفى والاقتصادى بنفس القدر الذى ساعد فيه طبيعة هذا التكوين على استمرارية استقدام واستقطاب الرقيق بالمنطقة واستطاع مجتمع الحجاز استقطاب أعداد وفيرة من هؤلاء الافارقة الارقاء فى فترته الاستقالية بصفة خاصة عقب الحرب العالمية الاولى وحتى منتصف القرن "٢٠" ، وفى حياته الاقتصادية حرفيا وتجاريا وزراعيا لتقوقع نفسه بين مفاهيم اجتماعية أبعدته عن مزاولة بعض الحرف وبين حاجته للبناء عقب الثلاثينات من القرن ذاته .

وباختصار يقول محمد لبيب البتانونى فى كتابه الرحلة الحجازية :

(وفى جميع هذه الأسواق - يقصد أسواق مكة - ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتى وراءها ربح عظيم . ومدار حركة الأشغال الشاقة فى مكة على العبيد فمنهم الحمالون والحطابون والحمارون والجمالون والسقاءون والخدامون - ولقد كان للرقيق بمكة سوق كبيرة - ثم يستطرد مع تحفظنا فيقول :

(أخذ أمرها - أى السوق - ينمحى شيئا فشيئا حتى كاد لا يكون له أثر بالمرة)(٤٧) .

ومن ذات المفاهيم الاجتماعية نبعت ظاهرة استخدام الرقيق بكثرة فى الخدمات المنزلية ، وهو الشق الثالث من الأنشطة التى زاولها

---

٤٦) F.O. 76, Totchill (J.D.), Report to the Government of Saudi Arabia on Agricultura Development, Dec. 1952. -

٤٧) البتانونى (محمد لبيب) - المرحلة الحجارية - ط ١ - القاهرة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م - ص ٦٥ .

الرقيق ، وهو جانب قديم كان أساسيا لاستقدام الرقيق الافارقة وان اشترك معهم فى هذا الشق المصدر الآخر من الأسيويين .

فعادة ما يحتفظ الأغنياء بواحد أو أثنين ذكرا أو أنثى للقيام بالخدمات المنزلية ، فيوكل الى الذكور منهم بالاضافة الى أعمال الحراسة للرجال ، حمل المباخر وتقديم المشروبات واعداد الموائد [٤٨] أما الأناث - فهن أتعس حظا من الذكور - وكثيرا ما اشترك معهن بعضا من الأسيويات - من القوقاز - بصفة خاصة - فى تلك المهام . وليس لدينا تحديد واضح لاعداد هؤلاء - لعدم وجود بيانات احصائية ، أو لارتباط هذا الغموض - بتقاليد الحياة بالحجاز عامة التى ترى فى الحفاظ على أمر النساء أمرا لا يجب الخوض أو البحث فيه .

فبالاضافة الى كون النساء عامة أسرى تقاليد المجتمع والبيت بصورة خاصة ، فقد ارتبطت الجوارى بأعمال النسوة وملازمتهن، فلايتزوجن مثلا الا بموافقة سيد البيت واذا سمح لهن بذلك ، فتكون الزيجة لعبد أيضا يختاره سيدها بنفسه ، واذا ما أنجبن أطفالا فكثيرا مايعرضون للبيع بالأسواق أو يقدمون كهدايا لذوى القربى [٤٩] .

أما (السرارى) اللائى يتزوجن من سيدهن ، فهن أفضل حالا من (الجوارى) - وان كانوا أقل درجة من (الحرائر) . فيعتق أطفالهن اذا أنجبن ، وأمتلك الشريف حسين عدد منهن [٥٠] ، وكذلك ابن سعود ، وأوردت بعض المصادر اعداد ما أمتلكه الأخير فزاد عددهم عن المائة [٥١].

** نوافذ تحرير الرقيق :

وتعرض هؤلاء الأرقاء - وخاصة من الطائفة التى عملت بالمنازل -

---

٤٨) - Harrison, P.W., The Arab at Home, London,1924,PP. 101/104.

٤٩) - Howarth (David) Op.Cit., P. 131.

٥٠) المركز الوطنى للوثائق ببغداد - م٧٤٩٠ واع تقرير عن أحوال المملكة - ٣ مارس ١٩٣٢ - ولمزيد من التفاصيل - أمين سعيد ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم - القاهرة - ١٩٣٣ - ص ١٢٤ .

٥١) - D.S.A. 840-F-191-The Family of Ibn Saud Despatch of U.S. Vice Consul, Aden, to the Sec. of State,15//8/1930.
ولمزيد من التفاصيل - انظر كذلك :

-Armstrong (H.C.), Lord of Arabia, Beirut, 1454, P.137.

لمعاملة غير انسانية فى معظم الأحيان[٥٢] خاصة قبيل انعكاس المردود المالى للبترول - ولهذا السبب شهد الحجاز كثيرا من حالات الفرار اما الى الصحراء فأخلوا بأمن دروبها .

وعلى سبيل المثال ، أصدرت وزارة المالية عام ١٩٤١ ، منشورا الى كافة المخافر والمراكز المنتشرة على الطرق ، بضرورة الحذر واليقظة ، لانتشار النهب من قبل قطاع الطرق ومن (التكرور) الفارين بصفة خاصة[٥٣] .

وبالاضافة الى الصحراء ، كانت القنصلية البريطانية بجدة ، تشجع الرقيق على ذلك باعتبارها موئلا لدعوات التحرر من الرق ، وأوردت القنصلية فى تقريرها عام ١٩٣٤ - اعداد الرقيق الذين لجأوا اليها فبلغ عددهم ٢٠٩ بلغ عدد الرجال منهم ١٥١ والباقى من النساء[٥٤]

على أن الفرار لم يكن السبيل الوحيد للخروج من حالة الرق فقد عرف الحجازيين أنفسهم العديد من الوسائل لاعتاق رقيقهم طواعية على النحو التالى :

١ - العتق :

وهو أبسط أنواع التحرر ، ويتم بدون مقدمات أو شروط معينة ، وانما يقوم به الرجل طواعية وبدافع الشفقة أحيانا أو كفارة لذنب أتاه تبعا لما تحدده الشريعة الاسلامية .

٢ - التدبير :

وتتم تلك الحالة ، عند وفاة مالك العبد دون وريث له من الدرجة الاولى ، عندئذ يصبح العبد حرا بصورة تلقائية ، وقد جرت عدة محاولات لقتل بعض السادة من

---

٥٢) - Disch (Jorgen), Behined the Veil of Arabia, Translated from Danish by George Allen, London, 1962, PP.6/18.

٥٣) أرشيف وزارة المالية - منشور من الوزارة الى كافة المخافر ومراكز الشرطة - بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤١ م .

٥٤) - F.O. 141/497/15/5/1934.

قبل عبدهم أملا فى الحصول على الحرية (٥٥). ويسمى المحرر حينئذ باسم (المدبر) (٥٦) .

٣ ـ الكتابة :

وهو النوع الاكثر شيوعا فى الحجاز ، عندما يوافق مالك العبد على اعطاءه الحرية عند جمع مبلغ من المال حال قيامه ببعض الاعمال الحرفية ، وهو فى العادة مبلغ يعادل ما اشترى به العبد مضافا اليه جزءا من الأرباح يرجع تقديرها الى السيد نفسه،ويسمى المعتق فى هذه الحالة باسم (المكاتب) .

٤ ـ الاستيلاد :

وهو الأسلوب الذى تنفرد به الاماء للحصول على حريتهن فعندما تتزوج الأمة من رجل حر ، يصبح أطفالهن اذا أنجبن أحرارا بصورة تلقائية ويطلق على ذريتها اسم (المولد) (٥٧) .

وفى كافة الحالات ، وحتى يصبح العتق سارى المفعول وبصورة رسمية فلابد أن يصحبه اعلان ، عن طريق منادى يجوب شوارع المدينة ـ وعشائر القبيلة بأن فلانا أعتق عبده ، وأنه حر الارادة فى مسكنه وعمله ، ويصاحب ذلك أيضا شهود يوقعون على وثيقة مكتوبة . فى شكل عقد ـ يتم تسجيله بالمحكمة الشرعية بالمدينة ،أو يحفظ لدى القاضى ، بعدها يصير الرجل حرا .

ولما كانت المحاكم الشرعية حتى قيام الحرب العالمية الثانية منوط أعمالها الى أفراد ، وتعرض ما لديها من أوراق وسجلات للأهمال والضياع ، فليس لدينا احصاء واضح يمكن الاستدلال به على أعداد من

---

٥٥) الجزيرة ـ السنة ١٩ ـ العدد ١٦٧١ ـ حديث الذكريات ـ مع أشهر قصاص الاثر فى الجزيرة العربية ـ الشيخ صالح العرق ـ ٢١ ذى الحجة ١٤٠٢هـ/٨/١٠/١٩٨٢.

٥٦) - F.O. 141/497/15/1934.

٥٧) - Ibid.

وانظر كذلك :

- Sheesman (R.E.), Unknown Arolisa, London, 1926, P.68.

اعتقوا من الرقيق ، وان ذكرت بعض المصادر أعدادا تقريبية لحالات العتق ، فذكرت أن متوسطها قد تراوح سنويا بين ستمائة وثمانمائة حالة ، وانها بلغت عام ١٩٤٢ م تسعمائة حالة تقريبا [٥٨] .

أما على الصعيد الرسمى ، فقد ظل الشريف حسين بمنأى عن اتخاذ خطوات جدية أو توقيع معاهدات أو اتفاقيات رسمية مع بريطانيا للحد من تلك التجارة أو اتخاذ خطوات داخلية تمكن من القضاء على الظاهرة وظلت تعهداته الشفهية بالقضاء عليها عديمة الجدوى لم ينفذ منها شيئا [٥٩] ولم تحاول بريطانيا من جانبها الضغط بالقوة تجاه المسألة مع انصراف الجمع نحو قضايا أخرى بعيدة عن الأوضاع الداخلية بالحجاز، ومع تعدد التوجهات السياسية لديه بين الاتراك وانجلترا وفرنسا وايطاليا .

وعندما حسمت الأمور نهائيا فى منتصف العشرينات تقريبا بين الأشراف وابن سعود ، لم يكن الأخير أكثر قدرة عن سلفه فى مواجهة الرق لأسباب عديدة من بينها :

<u>أولا</u> :

تباين البناء الاجتماعى للسكان بصورة عامة ، والحجاز بصفة خاصة وخشية عبد العزيز نفسه الدخول مع من أخضعهم فى صراع منذ البداية ، مما يخلق معه العديد من المشاكل هو فى غنى عنها ، وما زالت قوى سيطرته حينئذ وحتى منتصف "ق ٢٠" واهية وعلى كافة المستويات داخليا وعلى المستوى الاسلامى - متكأه - خارجيا [٦٠] .

<u>ثانيا</u> :

ان ابن سعود نفسه كان يعتمد منذ بداية سيطرته على الحجاز على قوى تقليدية من كبار التجار ورؤساء القبائل وكان هو

---

٥٨) - F.O.84/783, Bond's Mem. to Sir H.V. Biscine, 3/9/1942.

٥٩) - Bullard (Reader), The Camel Must, London, 1958, PP.136/138.

٦٠) - Halliday (Fred) Arabian Without Sultans, London, 1474. P.35.

نفسه بوضعه الذاتي وليد تلك القوى بخصائصها التقليدية بل أحد أعمدتها الرئيسية وكان الاعتماد على الرقيق وعلى مالكيهم مطلبا ملحا لتدعيم سلطاته في الاستمرار والبقاء حتى منتصف " ق ٢٠ " مع بداية انعكاس الموارد البترولية على أقاليم المملكة بصفة عامة (٦١) .

ثالثا :

واذا كان عبد العزيز قد استطاع الى حد ما أن يتفق بمصالحه وأهدافه مع بعض عناصر المجتمع الحجازى ، ويسيطر الى درجة معقولة على منافذ مملكته - فقد كان الوصول بذلك التأثير لقوة الحكم وسيطرته - الى تجمعات البدو خاصة على أطراف الحدود - أمرا مشكوك فيه - بل كان أمرا مستحيلا (٦٢) .

ولتلك الاسباب السابقة ظلت المادة السابعة من معاهدة جدة بين بريطانيا وابن سعود فى ٢٠ مايو ١٩٢٧ - حبرا على ورق - بالرغم من نصها بالقول (يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق) (٦٣) كما ظل الملحق الثالث لتلك المعاهدة عديم الجدوى - لما ورد فى نصوص من معان وأساليب الاتجار التى وردت فى هذا الشأن .

ويبدو أن بريطانيا قد استشعرت عجز ابن سعود - أو عدم حماسه فى مواجهة هذه المسألة . فاعادت الكرة عليه مرة أخرى عن طريق قنصليتها بجدة عام ١٩٣٢ م . وجاء رد عبد العزيز أيضا فى شكل رسالة بعث بها الى الحكومة البريطانية ، ولم تخرج عن مجال الأمنيات

---

٦١) - Aramco, Report From Research Department of Saudi Arabian Agency Statistical summary Vol.I March,1464.

٦٢) - D.S.A. 890-0/170-1842 Libraries in Saudi Arabia Memorondum from American Embassy 21/6/19499.

٦٣) وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات والاتفاقيات ١٩٢٢/١٩٣١ - ط ١ - مكة المكرمة ١٣٥٠ - وانظر كذلك امين سعيد - تاريخ

والتطلعات التى يرغب فيها للقضاء على الرقيق والملفت للنظر حديثه فى تلك الرسالة عن صعوبة احكام قبضته على المنافذ الجنوبية للحجاز حيث تفد أعداد ضخمة من هؤلاء عبر الدروب الجبلية من عسيروالبمن (٦٤) وهو لذلك - لا يستطيع تحمل المسئولية وحده - تجاه هذا التسرب (٦٥).

ويبدو أن ابن سعود استشعر حرج موقفه بين الدول الأوربية ومتطلبات موقفه الداخلى تجاه استمرار الرقيق بالحجاز ، فتكرر ذات البند بملحق معاهدته مع ايطاليا فى ابريل ١٩٣٢ - وأضاف اليه بأنه سوف يفتح الأبواب ويشجع السبل لعتق الرقيق الأفريقى من خلال جهوده مع ايطاليا فى اليمن وعلى الساحل الأفريقى (٦٦) .

كما أن الضغوط البريطانية بصورة خاصة توقفت عند هذا الحد ، فلم تعد هناك اهتمامات من قبلها للضغط على النظام السعودى تجاه تلك المسألة ، اعتقادا بوصول الأطراف المعنية الى قناعة مفادها صعوبة احكام القبضة حول الاسترقاق و (ترك عامل الزمن يقض على الرقيق القديم ، لأن أصحاب الرقيق كانوا يتذرعون بأن الاسلام لم يحرم الرق) على حد تعبير بعض الآراء (٦٧) .

وهكذا استمرت هذه الظاهرة تسير سيرها الطبيعى حتى نهاية النصف الأول من " ق ٢٠ " وبداية عهد الملك سعود ، عندما أحلت على البلاد مقدرات جديدة داخليا وخارجيا .

داخليا بفعل انعكاس المردود البترولى وخلقه فئات جديدة ، كان أبرزها (العمال) ، مع بعض العناصر المثقفة التى استطاعت بلورة جماعات من (التقدميين) فى مواجهة فريق آخر من المحافظين (٦٨) ، وقاد الأول فيصل بن عبد العزيز والثانى الملك سعود ، وانعكس الصراع

---

٦٤) - F.O. 141/497/E 3764, Mom-on Slavery in Saudi Arabia by Sir Ryan 1/6/1934.

٦٥) - F.O. 141/497, Op.Cit.

٦٦) وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات - المصدر السابق - انظر كذلك - امين سعيد - تاريخ الدولة السعودية - الرياض ١٩٨١ - ص ٢١١ .

٦٧) عسة (احمد) معجزة فوق الرمال ، ط ١ - بيروت ١٩٧٢ - ص ٣١٧ .

٦٨) العقاد (د. صلاح) - المشرق العربى المعاصر - ط ١ - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٥٧٥ .

بينهما فى صورة توالى رئاسة الوزارة والاستقالة منها من قبل فيصل عدة مرات حتى كانت الحرب اليمنية ، والتوجس من زحف الاتجاهات الثورية لتأكد انتصار هذا التيار بدعوة أنصاره لرئاسة الوزارة مرة ثالثة فى بداية نوفمبر ١٩٦٢ م متضمنا بيانها الغاء الرقيق بصورة مطلقة كما جاء فى البند العاشر على النحو التالى :

(ومن المعروف أن موقف الشريعة الاسلامية من الرق يحث على فك الرقاب ، ومن المعروف أيضا أن الرقيق الموجود فى العصر الحاضر قد تخلفت فيه كثير من الشروط الشرعية التى أوجبها الاسلام لاباحة الاسترقاق فقد واجهت الدولة السعودية منذ تأسيسها مشكلة الرق وعملت بجميع الوسائل التدريجية على القضاء عليه فمنعت أول الأمر استيراده وفرضت العقوبات على ذلك ، ثم منعت مؤخرا بيعه أو شراءه ، وتجد الحكومة الآن الفرصة مواتية لأن تعلن الغاء الرق مطلقا وتحرير جميع الأرقاء وستقوم الحكومة بتعويض من يثبت استحقاقه التعويض)[٦٩] .

أما المقدرات الخارجية فقد انصرفت بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية التى بدأت زحزحة نفوذ الأولى بصورة تدريجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، نحو اهتمامات استراتيجية اكثر شمولا من التركيز نحو مسائل - لا تتوقف فقط عن الحدود الانسانية بل شملت بصورة أكثر أهمية الموارد الاقتصادية والموقع الاستراتيجى لمنطقة الخليج ومع انسجام هذا الاتجاه من قبل القوى الخارجية مع الأفكار التحررية عربيا التى شجعتها مصر آنذاك ، سارع النظام السعودى للانضمام الى ميثاق حقوق الانسان عام ١٩٦٢[٧٠] .

* * * *

---

٦٩) أم القرى - السنة الاربعون - العدد ١٩٤٤ - (البيان الوزارى للسياسة الداخلية للأمير فيصل بن عبد العزيز رئيس الوزراء - ٩ نوفمبر ١٩٦٢ م .

٧٠) - Howarth, Op.Cit., P. 132.

* المصـــادر *

أولا : الوثائق العربيــة :

أ - الســعودية :

١ - وثائق ديوان ولى العهد - رسالة الى عبدالله الفيصل وزير الداخلية - ١٣٧٢ هـ .

٢ - وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات والاتفاقات ١٩٢٢ / ١٩٣١ - ط ١ - مكة المكرمة - ١٩٣٥ .

٣ - وزارة المالية - وثائق عامى ١٩٤٠ / ١٩٤١ .

ب - العراقيــة :

المركز الوطنى للوثائق ببغداد - م ٧٤٩٠ واع - تقرير عن أحوال المملكة - ١٩٣٢ .

ثانيا : الوثائق الأجنبيــة :

1) Department of State Archives National Archives and Records, Washington (U.S.A.)

1- 890-F.00/8, Crowing Modernization of Hejaz ,1928.
2- 890-F-191, The Family of Ibn Saud, 1930.
3- 890-0/170-1892, Libraries in Saudi Arabia,1949.

2) Public Record Office, (P.F.O.)

1- 371/10874, Anglo-Italian Conversation Regarding South West Arabian, 1933.
2- 371/177, Missionary Work's in Hejaz, 1933.
3- 141/497, Mem. on Slavery in Saudi, 1134.
4- 84/783, Mem. of Mr. Bond, 1936.
5- 76/ Totchill Report to the Government of Saudi Arabia on Agricultural Development, 1952.

) Aramco

Report from Research Department of Saudi Arabian Agency Statistical Summary Vol. 1, March, 1964.

ثالثا : المراجع العربية والمترجمة :

١) أحمد عسه - معجزة فوق الرمال - ط ١ - بيروت - ١٩٧٢ م .
٢) أحمد محمود المعمرى - عمان وشرق أفريقيا - ترجمة محمد أمين عبد الله - نيودلهى ١٩٧٩ م .
٣) أمين سعيد - تاريخ الدولة السعودية - الرياض - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - ٩ - .
٤) تسسيجر (ولفريد) - رمال العرب - ترجمة - نجدة هاجر وآخر - بيروت ١٩٦١ م .
٥) حمد الجاسر - فى شمال غرب الجزيرة - الرياض - ١٤٠١ هـ/١٩٨١م .
٦) خير الدين الزركلى - الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز - بيروت ١٩٧١م .
٧) دكتور زاهر رياض - الاستعمار الأوربى لأفريقيا - القاهرة ١٩٦٠م .
٨) سعيد بن على المغيرى - جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار - مطرح - ١٩٨٦ م .
٩) سليمان موسى - الحركة العربية - ١٩٠٨ / ١٩٢٤ - ط ٢ - بيروت ١٩٧٧ م .
١٠) دكتور صلاح العقاد - المشرق العربى المعاصر - ط ١ - القاهرة ١٩٧٠ م .
١١) دكتور عبد السلام الترمانينى - الرق - ماضيه وحاضره - سلسلة عالم المعرفة رقم (٢٣) - ط ٢ - الكويت - ١٩٨٥ م .
١٢) دكتور عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم - علاقة ساحل عمان ببريطانيا - الرياض ١٩٨٢ م .
١٣) دكتور عبد الله يوسف الغنيم - كتاب - كتاب جزيرة العرب من الممالك والمسالك للبكرى - تحقيق ودراسة - ط١ - الكويت ١٩٧٧م .
١٤) فؤاد حمزة - قلب جزيرة العرب - ط ٢ - الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
١٥) فلبس (وندل) - تاريخ عمان - ترجمة محمد امين عبد الله - عمان - ١٩٨٣م

١٦) محمد المانع - توحيد المملكة العربية السعودية - ترجمة د. عبد الله العثيمين - الرياض - ١٩٨٢ م .

١٧) محمد بن أحمد عيسى العقيلي - المخلاف السليماني - ج٢ - القاهرة ١٩٦٦ م .

١٨) محمد لبيب البتانوني - الرحلة الحجازية - ط ١ - القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

١٩) وايدنر (دونالد) - تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء - ج ١ و ٢ - القاهرة ١٩٧٦ م .

رابعا : المراجع الأجنبية :

1- Aitchison (C.M.), A Collection of Treaties Engagement and Sands Relating of India and the Neighbouring Countries, London, 1980.

2- Armstrong (H.C.), Lord of Arabia, Beirut, 1954.

3- Baker (Randall), King Hussein and Kingdom of Hejaz, Paris, 1978.

4- Bullard (Reader), The Camel Must, London, 1958.

5- Cheesman (R.E.) Unknown Arabia, London, 1926.

6- De Gaurry, Rullers of Mecca, London, 1950.

7- Disch (Jorgen), Behined The Veil of Arabia, Translated From Danish by: George Allen, London, 1962..

8- Halliday (Fred), Arabia Without Sultans, London, 1974..

9- Harrison (P.W.) The Arab at Home, London, 1924.

10- Howarth (D.) The Desert King, London, 1944.

11- Lebkicher (Ray), Aramco Handbook Arabian American Oil Co., London, 1960.

خامسا : الصحـــف :

١ - البلاد السعودية - الاعداد من ٦٧٠١ الى ٦٧١٥ - مارس / ابريل ١٩٨١ م ٠

٢ - الجزيرة - السنة ١٩ - العدد ١٦٧١ - الرياض عام ١٩٨٢ م ٠

٣ - الندوة - السنة ٢٣ - العدد ٧٦٣٣ - مكة المكرمة - ١٩٨١ م ٠

٤ - أم القرى - السنة ٧ - العدد ٣٣٤ - جدة ١٩٣١ م ٠

- السنة ١٠ - العدد ٤٩٧ - يونية ١٩٣٤ م ٠

- السنة ٢٠ - العدد ١٩٤٤ - نوفمبر ١٩٦٢ م ٠

* * * *

محمد منـدور وفكـره
الاجتماعى والسياسـى

د. اسماعيل محمد زين الديـن
كلية الآداب - جامعة القاهرة

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية كان المجتمع المصرى يعانى أزمة اجتماعية حادة ، حيث كان نحـو ثلثى الأرض الزراعية فى مصر أما مركز فى أيدى بضع مئات من كبار الملاك ، أو مقسم على حوالى مليونين من الملكيات الضئيلة التى لا يزيد متوسطها عن بضع قراريط .

وبينما استطاع كبار الملاك والرأسماليين زيادة ثرواتهم ابـان فترة الحرب ، عانت مختلف فئات المجتمع الكثير من المصاعب والمتاعب المادية نتيجة لارتفاع أسعار الحاجات والسلع الضرورية الناجم عن ارتباط العملة المصرية بالعملة الاسترلينية ، وكثرة الضرائب غير المباشرة ، واطلاق مواد التموين من التسعير الجبرى ، بالاضافة الى التجاوز أحيانا عن قيود مراقبة الاسعار وتحديد الارباح بالنسبة للمنتجين ، وغياب السياسات الاجتماعية من قبل الحكومات المتعاقبة .

ومع تفاقم المسألة الاجتماعية ، نتيجة لسوء توزيع الثـروات بين أفراد المجتمع ، كانت الحاجة ماسة الى اعادة تغيير هذه الاوضاع وقد لعب المثقفون من أبناء الطبقة الوسطى ، الذين تأثروا بالافكار الاشتراكية التى شاعت خلال الحرب الثانية وفى أعقابها ، دورا هامـا فى طرح الافكار الخاصة بعلاج الأزمة الاجتماعية من خلال الصحف والمجلات وتقديم بعض الدراسات ، وحمل فريق آخر عبء المطالبة بالاصلاح للحيلولة دون حدوث هزات اجتماعية . وكان من بين هؤلاء الدكتور محمد مندور، الذى آمن بفكرة الاصلاح عن طريق الاقناع ، وامكانية تطوير المجتمع ، بانتقاد العيوب والامراض الاجتماعية التى كانت سائدة آنذاك ، وتقديم الحلول الملائمة لاوضاع المجتمع المصرى ، مع الرفض التام للروءيـة الليبرالية لتحقيق هذا الاصلاح المنشود . وكانت لكتاباته الاجتماعية والسياسية فيما بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٥٢ أثرها فى مسار الحركةالوطنية ، حيث كانت دعوته الى الربط بين القضية الوطنية ، ممثلة فى الاحتلال الانجليزى ، والقضية الاجتماعية ممثلة فى استغلال الاقلية من الاجانب

والمصريين للاغلبية الساحقة من أفراد المجتمع . ومن ثم فقد وقف منذ البداية لبشير ويشبه الجماهير الى ان الاستقلال السياسى ليس وحده هو الهدف من حركة التحرر الوطنى ، بل يجب تحقيق الاستقلال الاقتصادى والعدالة الاجتماعية بين المواطنين ، موءكدا عدم جدوى الاستقلال السياسى ، دون ارتباطه بالعدالة الاجتماعية . وكان من بين الرواد الذين دعوا الى ضرورة التدخل لتوجيه الاقتصاد المصرى لتطوير الانتاج القومى ، تحقيقا لمصلحة المجتمع ، فكانت دعوته الصريحة الى الأخذ بمبدأ اشتراكية الدولة للتخلص من الاستغلال الاجنبى وشبه الاجنبى والمصرى لمصادر الثروة فى البلاد . كذلك كشف الدكتور مندور فى العديد من مقالاته السياسية عن عيوب الديمقراطية الغربية التى كانت تقلدها مصر آنذاك ، دون دراسة حقيقية لواقع وظروف المجتمع المصرى وفى مقابل اعتراضه على الديمقراطية الغربية ، كانت دعوته المتكررة الى الديمقراطية الاجتماعية التى تحفظ للفرد كرامته وحريته وتحقق العدل والمساواة بين كافة أفراد المجتمع .

ونظرا للدور الهام الذى لعبه محمد مندور داخل حزب الوفد ، فقد آثرنا القاء الضوء على أفكاره السياسية والاجتماعية ، من خلال مقالاته العديدة التى نشرت بجريدة الوفد المصرى والبعث وصوت الأمة ورابطة الشباب[1] .

النشأة والتكوين :

ولد محمد عبد الحميد مندور فى ٥ يوليو عام ١٩٠٧ فى كفر مندور بالقرب من منيا القمح بالشرقية . وقد حمل هذا الكفر اسم العائلة لأن جده كان يقيم فى بلدة كبيرة قريبة من هذا الكفر يطلق عليها " التلين " ، وكان له فيها بنك يتخذه مقرا لتجارة القطن والحبوب فضلا عن الزراعة التى كانت حرفته الاصلية ، وكان رجلا ناجحا فى عمله الزراعى والتجارى ، فقد ترك عند وفاته ٤٥٠ فدانا تفتتت بين أبنائه الذكور العشرة وابنته الوحيدة ، ومن بين هذه الفدادين تكون هذا

---

١) توفى الدكتور محمد مندور فى ١٩ مايو ١٩٦٥ . وجدير بالملاحظة أن لمحمد مندور مقالات أخرى تتضمن بعض هذه الافكار نشرت فيما بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤٣ بمجلات الرسالة والثقافة .

الكفر الذى حمل اسم العائلة (٢) .

وقد تأثر محمد مندور بالجو الروحانى الذى كانت عليه الاسرة مما جعله يحرص على حفظ أكبر قدر من آيات القرآن الكريم . وقد دفعه الى تعزيز هذه القيم الروحية فى نفسه ، بعد أن غرسها والده فى قلبه ، قيام جده بوقف خمسة وعشرين فدانا لاعمال البر ودور العبادة . وكان لهذه النشأة الاولى فى تلك الاسرة الريفية المحافظة على القيم والتقاليد وتعاليم الدين الاسلامى أثرها فى حياته ، حيث جعلته يتمسك بالقيم الاخلاقية ويحافظ عليها دائما مهما كلفه ذلك من ثمن . كذلك أخذ عن أستاذه - الدكتور طه حسين - الشجاعة فى ابداء الرأى .ولاشك ان وفاءه لهذه القيم هو الذى جعله يضطلع بدور هام داخل يسار حزب الوفد ، رافضا اغراءات الرشوة التى عرضها عليه كبار الملاك وأثرياء الحرب من الرأسماليين بعدما ضاقوا ذرعا بانتقاداته العنيفة لهم . ورغم أنه اضطهد وسجن مرات عديدة ، وكان أطولها وأشقها على نفسه يوم اعتقل وسجن ٤٦ يوما فى قضية الشيوعية ، التى لفقها اسماعيل صدقى لخصومه من العناصر الوطنية ، فقد استمر فى نضاله السياسى والاجتماعى متحملا فى سبيل ذلك الكثير من المصاعب والمتاعب المادية والمعنوية . ولم ينأ يوما عن متابعة الفساد الذى تفشى فى مصر خلال تلك الفترة ، موضوع الدراسة ، نتيجة لاستغلال النفوذ من جانب المسئولين ، وسوء توزيع الثروات ، وأتى بالعديد من الوثائق والمستندات التى تثبت صحة ذلك .

وحين بلغ محمد مندور الخامسة من عمره أرسله والده الى كتاب الشيخ عطوة بأرض وقف الأسرة ، حيث تعلم من هذا الشيخ القراءةوالكتابة والحساب وحفظ بعض آيات من القرآن الكريم ، ثم انتقل بعد ذلك الى مدرسة الألفى الابتدائية بمنيا القمح ، وفى أثناء دراسته هذه اندلعت ثورة ١٩١٩ . ويروى محمد مندور احدى قصص بطولة شهداء الثورة ، حين تعرض لمذبحة " بحر مويس" والتى قتل فيها حوالى ١٥٠ شهيدا من الفلاحين برصاص قوات الاحتلال الانجليزى ، نتيجة قيامهم بمظاهرة تهتف بسقوط الانجليز . وقد حاول سكان قرية مندور الانتقام لهذه المذبحة

---

٢) فوءاد دوارة : عشرة أدباء يتحدثون ، ص ١٧٢ .

وذلك بتدمير سكة حديد الحكومة التى كانت تحمل القوات البريطانية الى جميع انحاء البلاد لقمع الثورة ، غير أن رسولا من قبل أحد كبار الملاك (محمد عثمان باشا اباظة) جاءهم من بلدة قريبة يخبرهم بعدم موافقة الباشا على خروجهم لتحطيم السكة الحديد ويحذرهم من مغبة هذا العمل ، مما ترتب عليه تقاعسهم ، استجابة لأوامر الباشا والعودة الى منازلهم [٣] .

اجتاز محمد مندور امتحان الشهادة الابتدائية عام ١٩٢١ ، ولما كانت الزقازيق عاصمة مديريته لم تنشأ بها مدرسة ثانوية بعد ، فقد التحق بالقسم الداخلى بمدرسة طنطا الثانوية ، واستمر بها الى أن حصل على البكالوريا من القسم الأدبى عام ١٩٢٥ ، وكان ترتيبه الثانى عشر على البلاد رغم انه فصل لفترة غير قصيرة فى السنة النهائية نتيجة لتزعمه حركة المظاهرات واضراب الطلبة ضد الانجليز وحكومة زيور ، التى خلفت حكومة سعد زغلول اثر مقتل السردار الانجليزى " سير لى ستاك " .

وفى عام ١٩٢٥ افتتحت الجامعة المصرية ، فالتحق محمد مندور بكلية الحقوق لتحقيق حلمه الكبير ، وهو العمل وكيلا للنيابة فى أحد المراكز ، غير أن استاذه الدكتور طه حسين استطاع أن يقنعه بالالتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، بالاضافة الى دراسته بالحقوق ، بعد أن رآه يبدى استعدادا وموهبة أدبية ، وتعهد باعفائه من مصروفات كلية الآداب ، خاصة ان ليس ثمة صعوبة تجمع بين الالتحاق بالكليتين فى آن واحد ، حيث كان الطلاب يدرسون معا فى السنة الاولى برنامجا تحضيريا فى الأدب والتاريخ وعلم النفس والاجتماع واللغات القديمة ، هذا بالاضافة الى أن الدراسة بعد السنة الأولى كانت فى الصباح بالحقوق وبعد الظهر بالآداب . وهكذا استطاع طه حسين أن يوجه محمد مندور الى مجال الأدب ، على الرغم من انصرافه فى بدء حياته الى دراسة القانون بكل رغباته [٤] .

حصل محمد مندور على ليسانس الآداب فى عام ١٩٢٩ وكان ترتيبه

---

٣) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
٤) محمد مندور : فى الميزان الجديد ، الطبعة الثالثة ، المقدمة .

الأول ، فأرسلته الجامعة المصرية ضمن بعثتها الى السوربون بفرنسا، بعد أن مكث بمصر عام آخر لدراسة اللغة الفرنسية ، تمكن خلاله من الحصول على ليسانس الحقوق فى عام ١٩٣٠ ، نظرا لأن مدة الدراسة بها كانت خمس سنوات . وعاودته الفكرة من جديد بعد أن جاء ترتيبه بين الأوائل ، واستدعى بالفعل لتحقيق حلمه الكبير ، ولكنه بعد تردد فضل السفر فى البعثة الى باريس على التعيين وكيلا للنيابة فى أحد المراكز(٥) .

وكانت السنوات التسع التى أمضاها فى فرنسا فيما بين عامى ١٩٣٠ ١٩٣٩ سنوات لتقليب جذوره الفكرية وللاستقرار داخل ثقافة موسوعية . ومنذ أن سافر الى فرنسا حتى وضع لنفسه خططه الخاصة فى الدرس والتحصيل وكان فى تلك الخطط ما لا يتمشى مع الخطط الرسمية ، ولقى من ذلك بعض العنت من المسئولين عن البعثة . فبالاضافة الى حصوله على اجازة الأدب واللغتين اللاتينية واليونانية ، حصل على شهادة للعلوم القانونية والاقتصادية ، فى الوقت نفسه كان يحضر أطروحة الدكتوراة عن النقد العربى القديم(٦) ، ولكنه لم يتمكن من الحصول عليها ، نتيجة لتوتر الأوضاع السياسية فى أوروبا آنذاك والاحساس بشبح الحرب ، ففضل العودة الى مصر دون الانتهاء من رسالته ، ليقدمها بعد ذلك الى الجامعة المصرية - جامعة القاهرة حاليا - باشراف استاذه أحمد امين فى موضوع " تيارات النقد العربى فى القرن الرابع الهجرى " ، نال بها درجة الدكتوراه عام ١٩٤٣ . وقد اتاحت دراسته القانونية والاقتصادية قدرا من المعرفة لمذاهب الاقتصاد وفلسفته والنظم الضريبية والتشريع المالى ، مما كان لها أكبر الأثر فى تكوينه الثقافى كما وفرت له المنطلق الأساسى ، والقدرة الفائقة فى الرد على خصومه من ممثلى الرأسمالية .

العلاقة بين محمد مندور وحزب الوفد :

مرت العلاقة بين محمد مندور وحزب الوفد بمرحلتين :
بدأت المرحلة الأولى منذ الفترة المبكرة من حياته ، فبالاضافة

---

٥) فوءاد دوارة ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
٦) محمد برادة : محمد مندور وتنظير النقد العربى ، ص ٢٩ .

الى تزعمه لحركة اضرابات ومظاهرات الطلبة ضد الانجليز وحكومة زيور التى خلفت حكومة سعد زغلول على اثر مقتل السردار " سرلى ستاك ". بدأ منذ عام ١٩٣٦ ، عندما كان لا يزال طالبا فى باريس ،ينشر سلسلة من المقالات فى الصحف الفرنسية يعبر فيها عن تعاطفه مع حزب الوفد الذى كان بالحكم آنذاك ، ويدافع عن حق مصر فى الغاء المحاكم المختلطة ، وينبه فيها الرأى العام الفرنسى الى ان معارضة حكومتهم فى الغاء الامتيازات الأجنبية بمصر ستجعلهم يخسرون وضعهم الأدبى فى مصر وحب أهلها لهم . وقد قادته هذه المقالات الى الدخول فى خصومة جدالية مع السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية الذى كان يرأس وفد بلاده فى مفاوضات " مونترو " ، واستمر ذلك سجالا بين الطرفين حتى ثاب الفرنسيون الى رشدهم وسلموا بما لم يكن منه بد وهو الموافقة على الغاء الامتيازات الأجنبية . وقد تابعت السفارة المصرية هذه المساجلة الهامة وأبلغتها الى وزارة الخارجية فى القاهرة (٧) .وكانت وجهة النظر التى يدافع عنها محمد مندور مطابقة لوجهة نظر حزب الوفد الموجود فى الحكم آنذاك .

وحين مر الوفد المصرى للمفاوضات بباريس عائدا من لندن عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، التقى به محمد مندور ، مغتنما الفرصة لتوسيط مكرم عبيد ، وزير المالية آنذاك والعضو البارز فى الوفد ،حتى يحصل من جديد على منحته الدراسية الموقوفة بقرار جائر اتخذه مدير البعثة المصرية فى باريس . وقد استجاب مكرم عبيد لطلبه خاصة وان مقالاته المنشورة بالصحافة الفرنسية أفادت فى التعريف به عند أعضاء الوفد (٨) .

أما المرحلة الثانية من هذه العلاقة فقد بدأت عقب عودته من البعثة ، حيث كان يعد عدته للعمل بسلك التدريس بجامعة القاهرة - كلية الآداب ، ثم وقع الصدام بينه وبين سلطات الاحتلال الانجليزى ممثلة فى المستر " وادل " Wadl رئيس قسم اللغات الأوروبية القديمة ، حين رفض الأخير قيام محمد مندور بتدريس اللغة اليونانية وآدابها والتى تخصص فيها ، بحجة اضطراره الى الاحتفاظ بمقاعد التدريس

---

٧) فؤاد دوارة : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
٨) محمد برادة : محمد مندور وتنظير النقد العربى ، ص ٦٨ .

بالقسم للذين تخرجوا من الجامعات الانجليزية ، أو لتلاميذه من خريجي القسم . وكان لهذه الحادثة أثرها في موقف محمد مندور من الاحتلال الانجليزي فيما بعد ، حيث نشر مقالا يحمل عنوان " الاستعمار الثقافي " هاجم فيه أسس السياسة الاستعمارية البريطانية ، موجها نقده الى سيطرة السياسة على الثقافة ، وتدخلها فيها واتخاذها وسيلة للاستعمار واوضح أنه ليس من المعقول أن تستخدم انجلترا نفوذها السياسي في مصر لكي تحابي المصريون الذين يتعلمون في انجلترا دون غيرها من بلاد الثقافة الأخرى . وكذلك تدخلها في السياسة الداخلية عن طريق الضغط على الحكومة المصرية لارسال بعثاتها اليها فقط دون الدول الأخرى . وقد قاده هذا المقال العنيف ضد السياسة البريطانية ،وموقف الحكومة الاستسلامي ، الى التحقيق معه من جانب النيابة (٩) .

ثم حدث خلاف آخر بينه وبين استاذه الدكتور طه حسين ، مما اضطره الى تقديم استقالته في منتصف عام ١٩٤٤ ليتجه الى العمل بالصحافة كرئيس تحرير جريدة " المصري " التي كان يملكها محمود أبو الفتح الا أن خلافا بينه وبين محمد مندور ، أعاده الى البطالة ودوامة المتاعب المادية التي يعرفها كل من لا يقبل الخضوع والاستسلام .

ويروي محمد مندور قصة اختلافه مع محمود أبو الفتح وبالتالي ابعاده عن الجريدة ، ليصبح متعطلا أكثر من أربعة اشهر ، لا مورد له الا قدر ضئيل من النقود ، لقاء ما كان يكتبه من مقالات في مجلات الرسالة ، والثقافة ، ومن تدريس بعض المحاضرات بمعهد التمثيل الذي افتتح مسائيا عام ١٩٤٤ بقوله : " حدث ان كانت هناك قضية كبيرة معروضة على القضاء بسبب اعتناق أحد كبار الاثرياء الأقباط الدين الاسلامي لكي يطلق زوجته ، فطعنت الزوجة في اسلامه بقصد التحايل على طلاقها ، ووكلت عنها المحامي عزيز خانكي ، الذي لم يكتف بالاحتجاج والمذكرات التي قدمها للمحكمة ، بل نشر في جريدة الاهرام مقالا خطيرا يطالب فيه باصدار تشريع يحرم تغيير الدين . وانبرى هذا المقال فكتبت ردا عليه استنكر فيه أن يمتد التشريع الى ضمير الانسان فيفرض عليه دين معين ، لأن نطاق الضمير لا يجوز للمشرع أن يقتحمه . . . . .

---

٩) الوفد المصري . ١٩٤٦/٦/١١ . كذلك البعث ، ١٩٤٦/٧/٤ .

محمود أبو الفتح رفض نشر المقال فى " المصرى " فأخذته وذهبت على الفور الى جريدة الاهرام حيث قابلت انطون الجميل وطلبت منه أن ينشر ردى فى نفس المكان الذى نشرت فيه مقالة عزيز خانكى ، فرحب بذلك ونشر المقال بالفعل .فكان ذلك ايذانا بفصلى من الجريدة ، ولم يكن قد مضى على بدء عملى بها أكثر من ثلاثة أشهر "(١٠) .

على أن الاقدار عادت بمندور مرة ثانية الى العمل تحت جناح حزب الوفد كرئيس تحرير لصحيفة الوفد المصرى ابتداء من فبراير ١٩٤٥ ، ثم عضوا بالهيئة الوفدية اعتبارا من أغسطس ١٩٤٧(١١) .

ففى أعقاب اقالة حكومة الوفد فى اكتوبر ١٩٤٤ ، صدرت صحيفة " أخبار اليوم " وأعلنت سياستها فى مناصرة الملك ضد الوفد الممثل وتتذاك للشعب . وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الصاخبة بعنوان : " كيف فسدت العلاقات بين الوفد والسراى " ، تشنع فيها على الوفد وسياسته وتشيد بالملك وتسرف فى مناصرته وتتصدى لمصطفى النحاس زعيم الحزب بابشع التهم مستهدفة استنزاف كل رصيد شعبى للحزب ولزعيمه . وكان للسعديين مجلة صغيرة " بلادى " يصدرها محمود سمهان ابن أحد كبار الهيئة السعدية ، الذى كانت تربطه علاقة بمحمد مندور منذ اقامتهم سويا بباريس بعض الوقت ، فاغراه مندور بنشر مقال فى مجلته ردا لما تنشره " أخبار اليوم " ، اسماه " الأوراق الصفراء " فقام محمود سمهان بنشر المقال كافتتاحية لمجلته ، فكان بمثابة قنبلة انفجرت فى الوسط السياسى كله - على حد تعبير مندور - ، مما ترتب عليه استدعاء الحزب لمحمود سمهان وتأنيبه تأنيبا شديدا ، وفى الوقت نفسه رضى حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس عن المقال رضاء شديدا ، واعتبروا كتابته ضد أخبار اليوم وضد السراى جرأة لا مثيل لها ، وتم اسناد رئاسة صحيفة الوفد المصرى له اعتبارا من فبراير ١٩٤٥ .

وبالاضافة الى رئاسته لتحرير " الوفد المصرى " ، أصدر محمد

---

١٠) فؤاد دوارة ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
١١) صوت الأمة ، العدد ٣١٢ ، ٢ أغسطس ١٩٤٧ .

مندور مجلة على نفقته الخاصة ، كانت متواضعة ، أطلق عليها " البعث" صدرت أسبوعية منذ ديسمبر ١٩٤٥ ، ضمت العديد من الكتاب التقدميين كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمى الذى غذى المجلة بمقالات اسبوعية تتناول السياسة الدولية وأثرها على أوضاعنا الداخلية . وقد اهتمت " البعث " بأوضاع الطبقة العاملة المصرية ومشاكلهم مع أصحاب العمل والنفوذ . كذلك انفردت " البعث " برسم صورة واقعية لاحوال المجتمع المصرى وما يعانيه من الفقر والمرض والحرمان والجهل ، نتيجة لغياب السياسات الاجتماعية من قبل الحكومات المتعاقبة . واتخذت عنوانا لذلك يحمل " نماذج بشرية " حيث صورت فئات عديدة من أفراد المجتمع تتضور جوعا وتعانى الكثير من أمراض سوء التغذية والمعيشة . وقد استمرت البعث فى صدورها حتى أصدر صدقى قرارا بغلقها مع غيرها من الصحف التقدمية فى يوليو ١٩٤٦(١٢) .

ومنذ هذه الفترة أصبحت صحيفة الوفد المصرى مركزا لتجمع حركة تقدمية داخل حزب الوفد نفسه ، ضمت العديد من الشباب الوفدى التقدمى كعزيز فهمى ومحمود عزمى وكثير غيرهم من شباب الطليعة الوفدية الذين تأثروا بالافكار الاشتراكية التى شاعت خلال تلك الفترة وبدأت تتبلور فى أذهان هذه الفئة الحاجة الى ضرورة اعادة تركيب المجتمع . وربطت ذلك بالكفاح ضد الاستعمار والاستغلال الأجنبى .

وكانت هذه العناصر التقدمية بمثابة همزة الوصل بين الحزب بقيادته الوطنية التقليدية ، وبما تسرب اليها من نفوذ كبار الملاك ، وبين الجماهير الاكثر وعيا . فكانت صحيفة الوفد المصرى هى المنبر الذى يجمع بين أهداف الوفد التقليدية فى الاستقلال والحرية ، وبين مطالب الجماهير فى العدالة الاجتماعية فى ظروف بدأت تتكشف عن أزمة طبقية حادة بين الحاكمين والمحكومين . وكان هذا الاتجاه التقدمى الذى تزعمه محمد مندور ينظر للوفد باعتباره تجمعا سياسيا عريضا يقوم على أساس تحقيق الاستقلال والحرية والدفاع عنهما . ويرى فى هذين المطلبين الأساس الذى يجب أن تبدأ به أى من خطى التقدم

---

١٢) انظر البعث فيما بين ديسمبر ١٩٤٥ ، يوليو ١٩٤٦ .

الاجتماعى . ويرى فى ضرب الوفد وقوع لمصر فى أيدى الرجعية والاستعمار.(١٣)

ومن الملاحظ أن هذه الفئة التقدمية داخل حزب الوفد كانت توجه نقدها لحكومات الاقلية ، دون أن تتخطاها الى الدعائم السياسية للنظام كله الذى يقف الملك على قمته . وكان هذا هو الاطار الذى ترسمه قيادة الوفد التقليدية لنشاط الحزب ، فكان على هذه العناصر التقدمية أن تلتزم به .

واذا كان محمد مندور قد وضع بين شعارات صحيفة الوفد المصرى " العدالة الاجتماعية " ، فقد كان مدفوعا فى ذلك بنزعة اصلاحية خالصة تدعوه الى مناصرة العدل بين المواطنين وتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع الذى كان يتردى فيه الملايين من أبناء هذا الشعب ، بالاضافة الى ايمانه بالاصلاح عن طريق الاقناع ، وامكانية تطوير المجتمع والنهوض به وفقا لامكاناته اذا حسنت النوايا .

وكان البرنامج الاصلاحى الذى دعا اليه محمد مندور يحقق رغبات الامة فى النهوض والتقدم وامكانية التطور والتحرر من التبعية السياسية والاقتصادية ، مستمدا فى ذلك نموذج قريب من الاشتراكية الديمقراطية كما اكتشفها وأعجب بها عن قرب عند " ليون بلوم " خلال اقامته بفرنسا(١٤) ، لذا فقد كان عليه الانضواء تحت حزب سياسى لامكانية تحويل هذا البرنامج الى سياسات يتبناها هذا الحزب من خلال وجوده فى السلطة . وقد رأى أن حزب الوفد بشعبيته الجماهيرية هو المؤهل لقيادة الحركة الوطنية ، والدفاع عن الحريات والدستور، بالاضافة الى السير وفقا لمبدأ اشتراكية الدولة(١٥) . كتب محمد مندور بشير الى " أن الوفد لا يحجم عن بسط رقابة الدولة على الاعمال الاقتصادية المختلفة ، تحقيقا للعدالة الاجتماعية بين المنتجين

---

١٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٣٩ .

١٤) محمد برادة ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

١٥) كان محمد مندور فى دعوته الاصلاحية يشبه الدور الذى يقوم به الوفد لخدمة الجماهير بالدور الذى يلعبه حزب العمال البريطانى آنذاك .

والمستهلكين وبين أصحاب رءوس الاموال والعمال ، كما أنه يعمل على رد شركات الاحتكار الى الدولة بمجرد انتهاء فترة امتيازاتها بالاضافة الى تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب رءوس الاموال ، بتلك التشريعات التى سنها ، مع تسليحهم بقانون النقابات لتمكينهم من مقاومة استبداد أصحاب رءوس الاموال ، وقد وضع الوفد الاحزاب التى تلته في الحكم أمام خطوات اشتراكية ديمقراطية كتقرير مجانية التعليم ، وتغذية الطلبة الالزاميين فى بلاد يتضور فيها هؤلاء الطلبة وآباؤهم جوعا ومرضا . فالوفد اذن اشتراكى النزعة ، وستزداد تلك النزعة وضوحا ، وسيعم هذا المذهب سياسته ، لانه حزب الشعب ، الذى بلغ من البوءس أقصاه ، ولن تصلح أموره بغير النظرية الاشتراكية العادلة "(١٦)

لقد كان محمد مندور يحلم وآخرون من أصحاب ذلك الاتجاه التقدمى الى دفع الوفد لسلوك سياسة اكثر تقدمية من ناحية الاصلاحات الاجتماعية غير أن قيادة الحزب من الجناح اليمينى عارضت هذا الاتجاه الذى كان يمثل خطرا على مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

الموقف من الرأسمالية :

حين أعلن صدقى عقب تأليفه الوزارة خلفا للنقراشى فى فبراير ١٩٤٦ ، أنه سيرفع مستوى الشعب بتنمية الانتاج ، وأنه سيقوم بمشروع كبير يقضى بعقد قرض وطنى بخمسين مليونا من الجنيهات لمحاربة ثالوث الفقر والمرض والجهل . تصدى له الدكتور مندور ، مذكرا اياه ، بعدم اشارته الى مشكلة سوء توزيع الثروة فى مصر ، وكشف مزاعم تلك السياسة الرأسمالية التى ترضى مصالح الرأسماليين ، بأن تفتح لهم بابا جديدا لاستثمار أموالهم المعطلة ، مع ايهام الشعب بالعمل على رفع مستواه . وطالب بفرض ضرائب تصاعدية على كبار الاثرياء ، لتوفير الموارد المالية اللازمة لمعالجة الفقر والمرض والجهل ، دون ارهاق حقيقى لهؤلاء . وأضاف ان مثل هذه القروض التى تعقدها الحكومات لا تصرف فى الابواب التى تغذيها الميزانية العادية كمسائل الفقر

---

١٦) البعث ، ١٦ مايو ١٩٤٦ . الوفد المصرى ، العدد ٢٤٥٦ ، ٤ يونيه ١٩٤٦ ، رابطة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ أبريل ١٩٤٧ .

والمرض والجهل ، وانما تعقد مثل هذه القروض للمشروعات الانتاجية التى تستفيد منها الاجيال اللاحقة الى جوار الاجيال الحالية ، ويكون فى هذا ما يبرر تحملها لسداد تلك القروض على مدى السنين . وأما ان نعقد قرض لعلاج أمراض جيل بالذات ثم تحمل الاجيال اللاحقة عيئها ، فذلك ما لا يمكن أن يقول به أحد . ونوه بأن بلادا كمصر لا تبلغ فيها الضرائب مهما علت حدا لا يتجاوز ١٢ ٪ لا يفهم أحد كيف نلتجىء الى القروض لتنمية ميزانيتنا ومواجهة الفقر والمرض والجهل(١٧) .

ومنذ هذه الفترة بدأ محمود مندور فى مهاجمة سياسة الرأسمالية فى مصر والتى كانت تسعى الى استنزاف وامتصاص دماء الشعب . ونادى بضرورة اصلاح النظام الضريبى وتقرير مبدأ التصاعد فيه ونبه الاغنياء وأثرياء الحرب الى أن من مصلحتهم ذاتها أن يقبلوا التضحية بشىء من أموالهم الوفيرة حتى لا تسوء الأمور فتكون تضحياتهم أعظم . وكشف عن الطرق التى تحتال بها الشركات الاجنبية لاستغلال نفوذ المسئولين وبعض الباشوات ، حتى تتمكن من خلالهم تحقيق مصالحها الاستغلالية مع ضمان التمتع بالحماية من جانب هوءلاء . وأتى بالعديد من الوثائق والمستندات التى تثبت صحة ذلك(١٨) .

وزيادة فى فضح سياسة الرأسمالية فى مصر ومدى استغلال المسئولين لنفوذهم ، قام بنشر سلسلة من المقالات البارزة بصحيفة الوفد المصرى، اعتمد فى كتابتها على تقرير سنوى كانت تصدره الجاليات الاجنبية فى مصر باللغة الفرنسية بعنوان " حولية الشركات " ، وقد تضمنت هذه الحولية بيانات لميزانيات الشركات والمرتبات التى يتقاضاها أعضاء مجالس الادارات من الباشوات الرأسماليين ، دون أن يبذل هوءلاء شيئا من العمل أو الجهد لقاء تلك المكافآت الضخمة والتى زادت على المائة

---

١٧) كتابات لم تنشر ، دار الهلال ، العدد ١٧٦ ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ .وجدير بالملاحظة أن محمد مندور كان يرى بوجوب تطبيق مبدأ التصاعد فى الضرائب على الثروة العقارية والمنقولة ،وان يعم هذا المبدأ نظامنا المالى كله .

١٨) الوفد المصرى ، ٣ يونيه ١٩٤٦ .

ألف جنيه سنويا لبعضهم (١٩) . وقد نوهت هذه الدراسة عن الشركات الموجودة بمصر آنذاك ، بأن هناك طائفة من الباشوات الرأسماليين يشتركون فى عضوية مجالس ادارة العديد من هذه الشركات ، وانهم بفضل اشتراكهم فى عدد كبير من هذه الشركات ، ونتيجة لما يجنونه من وراء ذلك ، فانهم يستخدمون نفوذهم ، بحكم مراكزهم فى الميدان السياسى سواء فى الحكومة أو البرلمان لتحقيق مصالح هذه الشركات ، وتقديم الكثير من التسهيلات لها على حساب الشعب(٢٠) . وقد ظهرت تلك الآثار بوضوح حين عارض هؤلاء قانون الشركات ، على الرغم من تواضعه ، ومن الثغرات الواسعة التى تركت فيه ، باعتباره يحد من نفوذهم واستفادتهم من وراء هذه الشركات .

وكان من بين أحكام هذا القانون الذى ووجه بحملة قوية مدبرة من الأجانب وممثلى الرأسمالية المصرية عدم جواز الجمع بين عضوية مجلس الادارة فى أكثر من ست شركات وعضويتها المنتدبة أو رياستها فى أكثر من شركتين وتحريم عودة الوزراء الى عضويتهم فى مجلس الادارة قبل انقضاء ثلاث سنوات من تركهم الوزارة . دون أن يكون هناك نص صريح يقضى بتحريم الاسهم الصورية والحصص العينية التى كانت تمنحها الشركات لذوى النفوذ كرشوة مستترة تمهيدا لتعيينهم أعضاء فى مجالس ادارتها ، تماما كما فعلت شركة الغاز المصرية Sep حين أعطت اسماعيل صدقى ٢٥٠ سهما يدفع ثمنها من حصته فى الأرباح المستقبلة للشركة (٢١) .

---

١٩) جاء فى مذكرة المسيو جيانوتى عن صلة صدقى بشركة الغاز المصرية Sep انه قد حصل عند تكوين الشركة على ٢٥٠ سهما يدفع ثمنها بالتقسيط من حصته فى الارباح المستقبلة . وكانت قيمة السهم اربعة جنيهات وبالتالى فقد كان مقدار اكتتابه الاسمى فى الشركة ألف جنيه . وقد اتاح له ذلك الحق فى ان يصبح عضو مجلس ادارة ثم رئيسا لمجلس ادارتها فيما بعد . حول تفاصيل هذه الشركة انظر ، صوت الامة ، العدد ٢٤١ ، ٤ مايو ١٩٤٧ . مقال بعنوان " كيف تستغل الشركات نفوذ بعض الباشوات " .

٢٠) الوفد المصرى ، ٦/٣ ، ٦/١١ ، ١٩٤٦/٦/١٢ . سلسلة مقالات بعنوان " الباشوات الرأسماليون " .

٢١) صوت الأمة ، العدد ٢٤١ ، ٤ مايو ١٩٤٧ .

وفى مجال تمصير هذه الشركات ، لم ينص هذا القانون الا على مسألة واحدة فقط وهى أن يكون ٧٥ ٪ من موظفى الشركة ، ٩٠ ٪ من عمالها من المصريين على أن تكون نسبة مرتباتهم ٦٥ ٪ ، ٨٠ ٪ على التوالى، دون أن يتعرض الى أخطر ناحية فى التمصير ، وهى تمصير رءوس الاموال المستخدمة فلم يشترط هذا القانون على أن تحتجز للمصريين نسبة مئوية يجب أن تكون على الاقل اكثر من النصف من رأسمال الشركة (٢٢). وحتى النص على نسبة المصريين الموظفين والعمال سعت الشركات الاجنبية لدى الحكومة المصرية لاصدار قانون التجنس بالجنسية المصرية حتى تضمن بقاء الاجانب كما هم مع تغيير جنسياتهم وتمصرهم شكلا (٢٣). ولما عرض المشروع على البرلمان فى بداية ١٩٤٧ هاجمه بشدة كبار رجال المال المرتبطين بالاستعمار ، وكتب محمد أحمد فرغلى (من كبار مصدرى القطن) ينبه الى الآثار المشئومة التى تترتب على القانون بسبب تغيير مجالس الادارة واقصاء الكثير من المؤسسين والاعضاء القدامى ذوى الكفاية والخبرة ، واقترح أن يستثنى على الاقل من أحكام هذا القانون مؤسسو الشركات القائمة ومن يساهم فى تأسيس شركات جديدة بما لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ، وكان يقصد بهذه الاقتراحات ابقاء قبضة هذه الفئة من كبار الرأسماليين على الاقتصاد المصرى . وكان قد عارض قبل ذلك ما نص عليه المشروع من منع تعيين الوزراء السابقين الا بعد ثلاثة أعوام قائلا : " ان هذا الحكم غير ديمقراطى ولا يجد سوابق له الا فى حكم المانيا الهتلرية "(٢٤) .

وكان من بين الذين تناولتهم الدراسة اسماعيل صدقى وتوفيق دوس وحسين سرى وحافظ عفيفى وحسن صادق ومحمود شكرى وسابا حبشى وأحمد صديق ومحمد أحمد عبود . وواضح أن اغلب هؤلاء كانوا ينتمون الى الهيئة السعدية والتى كانت تعبر عن مصالح الرأسمالية وتدافع عن مكاسبها . وقد اعتبر صدقى ان هذه المقالات من شأنها الدعوة الى

---

٢٢) أوجب هذا القانون ألا يقل رأس المال المصرى فى أية شركة عن ٥١ ٪ مع اعفاء الشركات التى اسست قبل القانون المقترح من نسبة رأس المال المصرى التى يوجبها وذلك حتى تنتهى مدتها فيراعى التزام النسبة عند التجديد .

٢٣) رابطة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ ابريل ١٩٤٧ .

٢٤) طارق البشرى ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

قلب النظام الاجتماعى ، وان ذلك يوءدى الى اشعال حرب الطبقات ، فرد عليه مندور بان السياسة التى تنتهجها حكومته الحالية بنوع خاص هى التى يخشى ان توءدى الى حرب طبقات مخيفة نتيجة لأزمة البطالة التى تشكو منها البلاد من جراء زيادة عدد المتعطلين من العمال ، وعاد لتذكيره بمشكلة سوء توزيع الثروات وتذمر كافة فئات الشعب وشكواها المتكررة من قسوة الحياة نتيجة لارتفاع تكاليف المعيشة ، الناجمة من عدم الموازنة بين الاجور وارتفاع الاسعار(٢٥) . ورأى ان العلاج الصحيح لمشكلة الفساد الاخلاقى والاجتماعى فى مصر لن تجدى فيها مثل هذه التشريعات العرجاء ، وانما الاخذ بمبدأ اشتراكية الدولة وذلك بان تبدأ الدولة فى الاستيلاء على شركات الاحتكار وشركات المرافق العامة حتى تستغل مصادر الثروة الكبيرة فى الوطن لمصلحة الشعب بأكمله ، وبذلك تقطع دابر الرشوة واستغلال النفوذ وتركز الثروات وتغلغل الأجانب فى الحياة الاقتصادية . وأضاف بأن هذا الطريق قد لجأت اليه كافة دول العالم ، مشيرا الى انجلترا كنموذج لذلك(٢٦) .

كان مندور يلح على ضرورة تدخل الدولة لضمان العدالة الاجتماعية بين المواطنين ، موضحا فى معرض ردوده على خصومه الرأسماليين، بأنه لم يخترع هذه الفكرة وبأن آخرين قبله قد دعوا اليها، ويذكر كمرجع أساسى لهذه الافكار كتاب " تاريخ المذاهب الاقتصادية " لشارل جيد وشارل ريتست . الشئ نفسه يفعله عندما يدافع عن فكرة تشريع نظام للضرائب التصاعدية أو عندما يحدد دور الرأى العام . أى أنه كان يبحث عن الحلول الملائمة للواقع المصرى فى الفكر السياسى الغربى وفى نظمه الديمقراطية .

العدل الاجتماعى ومشاكل العمال والفلاحين :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، أصيبت الصناعة المصرية بانكماش شديد نظرا لأن توسعها فى الانتاج كان مرتبطا بظروف الحرب ، فانتشرت بذلك البطالة بين العمال نتيجة لقيام السلطات العسكرية

---

٢٥) الوفد المصرى ، العدد ٢٤٨٥ ، ٨ يوليو ١٩٤٦ .
٢٦) رابطة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ ابريل ١٩٤٧ . مقال بعنوان : " اشتراكية الدولة " .

البريطانية بالاستغناء عن أعداد كبيرة من العمال ، واغلاق الكثير من المصانع التى كانت تخدم مجهود الحلفاء الحربى ، فبلغ عدد العاطلين ٣٧٦ ألف عامل ، وكون هؤلاء من مؤسسات الجيوش الاجنبية ومن المصانع اللجان للمطالبة بمعالجة تلك الحالة فورا . ولم يكن نصيب الفلاحين من تلك الازمة التى فرضتها الحرب على مصر أقل من نصيب العمال ، فعانى الفلاحون وصغار المزارعين ومتوسطيهم حدا اكبر من الفقر بسبب هبوط أسعار القطن وتحديد زراعته والقيود الاحتكارية التى فرضتها اللجنة البريطانية على تصديره (٢٧) .

وبينما كان أصحاب رؤوس الاموال وكبار الملاك الزراعيين يهدفون الى زيادة ثرواتهم وتنميتها ويتطلعون الى السيطرة السياسية لحماية مصالحهم أمام محاولات التعرض لها ، كانت فئات العمال والفلاحين وصغار الموظفين والتجار تقع تحت السيطرة السياسية والاجتماعية لهؤلاء الأثرياء فتميزت حركتهم بمحاولة الحد من القهر الطبقى الذى يعيشون فيه وكان ذلك واضحا فى نضال العمال للاعتراف بنقاباتهم ووضع حد أدنى للأجور وساعات العمل ، وشكوى عمال الزراعة والتراحيل وصغار ملاك الاراضى من قهر الاقطاع وسيطرته على مقدراتهم (٢٨) .

واذا كان الفلاحون قد جبلوا على الصبر وتحمل الصعاب فان ضغوط الحياة كانت تدفعهم الى التمرد على واقعهم الاجتماعى السيىء فى صورة هبات تلقائية غير منظمة ، سرعان ما يتم القضاء عليها وانزال العقوبات الشديدة بالمشاركين فيها دون الاهتمام بحل المشكلات التى قادت الى تلك الحوادث . ولعل افتقار الفلاحين الى القيادات السياسية الواعية ، والى الخبرة بالنضال الجماعى والتنظيم ، وغياب الوعى الطبقى بينهم يشكل الاسباب الجوهرية لفشل الفلاحين فى القيام بحركة للدفاع عن مصالحهم فى مواجهة كبار الملاك .

وقد اتخذ الرفض الاجتماعى عند العمال مظاهر شتى من بينها : تنظيم الاضرابات وحركة الاحتجاج ، واحتلال المصانع ، وتحطيم الآلات .

---

٢٧) ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ، ص ٨٢ .
٢٨) عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانية ، ص ٢٥٠ .

وكانت تلك المظاهرات تتخذ شكل الظاهرة المستمرة فى أوقات الازمات الاقتصادية الخانقة [٢٩] .

وقد اهتم محمد مندور بتلك المشكلة الخطيرة التى تهدد كيان الامة الاجتماعى ، وقام بمتابعة الرسائل عن ظروف العمال وما يقاسونه من متاعب ، نتيجة استبداد أصحاب العمل بهم . وطالب الحكومات مرارا ان تنهض بواجبها ازاء هذه الطبقة المنتجة . وحين علم ان شركة نسيج المحلة قد قررت الاستغناء عن ثلاثة آلاف عامل دفعة واحدة ، مخالفة بذلك قانون عقد العمل الفردى ، بدعوى اضطرارها الى تخفيض انتاجها لمواجهة ضعف الاستهلاك ، هاجم هذا السلوك ، موضحا ان ضعف الاستهلاك الذى حدا بالشركة الى اتخاذ هذا القرار بتسريح العمال والالقاء بهم الى البطالة غير عابئة بقانون ولا رقابة حكومية ، انما مرجعه الى عاملين ، تتحمل هذه الشركة وغيرها من الشركات الاستغلالية مسئوليتهما وهما عدم رغبة هذه الشركات فى الاكتفاء بالارباح العادلة والتى تمكنها من خفض أسعارها ، ثم ضعف المرتبات والأجور التى تصرفهاللعمال والموظفين ، مما ترتب عليه ضعف استهلاكهم [٣٠] . ووجه نقدا عنيفا الى الحكومة مشيرا الى عجزها عن مواجهة البطالة ، وايجاد الحلول لمعالجة هذه المشكلة ، وطالبها باتخاذ اجراءات حازمة ضد الشركات التى تسوف وتماطل من أجل الاستغناء عن بعض عمالها بدعوى قلة الاستهلاك وما يتبعه من قلة الانتاج ، وذلك بالاستيلاء على كافة ما تنتجه هذه الشركات وارغامها على الاستمرار فى العمل أو الاستيلاء على المصانع التى يلجأ أصحابها الى تعطيلها بتلك الدعاوى الزائفة . وفى معرض حديثه عن البطالة ، أوضح محمد مندور أن علاج هذه المشكلة يتطلب وضع نظام شامل للتأمين الاجتماعى حتى يجد المريض والشيخ المتعطل شيئا ثابتا مطردا يمسك به فى حياته حتى يلطف به الله فيتوفى الشيخ ويصح المريض ويجد المتعطل عملا ، مع السير فى سياسة عامة تؤدى الى زيادة الانتاج القومى ، وتحقيق العدالة فى توزيع ثمرات العمل بين أصحاب رءوس الاموال والعمال والاخذ بمبدأ التصاعد فى الضرائب ، مما

---

٢٩) رءوف عباس حامد : جماعة النهضة القومية ، ص ٣٠ ، ٣١ .
٣٠) صوت الامة ، العدد ١٤٤ ، ١١ يناير ١٩٤٧ . مقال بعنوان : " هل لمصلحة العمل ان تنهض بواجبها " .

دمنا لم نصل بعد الى أن يكون نصيب العمل جزءا من الربح - المشاركة فى الأرباح - لا أجرا يوميا أو شهريا (٣١) . وعاد ليؤكد على الأخذ بمبدأ اشتراكية الدولة حتى تصبح للحكومة وظيفة اقتصادية فوق وظائفها الأخرى ، مشيرا الى ضرورة تحقيق ضمانات كافية لحرية الفرد فى العبادة والقول والكتابة والتدريس والاجتماع وتكوين الجمعيات السياسية وغير السياسية . وقد نشر عديد من المقالات تناول فيها الضمان الاجتماعى والتأمينات الاجتماعية ، أوضح فيها أن الضمان الاجتماعى يجب أن يتناول البناء العام للهيئة الاجتماعية كلها ، دون الاقتصار على التأمينات والخدمات الاجتماعية ، بل لابد أن يتناول الانتاج والعمل والعلاقة بينهما حتى يمكن الوصول الى ضمان اجتماعى صحيح . وطالب بوجود تأمينات ضد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة فضلا عن التأمين ضد البطالة وهو أهم أنواع التأمينات واكثرهافائدة للعمال . وانتقد النظم المبتورة التى وضعتها بعض الشركات لعمالها كمنحهم مكافآت ضئيلة عن مدة خدمتهم أو اعطائهم معاشا صغيرا مقابل استقطاعات من أجورهم أو مرتباتهم (٣٢) . ورأى أن العامل فى ظل هذا النوع من التأمين يساهم بنصيب كما يساهم صاحب العمل بنصيب وتشترك الدولة بالنصيب المتبقى لجمع المال اللازم للتأمين ، على أن يشمل كافة طبقات المجتمع .

وكانت وزارة الشئون الاجتماعية فى عهد حكومة الوفد قد وضعت مشروعا للتأمين الاجتماعى فى عام ١٩٤٣ ، وتركت الحكم وهومعدبمذكراته ومبادئه دون أن يرى النور . واستمر معطلا فى وزارةالشئون الاجتماعية حتى أوائل عام ١٩٤٧ ، حين استدعت حكومة النقراشى بعد الخبراء الاجانب فى المسائل الاجتماعية والمالية ، وعهدت اليهما بدراسة المشروع الجديد ، وقد وضع الخبيران تقريرهما ، وانتهى الامر بأن رفعت وزارة الشئون الاجتماعية مذكرة بالمشروع الى مجلس الوزراء الذى وافق عليها (٣٣) .

---

٣١) الوفد المصرى ، ٢١ مايو ١٩٤٦ .
٣٢) صوت الامة ، العدد ١٣٢ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٤٦ .
٣٣) صوت الامة ، العدد ٢٢٠ ، ٩ أبريل ١٩٤٧ .

وجدير بالملاحظة أن هذا المشروع الذى وضعته وزارة الشئون آنذاك لم يتناول التأمين الا على طبقة قليلة من المجتمع وهى طبقة عمال الصناعة والتجارة ، مستبعدا بذلك العمال الزراعيين والمشتغلون بالزراعة ، حيث نصت المذكرة على حرمانهم من هذا التأمين بدعوى " أن حالتهم تختلف اختلافا بينا عن باقى الفئات من حيث الاجور ونظام العمل . ولأن - كما تقول المذكرة - فى تنفيذ برنامج الاصلاح الذى اعدته الحكومة للريف من حيث نشر التعليم وتحسين الصحة العامة وانشاء الوحدات الزراعية والاجتماعية ما يعوض هذه الفئة من السكان فى الوقت الحاضر عن استثنائهم من المشروع " . كذلك اقتصر التأمين على العلاج الطبى والدواء فضلا عن بعض المكافآت والاعانات والمعاشات الضئيلة ، دون أن يكون هناك نص صريح يقضى بالتأمين ضد البطالة ، بالاضافة الى أنه اعطى الحق لوزير الشئون الاجتماعية بتطبيق هذا المشروع بقرارات منه فيما يرى من مدن أو أقاليم ، دون أن يمتد ليشمل كافة أنحاء البلاد .

وقد انبرى محمد مندور للتصدى لهذا المشروع الهزيل ومهاجمته ، واصفا اياه بأنه لم يعد كافيا لظروف البلاد الحالية ولمطالب العمال العاجلة العادلة . وانتقد مسلك الحكومة بخصوص الحجج الواهية التى ساقتها لتبرير حرمان ملايين الفلاحين ، وهم عماد الامة وعمودها الفقرى ، وقد وصلت حالتهم الى درجة خطيرة من البوءس ،من الانتفاع بمشروع هزيل للتأمين الاجتماعى . ونوه بأن الحكومة باقرارها حرمان هوءلاء تضع مبدأ خطيرا وهو أن من لا يكافح فى سبيل حقوقه يداس بالاقدام ، مشيرا الى أن واجب الحكومات يقتضيها أن تسهر على رعاية مصالح كافة الطبقات وبخاصة طبقة عاجزة مغبونة مرهقة بالعمل كطبقة الفلاحين . وتساءل عن موقف الحكومة وامثالها لو ان هوءلاء الفلاحين قد كانوا من الوعى والاستنارة والفطنة الى ان هناك نوعا من الحياة خيرا من حياتهم ، وهبوا للمطالبة بحقوقهم . ووجه نصيحة لمثل هذه الحكومات بمحاولة سبق الزمن وأن تلجأ الى سياسة اجتماعية جريئة ، وذلك للحيلولة دون حدوث هزات اجتماعية عنيفة والتى لابد ان تنتهى اليها حالة البوءس الراهنة اذا لم نسارع الى علاجها العلاج القوى العميق .(٣٤)

---

٣٤) صوت الامة ،العدد ٩٠٢٢٠ ابريل ١٩٤٧ .مقال بعنوان"التأمين الاجتماعى "

وقد كان لجهود محمد مندور فى الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين المستغلين ومطالبته بمشروع متكامل للتأمينات الاجتماعية أثره فيما بعد . ففى وزارة الوفد الاخيرة ظهر مشروع الضمان الاجتماعى والذى حددت فيه فئات المعاش للمستحق ، وفقا للحد الادنى لمستوى المعيشة ، وكان بواقع مائة قرش شهريا فى الريف ، ١٤٠ قرشا فى المدن مع التدرج فى الزيادة تبعا لوجود زوجة أو أولاد للمستحق حتى يصل الى ١٨٦ قرشا فى الريف للاسرة الواحدة ، ٢٥٠ قرشا فى المدن(٣٥) . وجدير بالملاحظة أن حكومة الوفد الاخيرة كانت قد أعدت مذكرة لتعيين الدكتور مندور وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية مع وزيرها الدكتور أحمد حسين .

حين تعرض محمد مندور لمشكلة الفلاح والملكية الزراعية ، رأى ضرورة الاهتمام باصلاح القرية والريف المصرى ، عن طريق التوسع فى الخدمات الصحية والاجتماعية ، كما وافق على الاقتراح الذى تقدم به محمد خطاب الى مجلس الشيوخ فى يونيو ١٩٤٥ ، والذى يقضى بتحديد الملكية الزراعية بخمسين فدانا مستقبلا . ويبدو أن تأييده لهذا الاقتراح ، والذى كانت ترفضه قيادة الوفد ، بالاضافة الى دعوته المتكررة الى الاصلاح والعدالة الاجتماعية ، فى محاولة منه لتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع ، والمطالبة باعادة توزيع الملكية فى بلاد لا يستند فيها حق الملكية تاريخيا الى كسب الانسان وعرق جبينه . قد أثار جماعة من كبار الملاك واعضاء الجناح اليمينى فى الحزب . وقد ظهر ذلك واضحا حين خانته قيادة الوفد وتخلت عنه أثناء القبض عليه فى قضية الشيوعية التى دبرها اسماعيل صدقى لخصومه فى يوليو ١٩٤٦ . كما حرض هؤلاء بعض الشباب الوفدى على الانفضاض من حوله ، بل ومحاربته ، حين رأوا فى قلمه خطرا يهددهم ويهدد ثرواتهم وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية . كذلك لم ير الاتجاه اليمينى فى قيادة الوفد بأسا فى التخلص من محمد مندور وصحيفة الوفد المصرى ذات الاتجاه اليسارى الواضح ، حين تعهدوا لحكومة صدقى خلال هذه الازمة التى تعرض لها محمد مندور بعدم اسناد رئاسة تحرير" الوفد المصرى " اليه فى مقابل منحهم ترخيصا باصدار صحيفة أخرى بديلة

---

٣٥) رابطة الشباب ، العدد ١٨١ ، ٢٦ يونيو ١٩٥٠ .

" صوت الامة " . غير أن سقوط حكومة صدقى أدى الى اسناد رئاسة التحرير اليه ، وبدأ فى حشد الجناح اليسارى بالحزب داخل صحيفة صوت الامة ومواصلة الكفاح ضد الاستعمار والاستبداد واحتكار رأس المال الاجنبى والوطنى لكل ثروات البلاد .

<u>التضخم النقدى ومشكلة الأرصدة الاسترلينية :</u>

فى عام ١٩٣٩ انضمت مصر لمنطقة الاسترلينى وفرضت الرقابة على الصرف . وكما تم فى الحرب العالمية الاولى تستطيع انجلترا تعبئة الفائض الاقتصادى لاغراض الحرب كما لو كانت مصر جزءا من انجلترا ، فهى تستخدم القوة العاملة المصرية والجهاز الانتاجى المصرى فى خدمة الجيوش الانجليزية فى المنطقة . ويكون ميكانيزم التمويل هو الانفاق التضخمى ، اذ تستطيع من خلال وجود الجنيه المصرى على قاعدة الاسترلينى أن تصدر أوراق البنكنوت فى مصر تستخدم فى التداول فى مقابل تراكم الاسترلينى لحساب مصر فى لندن مكونا رصيدها الاسترلينى(٣٦) . وقد زاد بهذا مقدار الصادر من النقد الورقى فى مصر من ٢٨ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى حوالى ١٥٤ مليون جنيه فى نهاية عام ١٩٤٦، دون أن تقابله زيادة مماثلة فى الانتاج ، فهبطت - تبعا لذلك - القوة الشرائية للجنيه المصرى ، مما ترتب عليه ارتفاع نفقات المعيشة ارتفاعا عانت منه الفئات المحدودة الدخل ، وهو ما يعبر عنه بالتضخم ، نتيجة عدم التناسب بين السلع المعروضة والنقد المودع فى بنوك الدولة .

ونتيجة لهذه العلاقة التى كانت قائمة بين النقدين المصرى والانجليزى نشأت مشكلة الارصدة الاسترلينية والتى بلغ مجموعها نحو ٤٢٠ مليون جنيه كانت مملوكة للحكومة ولعدد كبير من الافراد والشركات والبنوك وغيرها كحقوق لهما فى مواجهة بريطانيا .

ولحل هذه المشكلة التى كانت لها علاقة وثيقة بارتفاع الاسعار وزيادة حدة الغلاء، ولوقف هذا الاستغلال الانجليزى لمواردنا الانتاجية ، ورفع القيود التى فرضت من جانبهم على تجارتنا الخارجية ، دارت المفاوضات بين الحكومة المصرية والمسئولين البريطانيين

---

٣٦) محمد دويدار : الاقتصاد المصرى بين التخلف والتطور ، ص ٣٩٧ .

فى محاولة لوقف هذا الاستغلال وايجاد حل لهذه المشكلة .وبدأت بريطانيا فى التمهيد لهذه المفاوضات بشن حملة فى البرلمان البريطانى واجهزة الاعلام البريطانية ، لحمل الحكومة المصرية وارغامها على التنازل عن جزء من هذا الدين ، بدعوى انهم قد قاموا بالدفاع عن مصر ، وأنه من الواجب ان تتنازل مصر عن جزء من هذا الدين ، مقابل هذا الدفاع ، كما زعموا ان ما استولوا عليه من أموال قد انفقوه فى مصر ثمنا لحاجيات اشتروها بأسعار مرتفعة [٣٧] . وصرح وزير المالية البريطانية آنذاك " الدكتور دالتون " بأنه من السخرية البالغة أقصى حدودها " ان تتحمل بريطانيا الديون وحدها ، وأعرب عن امتنانه لتأييد المعارضة اياه فى المعركة التى سيقودها لمنع دافعى الضرائب البريطانيين من أن يتحملوا اعباء جسيمة غير عادلة . واكد المستر انتونى ايدن تأييد المعارضة التأييد التام لبيان دالتون بقوله " أنه فى جميع المفاوضات الخاصة بالأرصدة الاسترلينية لابد من أن نحسب حساب المجهود الحربى لكل طرف من الاطراف نسبيا " [٣٨] . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد ، بل ذهبوا الى حد قولهم بانهم سيتقدمون بطلب الى الحكومة المصرية للحصول على أموال أخرى مقابل دفاعهم عن مصر ، والتهديد باخراجها - وهو ما حدث بالفعل - من دائرة منطقة الاسترلينى .

وقد أسفرت المفاوضات التى دارت بين الطرفين عن اتفاق موءقت فى ٣٠ يونيو ١٩٤٧ ، استطاعت بريطانيا بمقتضاه أن تحصل على موافقة رسمية من الحكومة المصرية على تجميد تلك الديون ، أى ايقاف دفعها نقودا أو ثمنا لبضائع أو على أى نحو آخر ، لقاء ثمانية ملايين من الجنيهات تم الافراج عنهم عند الاتفاق ، مع التعهد بالافراج عن مبالغ أخرى مستقبلا . كذلك انطوت الاتفاقية على اخراج مصر من منطقة الاسترلينى ، وهو اجراء حرصت عليه انجلترا ، وبه فرضت الرقابة على الجنيه الاسترلينى فى مصر ، وأصبح الحصول عليه خاضعا لنفس الرقابة التى يخضع لها الدولار الامريكى ، وكان ذلك يعنى عدم تمكن مصر من

---

٣٧) صوت الامة ، العدد ١٨٠ ، ٢٢ فبراير ١٩٤٧ .
٣٨) المصدر السابق ، نفس العدد .

الحصول على حاجتها من العملة الانجليزية المقبولة التداول فى بلاد الكتلة الاسترلينية[٣٩] .

وفيما بين عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ عقدت بريطانيا مع مصر اتفاقيات قصيرة الاجل ، تم بمقتضاها الافراج عن جزء من الارصدة الاسترلينية المجمدة مع بيان كيفية استخدامها .

ولما كانت هذه المشكلة تمثل احدى مظاهر الاستغلال الاقتصادى من جانب انجلترا لمواردنا الانتاجية ، فقد أولاها الدكتور مندور اهتماما خاصا ، باعتبارها لا تقل أهمية عن استقلال البلاد السياسى نفسه ، فأفرد لها عدة مقالات لتوعية الرأى العام بحقيقة هذه المشكلة ، تناول فيها نشأة هذا الدين وطريقة تراكمه ، وعلاقته بارتفاع نفقات المعيشة ، بالاضافة الى عجز الجهاز الانتاجى عن الوفاء باحتياجاتنا نتيجة لعدم توافر الموارد المالية اللازمة ، موضحا أن هذه الاموال التى تم الاستيلاء عليها من جانب الانجليز بواسطة البنك الاهلى " حصن الاستعمار " - على حد تعبيره - انما أخذت من جيوب المصريين دون أن يوءخذ لهم رأى أو تطلب منهم موافقة . وهاجم السياسة البريطانية لمطالبتها الحكومة المصرية بالتنازل عن جزء من هذا الدين، أو التهديد بالغائه . وطالب الشعب المصرى والمجالس النيابية واجهزة الاعلام الوطنية بشن حملة مضادة ، وخوض معركة ضد الانجليز لاستخلاص هذا الحق المشروع ودعا المصريين الى أن يتذكروا أن الانجليز قد احتلوا بلادهم من أجل المحافظة على ديونهم وضمان الاستمرار فى سدادها ، وأصروا على أن ترهن مصر ثلاثة مديريات ضمانا لسداد جزء من هذا الدين ، كما أخذوا ارتفاقات على عدة أبواب من أبواب الدخل فى ميزانيتنا ضمانا لهذا الرهن[٤٠] . وهاجم اتفاقية ٣٠ يونيو ١٩٤٧ ، التى حرص الجانبان على أن لا تتسرب أخبارها الى الرأى العام قبل توقيعها خشية من العقبات التى قد تعترضها ، دون عرضها على البرلمان أو الحصول على موافقته ، مشيرا الى ان الانجليز كانوا حريصين على ابرامها تماما كما حرصوا على ابرام مشروع صدقى - بيفن . ونوه الى

---

٣٩) صوت الامة ، العدد ٢٩٧ ، ٨ يوليو ١٩٤٧ .
٤٠) صوت الامة ، الاعداد ١٨١ - ١٨٣ ، ٢٣ - ٢٥ فبراير ١٩٤٧ .

خطورة أحكام هذه الاتفاقية ، والتى تمت لمصلحة بريطانيا وعلى حساب مصالح مصر الاقتصادية ، وأنها ستؤدى - وهو ما حدث بالفعل - الى خفض قيمة الجنيه المصرى ، وما يترتب عليه من ارتفاع اسعار الحاجيات والسلع الضرورية (٤١) ، بالاضافة الى حرمان مصر - بعد اخراجها من منطقة الاسترلينى - من التعامل التجارى مع بلاد الكتلة الاسترلينية كايطاليا التى كانت تحتل المرتبة الثانية فى تجارتها الخارجية مع مصر ، وكذا فرنسا وبلجيكا ، دون التصدير اليها اذا أرادت الاستيراد منها (٤٢) .

لقد كان محمد مندور واعيا تماما لقضية التبعية التى اعتبرها استعمارا اقتصاديا يربط الاقتصاد المصرى بعجلة الاقتصاد البريطانى فالغاية النهائية من الاستعمار البريطانى انما هى الاستغلال الاقتصادى وابتزاز ثروات مصر ، وافقار شعبها . وكان هذا واضحا من حرص بريطانيا على التمتع بنظام جمركى فى مصر يفضلها على غيرها من حيث قيمة العوائد ونظم الاستيراد . وقد رأى محمد مندور ان علاج ذلك يتمثل في حل مشكلة الارصدة الاسترلينية ، وحمل الانجليز على أن يدفعوا منها جانبا معقولا بالدولارات ، حتى نتمكن من التعامل التجارى مع الدول الغير واقعة فى نطاق الكتلة الاسترلينية ، هذا بالاضافة الى مطالبته باطلاق القيود التى فرضتها بريطانيا على تجارتنا الخارجية منذ الحرب العالمية الثانية ، والتى كانت من بين العوامل التى أدت الى ارتفاع نفقات المعيشة . وقد حمّل الحكومات المتعاقبة مسئولية الاستغلال البريطانى على هذا النحو المعيب (٤٣) .

القضية الوطنية والسياسة الخارجية :

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية بانتصار قوات الحلفاء ، بعد استسلام المانيا فى يونيو ١٩٤٥ ، وصدور ميثاق الامم المتحدة ،

---

٤١) صوت الامة ، العدد ٢٩٦ ، ٧ يوليو ١٩٤٧ . مقال بعنوان "اتفاقية الارصدة تمكن الانجليز مما يريدون " .
٤٢) صوت الامة ، العدد ٢٩٥ ، ٦ يوليو ١٩٤٧ .
٤٣) صوت الامة ، العدد ٢٠٩ ، ٢٨ مارس ١٩٤٧ . مقال بعنوان" الاستعمار الاقتصادى " .

تطلع العالم الى قيام نوع جديد من العلاقات الدولية يقوم على الاحترام المتبادل والمساواة بين الدول ، وحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية لتخفيف حدة الصراع العالمى والصدام المسلح .

وفى مصر دارت فى المنتديات السياسية وعلى صفحات الجرائد على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها السياسية مناقشات حول اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ التى أثبتت الحرب أنها لم تكن بحال من الأحوال " معاهدة الشرف والاستقلال " و أنها القت على عاتق مصر تبعات ثقيلة دون أن يكون لها فى الحرب ناقة ولا جمل ، فعرضتها للخطر وأرهقت اقتصادها ، وكان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أقوى دليل على أن السلطة الحقيقية فى البلاد ظلت - رغم المعاهدة - فى يد بريطانيا (٤٤) .

وكانت الأحزاب المصرية - باستثناء الحزب الوطنى - ترى بوجوب الدخول فى مفاوضات رسمية مع الحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٣٦ نظرا لتغير الظروف الدولية والمحلية ، وتولت الهيئات السياسية المشتركة فى الحكم اجراء تلك المفاوضات .

ففى مارس ١٩٤٦ قام صدقى بتشكيل وفد رسمى برئاسته للتفاوض مع الانجليز ، تكون من السعديين والدستوريين . ولضمان امكانية نجاح تلك المفاوضات ، كلف صدقى وزارة الداخلية بأن تنظم بالمال جوا ملائما للمفاوضات ، فدارت المباحثات بين وكيل الداخلية وبين بعض الكتاب والصحفيين ، طلب منهم فى تلك المباحثات أن يؤيدوا شيئا واحدا وهو مبدأ التحالف مع الانجليز ، أو أن يتوقفوا عن مهاجمته والتعرض له فى الصحف ، على أن تترك لهم حرية الرأى بعد ذلك فى مناقشة شروط التحالف وفقا لما يريدون (٤٥) . واستدار صدقى ناحية الدكتور مندور محاولا استمالته ، نظرا لقيامه بنشر العديد من المقالات يفند فيها شروط هذه المعاهدة ومدى اجحافها بحقوق مصر ، واتجاه صدقى نحو ربط البلاد بعجلة الاستعمار ومطامع السياسة البريطانية الجديدة فى الشرق الاوسط ، وذلك عن طريق تكبيل مصر بالاحلاف العسكرية والدفاع المشترك . وطالب بالغاء معاهدة ١٩٣٦

---

٤٤) رءوف عباس حامد : جماعة النهضة القومية ، ص ١٥١ .
٤٥) صوت الامة . ٢٢ نوفمبر ١٩٤٦ .

لتناقضها مع ميثاق الامم المتحدة ، كما هاجم سياسة الحكومات المصرية التى فرطت فى حقوق الوطن ، ودعا الشعب الى رفض تلك المعاهدة (٤٦). تقول استدار صدقى ناحيته ، فأرسل اليه وزير ماليته آنذاك ـ عبد الرحمن البيلى ـ لكى يخبره ، بلسان الملك ورئيس الوزراء أن معاهدة صدقى ـ بيفن ستوقع ، أراد أو لم يرد ، وأنه لا جدوى من معارضته لتلك المعاهدة ، وأنه من الخير له أن يستريح بأن يقبل منصب سفير فى سويسرا ، فرد عليه مندور بأنه يفضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية (٤٧) .

وحين فشل صدقى وأعوانه فى تحقيق هذا الجو الملائم لاجراء المفاوضات وابرام هذه المعاهدة قام بحملة الاعتقالات الشهيرة فى يوليو ١٩٤٦ ، وكان فى طليعة هؤلاء المعتقلون الدكتور مندور ، حيث وجهت اليهم تهمة الدعوة الى قلب النظام الاجتماعى فى البلاد واحباط المفاوضات . وقد بقى محمد مندور معتقلا بسجن الاجانب ٤٦ يوما على ذمة هذه القضية الى أن تم الافراج عنه ، بعد أن أشادت النيابة بمدى وطنيته واخلاصه الصادق ودفاعه عن الحق والعدل ، ونفت بشكل قاطع اتصاله بالاحزاب الشيوعية أو الدعوة اليها (٤٨) .

ومن الغريب أن أخبار اليوم قد قامت فى اليوم التالى لاعتقال محمد مندور بشن حملة شعواء ضده ، اتهمته فيها بأنه كان الواسطة بين حزب الوفد والكومنترن أى الدولية الثالثة ، مخالفة بذلك قرار النيابة العمومية الخاص بحظر نشر أنباء التحقيق حرصا على سلامته ، وبانذار المخالفين بتطبيق نص المادة ١٩٣ من قانون العقوبات (٤٩).

---

٤٦) تنبه محمد مندور لاهمية التحالف فى مجال العمل السياسى والوطنى، فكان أول من حيا التحالف بين الطلبة والعمال ، فيما عرف "باللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، باعتباره نقطة تحول خطيرة فى مجال العمل الوطنى . انظر مقال محمد مندور حول اتصال المثقفين بالعمال ، البعث ، ١٩٤٦/٣/١ .

٤٧) فؤاد دوارة ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

٤٨) صوت الامة ، العدد ٥٦ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ .

٤٩) بمجرد أن نشرت أخبار اليوم مقالها هذا ، بادر محمد مندور فأرسل من السجن بلاغا الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع أخبار اليوم لخروجها على قرار الحظر وقذفها فى حقه . غير أن النيابة العمومية لم تحرك ساكنا آنذاك ، فاضطر الدكتور عزيز فهمى =

كذلك نسبت اليه أخبار اليوم أنه كان الواسطة فى تحرير ميثاق بين الوفد والدولية وأنه تولى مفاوضات طلب اليه فيها - حتى يمكن أن تساعد الدولية حزب الوفد - ضرورة فصل أعضاء الوفد من الاثرياء وكبار الملاك، كفؤاد سراج الدين، وحفنى الطرزى، وفهمى ويصا، وعثمان محرم، وحمدى سيف النصر وكثير غيرهم (٥٠).

وحين أفرج عن الدكتور مندور لعدم ثبوت أدلة الاتهام التى كانت موجهة اليه، عاد الى خوض معاركه السياسية، واستمر فى هجومه على المعاهدة، موضحا مدى الاخطار التى كانت تحدق بالبلاد من جراء هذه المفاوضات، ولقى معاونة من العناصر الوطنية حتى باءت تلك المفاوضات بالفشل الذريع.

على أن تلك الأزمة التى مر بها محمد مندور أثناء وجوده بالسجن، وتعرضه لضغط شديد من جانب البوليس السياسى والنيابة، أحس بثقله داخل السجن، وخاصة بعد أن تخلت قيادة الوفد عن مساعدته (٥١)، مما دفعه الى الاعتماد على نفسه والاستقلال بحياته المادية عن الحزب والمسيطرين عليه، فقرر فى أوائل ١٩٤٨ تقييد اسمه فى نقابة المحامين والانتفاع بدراسته للقانون فى مزاولة مهنة المحاماة، وخاصة بعد أن ذاع اسمه فى شتى أنحاء البلاد نتيجة لمواقفه الوطنية ودعوته الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين، مما يسر له العمل بالمحاماة، فازدهر المكتب الذى افتتحه، وحقق قدرا من الرخاء

= محامى محمد مندور الى رفع جنحة مباشرة على صاحبى الجريدة "على ومصطفى امين" بسبب ما اختلقاه ونسباه اليه.

٥٠) أخبار اليوم، العدد ٨٨، ١٣ يوليو ١٩٤٦ - مقال بعنوان" زعيم الشيوعية فى مصر مليونير يهودى - القبض على الدكتور مندور الواسطة بين الوفد والكومنترن ".

٥١) حين وقف صدقى فى مجلس الشيوخ يتهم محمد مندور بأنه داعية شيوعى ويكيل له فيضا من الاتهامات معتمدا فيها على مقتطفات من مقالات نشرت له فى " الوفد المصرى " و "البعث " ويتهم صحيفة الوفد المصرى التى عطلها بذات التهمة، وقف سكرتير عام الوفد وزعيم المعارضة بالمجلس يدافع عن حزبه، دون الدفاع عما تعبر عنه هذه الصحيفة. كما قالت صحيفة المصرى فى ١٨ يوليو ١٩٤٦ " ان التهم الموجهة الى الدكتور مندور تتعلق بأمور خارجة عن هذه الصحيفة.

المادى . واستمر فى عمله هذا بالاضافة الى الاشراف على تحرير صحيفة صوت الامة حتى جاء عام ١٩٥٠ ، وجرت انتخابات جديدة ، طلب محمد مندور من الوفد ترشيحه لدائرة " السكاكينى " بالقاهرة ، حيث فاز فوزا ساحقا ، ودخل البرلمان عضوا فيه لاول وآخر مرة عام ١٩٥٠فواصل عمله الوطنى داخل المجلس كرئيس للجنة التعليم ، وعضوا فى اللجنة المالية ، ومقرر لميزانية وزارة المعارف ، حتى فوجىء مع نهاية هذا العام بمرض داهم تبينه من الضعف الذى أحسه فى احدى عينيه ، فتم عرضه على بعض الاخصائيين بالقاهرة الذين أشاروا عليه بالسفر الى لندن لاجراء عملية عاجلة ، عاد بعدها الى مصر فى أوائل عام ١٩٥١ ، ليواصل عمله مرة أخرى بالمجلس ، باذلا فيه ما استطاع من جهد سواء فى اللجان أو فى الجلسات والمناقشات السياسية (٥٢) .

أما عن موقفه من القضايا العربية ، فقد رأى محمد مندور أن العالم العربى أصبح بعد انتهاء الحرب ميدانا للمناورات والصراعات بين الدول الاستعمارية جريا وراء امتلاك مناطق نفوذ وسيطرة ، لذا فقد تحتم علينا مواجهة تلك المتغيرات السياسية الجديدة بسياسة واضحة المعالم بعيدة المرامى ، تتمثل فى استغلال التناقضات الدولية وفقا لمصالحنا ، والتصرف فى حدودها . وأنه من الواجب مسايرة العصر الذى نعيشه ، وان نكون من النضوج والوعى بحيث نحاول فهم من نخاطبه بدلا من الاكتفاء بما يتحكم فى عقولنا أو يهتز فى قلوبنا من فكر أو عاطفة . وأساس السياسة هو أن نقول لا ما نعتقد ، بل ما نستطيع حمل الغير على الاعتقاد به . فالقضايا المصرية والعربية لا تحتاج اليوم الى ايضاح ما فيها من حق وعدل قدر حاجتها الى وسائل سياسية مرسومة يمكن أن تعاون على حلها فى المجال الدولى ، ولن يتأتى ذلك ما لم نحزم أمرنا ونضع الخطوط لسياسة عامة خارجية مستقرة (٥٣) .

والسياسة الخارجية التى يراها الدكتور مندور تنطلق أساسا من فكرة الحياد ، بل الحياد المطلق حتى تأمن مصر والدول العربية شر

---

٥٢) فؤاد دوارة ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ . وجدير بالملاحظة أن أخبار اليوم قد نشرت خبرا قبل سفره للعلاج يفيد باصابته بفقدان البصر ، وحول مواقف محمد مندور الوطنية داخل البرلمان . انظر مضابط [illegible] عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ .

ذلك الصراع والتنافس بين الدول الكبرى ، وما قد يجره من ويلات الحروب ، وحتى تظل الدول العربية حرة وتقابل المناورات الدولية المختلفة بالوسائل التى تراها ، وتستغلها كأسلحة لاسترداد الحقوق المسلوبة وتحقيق المصالح المشروعة (٥٤) .

ويقصد محمد مندور بمبدأ الحياد عدم الارتباط ارتباطا قانونيا بواسطة معاهدات أو اتفاقات سياسية أو عسكرية مع احدى الكتلتين ، التى قد تتفق ضدنا فى بعض قضايانا الحيوية ، وحتى لا نكون خاضعين أو تابعين لاحدهما ، وبالتالى يمكننا من الاحتفاظ بسيادتنا الخارجية وحريتنا فى التعامل الاقتصادى ، مع الاستعداد عسكريا لدفع الاخطار الخارجية ، بالاضافة الى تقوية البلاد اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، أى أنه يطالب بحشد قوى الامة فى الداخل وتحميلها مسئولية علاج قضايا الوطن ورسم سياسته العامة ، دون الاعتماد على الخارج (٥٥) .

ولمواجهة الخطر الخارجى ، دعا محمد مندور الدول العربية المستقلة استقلالا حقيقيا عن كل سيطرة أجنبية ان تعقد فيما بينها حلفا عسكريا ، وذلك حتى لا تتسرب تلك السيطرة الى الدول الاخرى من خلال ذلك الحلف . ورأى أن من الواجب على هذه الدول أن تتحرر كل منها من الاستعمار الأجنبى وان تعاون اخواتها العرب على هذا التحرر ، وبالتالى يمكن تكوين مثل هذا التحالف فيما بينها على أساس وطنى سليم (٥٦) . وذهب الى أن مشكلة فلسطين لن تحل الا باستخدام القوة ، وان العرب قد أخطأوا بقبولهم الهدنة ، ودعاهم الى استئناف القتال لاستخلاص الحقوق المشروعة تاريخيا وواقعيا للعرب (٥٧) . وبهذا يكون محمد مندور قد آمن بفكرة الحياد التام بين الكتلتين التى اتفقت ضدنا فى بعض قضايانا الحيوية كقضية فلسطين ، مع استغلال التناقضات القائمة بين هذه الدول لتحقيق المصالح العربية ، دون الانحياز لاحداهما ، بالاضافة الى ايمانه بالقومية العربية ، وحرصه على انتماء مصر العربى .

---

٥٤) صوت الامة ، العدد ٥٢٠ ، ٢٦ مارس ١٩٤٨ .
٥٥) صوت الامة ، العدد ٦٧٨ ، ٢ اكتوبر ١٩٤٨ .
٥٦) صوت الامة ، ٢٩ سبتمبر ١٩٤٨ .
٥٧) صوت الامة ، العدد ٦١١ ، ١١ يوليو ١٩٤٨ .

أما عن موقفه من القضية الوطنية ، فقد رأى ضرورة استمرار الجهاد ، دون طرح فكرة الكفاح المسلح ، ومقاومة الانجليز باستخدام أسلوب المقاطعة الاقتصادية ، اقتداء بالزعيم غاندى الذى استطاع أن يهز أركان الامبراطورية البريطانية ويذيقها المر بدعوته الناجحة الى المقاطعة والمقاومة السلبية . كما رأى ضرورة قطع العلاقات السياسية معهم واخراج كافة الموظفين الانجليز من الادارات المصرية ، وذلك اذا لم تستطع الحكومة ان تذهب الى اكثر من ذلك . فالوسيلة التى يراها محمد مندور لاجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان تتمثل فى مقاطعة الامة بكافة فئاتها كل تعاون ، بل كل تعامل معهم حتى يثوبوا الى رشدهم ، ويرجعوا عن تلك النزعة الاستعمارية ، دون طرح فكرة الكفاح المسلح كطريق للتحرر الوطنى ، الذى اثبت فعاليته عند الدول التى ابتليت بالاستعمار . وهو ما يؤكد التزامه بالخط السياسى لقيادة الوفد(٥٨) .

الديمقراطية السياسية :

نقطة البدء عند محمد مندور بالنسبة للديمقراطية السياسية هى الاستقلال من السيطرة الاجنبية والاحتلال الانجليزى وعودة الوفد الى الحكم . فالاستقلال يعطى المواطن القدرة على أن يحمل ممثليه بما يملك من حق الانتخاب على تنفيذ ارادته بسن ما يبغى من تشريعات دون أن تعترض عليها سلطات الاحتلال أو تحول دون تنفيذها بالضغط على الحكومات . والاستقلال يمكن المواطن من العمل الشريف فى استغلال مصادر الثروة فى بلاده ، دون أن تستأثر بها فئة دون أخرى ، كما يؤدى الى استقامة الحياة الدستورية فى البلاد ، والتمتع بالحرية التامة(٥٩) . وقد كشف محمد مندور فى عديد من مقالاته السياسية عن عيوب الديمقراطية الغربية التى كانت تسير عليها البلاد،دون دراسة حقيقية لاوضاع المجتمع المصرى . وطالب بضرورة تطبيق الديمقراطية

---

٥٨) فى أعقاب ثورة يوليو مباشرة ، كتب محمد مندور مقالاً يحمل عنواناً رئيسياً هاماً ، يؤكد فيه ان الرجوع الى المفاوضات مضيعة للوقت ، رابطة الشباب ، ٧ ديسمبر ١٩٥٢ .

٥٩) صوت الامة ، العدد ١٥٠ ، ١٨ يناير ١٩٤٧ .

الاجتماعية التى تحفظ للفرد كرامته وحريته وتحقق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع ، كما انتقد مسلك الحكومات التى تقوم باجراءات قمعية للحريات العامة .

وفى معرض دفاعه عن الحياة النيابية ، هاجم شعار الاخوان المسلمين " لا حزبية ولا أحزاب " بقوله " ان الحزبية ضرورة وطنية ودستورية ، وان الدعوة الى القومية واللا حزبية ليست الا نفاقا يراد به هدم الوفد المصرى ، وأنه يجب على كل شاب أن يتعصب لدستور بلاده وما يكفله هذا الدستور للمواطن من حقوق ، ويجب عليه أن يؤمن ايمانا راسخا بأن قضية بلاده لن تحل ما لم يتحقق أولا ارادة الامة فى حكم نفسها بنفسها ، وان من الواجب على كل فرد ان يعتز بمذهبه السياسى ويتمسك بمبادىء حزبه ، فالوفدى يستطيع أن يقول لغيره اننا نعتز بالحياة الدستورية ونتمسك بها ونطالب باصلاح تطبيقها ونؤمن بأنه عندما تستقيم الامور ستكون خير أنواع الحكم وذلك لما فيها من تعزيز لمركز وحقوق وكرامة الفرد . كما أنه يستطيع أن يقول لغيره اننا نناصر طبقات الشعب المضطهدة ونعمل على حمايتها بالنظم العادلة المشروعة " . فالحزبية فى نظر محمد مندور ضرورة وطنية وسياسية والدعوة الى مقاومتها دعوة الى الانحلال واماتة الكفاح والقاء البلاد كلها فى أحضان الاستعمار والاستبداد . ونقطة البدء يجب أن تكون باصلاح الأوضاع الدستورية القائمة ، وتحقيق ارادة الامة ، والتخلص من الاستبداد الداخلى والظلم الاجتماعى(٦٠) .

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، بادر محمد مندور الى الدفاع عن النظام الديمقراطى بعد اصلاحه مما لحق به من عيوب وثغرات فنشر كتيبا بعنوان " الديمقراطية السياسية " أوضح فيه بشجاعة وجهة نظره ، مشيرا الى أن تعدد الاحزاب ضرورة ملازمة لطبيعة الديمقراطية ، ومؤكدا أن الدعوة الى محاربة تعدد الاحزاب دعوة رجعية تحارب الحرية ، وتمهد السبيل لانواع من الحكم الاستبدادى ، الذى يجب أن نجنب بلادنا ويلاته حتى تظل أحرارا ، وحتى تزدهر ملكات الشعب فى ظل تلك الحرية المقدسة .

---

٦٠) رابطة الشباب ، العدد ١٥٤ ، ٢٠ مارس ١٩٤٧ ، العدد ١٦٧ ، ١١ ديسمبر ١٩٤٧ .

ولكن الطريق التى سار فيها جماعة الضباط الاحرار ، آلت الى الغاء الاحزاب ، فعاد مندور الى التدريس والى الكتابة فى الصحف والمجلات ، مؤملاً أن تكون هذه التجربة محققة للتطلعات التى كان يدافع عنها داخل حزب الوفد . وطوال الفترة الممتدة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٤ ، لم ينقطع عن التدريس بمعهد الصحافة وبمعهد التمثيل ،وبمعهد الدراسات العربية العالية ، حيث اهتم بتحليل مظاهر الأدب العربى المعاصر انطلاقا من مجموعة من الدواوين والمسرحيات(٦١) .

يتضح من خلال تتبعنا لكتابات محمد مندور السياسية والاجتماعية فيما بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٥٢ أنه كان واحدا من رواد الحركة الوطنية التقدمية التى ربطت بين الاستقلال السياسى ، والتحرر من التبعية الاقتصادية . وكانت دعوته الى الاصلاح ، مع تحقيق العدالة الاجتماعية ، تمثل انعكاسا لمطالب شرائح عديدة من أفراد المجتمع ، عانت الكثير من الفقر والمرض والحرمان(٦٢) .

وعلى الرغم من التدهور الذى وصل اليه حزب الوفد عقب توقيعه معاهدة ١٩٣٦ ، وكذلك قبوله وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، التى فرضت من قبل سلطات الاحتلال ، بالاضافة الى تسرب عدد كبير من العناصر شبه الاقطاعية وكبار الملاك الى قيادة الوفد ، والتى كانت تمثل الجناح اليمينى فى الحزب ، فقد ظل محمد مندور مرتبطا بالتيار الاصيل داخل الحركة الوطنية الممثلة فى حزب الوفد آنذاك . وكان يحلم هو وآخرون من الطليعة الوفدية بدفع الوفد الى سلوك سياسة اصلاحية اكثر تقدمية ، غير أن قيادات الحزب التقليدية ومصالح كبار الملاك والرأسماليين من الجناح اليمينى المسيطر على الحزب ، وعلى توجهاته السياسية والاجتماعية كانت اكثر صلابة أمام تطلعات هذه الفئة التقدمية داخل الحزب والتى ينتمى اليها محمد مندور .

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ورأى محمد مندور أن دعوته الى الاصلاح وتحقيق العدالة الاجتماعية بدأت تأتى ثمارها ، انسحب من

---

٦١) محمد برادة ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .
٦٢) جدير بالملاحظة أن لمحمد مندور العديد من المؤلفات الادبية ،فضلا عن بعض الكتب التى ترجمها عن الفرنسية .

من الميدان السياسى ليوجه نشاطه الى مجال التأليف والدراسات الادبية وان كان فى رحلته الادبية الاخيرة بعد الثورة يحرص باستمرار على ابراز الدور الاجتماعى للأدب ، مشيرا الى أن الأدب انما هو وسيلة من وسائل تغيير المجتمع ومساعدته على التطور .

* * * *

مصادر البحث :

أولا : الوثائق :

- مضابط جلسات مجلس النواب عام ١٩٥٠ .

ثانيا : الدوريات :

- البعث ، اسبوعية ، ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .
- الاخبار ، يومية ، يوليو ١٩٤٦ .
- الوفد المصرى ، يومية ، ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .
- رابطة الشباب ، يومية ، ١٩٤٤ - ١٩٥٢ .
- صوت الامة ، يومية ، ١٩٤٦ - ١٩٥٠ .

ثالثا : المراجع :

- ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ، القاهرة ١٩٥٧.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (الدكتور) :العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦- ١٩٥٦ ،القاهرة ١٩٦٨.
- الهلال : كتابات لم تنشر ، العدد ١٧٦ ، القاهرة ١٩٦٥ (اكتوبر) .
- رءوف عباس حامد ، الدكتور: جماعة النهضة القومية ،دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٥ .
- شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ -١٩٥٦ ، دار شهدى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣ .
- عاصم أحمد الدسوقى ، الدكتور : مصرفى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٧٦ .

- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
- فؤاد دوارة : عشرة أدباء يتحدثون ، الهلال ، العدد ١٧٢ ، القاهرة ١٩٦٥ .
- محمد برادة ، الدكتور : محمد مندور وتنظير النقدالعربى ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٦ .
- محمد دويدار ، الدكتور : الاقتصاد المصرى بين التخلف والتطوير ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ١٩٧٨ .
- محمد مندور ، الدكتور : نماذج بشرية ، القاهرة ،الطبعة الثالثة ١٩٦١ .
- محمد مندور ، الدكتور : الديمقراطية السياسية ، كتاب المواطن ، القاهرة ١٩٥٣ .

* * * *

مديرية دنقلة فى ظل الحكم المصرى
(١٨٢٠ - ١٨٧٩)

د. الهام محمد على ذهنى
كلية الدراسات الانسانية - جامعة الأزهر

تعتبر الفترة الممتدة من عام ١٨٢٠ الى ١٨٧٩ من أزهى الفترات التى شهدتها مديرية دنقلة ، ويرجع ذلك الى الاصلاحات العديدة التى قامت بها الحكومة المصرية منذ عهد محمد على وحتى عهد الخديوى اسماعيل . وتعد مديرية دنقلة من مديريات السودان القلائل التى لم تواجه عجزا دائما فى ميزانيتها ، وذلك بسبب خصوبة أراضيها وثروتها الزراعية المتنوعة ونشاط الصناعة فيها ، بالاضافة الى أن سكانها امتازوا بالاخلاص والشجاعة فعمل الكثيرون منهم مع الادارة المصرية . وكانت دنقلة مركزا رئيسيا للمماليك بعد فرارهم من مصر اثر مذبحة القلعة ، فعملوا على مراقبة الاوضاع فى مصر لانتهاز أية فرصة لاستعادة حكمهم فيها [1] .

امتدت مديرية دنقلة على النيل من عكاشة الى حلة برتى عند الشلال الرابع [2] يحدها من الشرق خط يمتد من حلة برتى الى آبار جبرة مارا بآبار الجكدول [3] . ومن الجنوب خط يصل آبار جبرة بآبار عين حامد .

وقد لعبت مدن [4] دنقلة دورا هاما منذ قامت قوات محمد على

---

١) نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصروالسودان القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣٣ .

٢) توجد ستة شلالات من اسوان حتى الخرطوم ، وفى دنقلة يوجد الشلال الثالث وهو شلال حنك ، على بعد ٢٤٠ ميلا من الشلال الاول وطوله ثلاثة أميال ، والشلال الرابع شلال الادرقية فى بلاد الشايقية على بعد ٢٥٠ ميلا من الشلال الثالث .

٣) آبار جبرة مائة بئر بين الدبة وأم درمان وعلى بعد ٥٠ ميلا من أم درمان ، ٢٠٠ ميل من الدبة ، وآبار الجكدول تقع بين كورتى والمتمة وتمتاز آبار دنقلة بغزارة مياهها .

٤) أهم مدن وقرى دنقلة : فركة ، كوشة جنس ، عمارة ، عبرى ، كويكن ، سواردة ، قبة سليم ، صلب ، تنزه ، ابو صارى ، دلقو ، كوكى ، كدين ، فمريج ، جزيرة اردوان ، قبة أبى فاطمة ، الكرمة ، الحفير ، دنقلة ، حلة الصحابة ، حلة ساتى ، الخناق ، سر ، الخندق ، دنقلة العجوز ، ابو قس ، الدبة ، الدفار ، الحماسى ، بجوش ، بابا امبقول ، كورتى ، حنك ، مروى ، صنم ، الدويم ، نورى ، سلل ، الدقاسات ، وتتبع مديرية دنقلة حاليا المديرية الشمالية فى

بفتحها ، كذلك ابان الثورة المهدية ، وعندما سقطت دنقلة فى يد الدراويش عملوا على تخريب عاصمة المديرية دنقلة الجديدة [٥] ونقلوا مركزها الى دنما الواقعة على بعد ستة أميال منها ، ولكن عندما أعادت الحكومة المصرية فتح السودان ، اتخذت من دنقلة الجديدة عاصمة للمديرية مرة ثانية [٦] .

ورغم ان أقليم دنقلة يعتبر نوبيا لحما ودما ، الا أن القبائل العربية استقرت فيه وخاصة القبائل الجعلية [٧] ، التى اتخذت من شندى مركزا لها . والواقع ان الاقليم لم يكن خاليا من السكان حينما نزحت اليه القبائل العربية ، فسكانه الاصليون على الارجح من السلالة القوقازية التى نجدها ممثلة فى شمال السودان ، وبلاد النوبة ، ومصر العليا . ونظرا لاستقرار القبائل الجعلية فى دنقلة أطلق عليها هارولدماكمايكل [٨] المجموعة الجعلية الدنقلاوية ، لأن بعض فروعها يعيش فى مديرية دنقلة ، والدناقلة فى الاصطلاح الجنسى هم فرع من السلالة النوبية وليسوا مجرد سكان مديرية دنقلة مع التسلم بأنهم دخلتهم دماء عربية [٩] .

لم تشهد المنطقة استقرار القبائل الجعلية فقط وانما شهدت ايضا استقرار بعض فروع قبيلة جهينة العربية واشهر القبائل التى انتمت الى جهينة فى دنقلة الرفاعة والشكرية الذين بلغوا فى تنقلاتهم حتى شندى [١٠] . وقد انصهرت هذه القبائل مع أهالى دنقلة انصهارا تاما ،

---

٥) سميت دنقلة الجديدة تمييزا لها عن دنقلة العجوز التى كانت عاصمة النوبة السفلى وعرفت ايضا بدنقلة الاوردى أو العرضى لان اسماعيل باشا بعد فتح السودان اختارها عاصمة للبلاد بدلا من دنقلة العجوز فوضع فيها اورديا أى فيلقا من الجند فاطلق عليها الاوردى وحرف إلى العرضى وهي تقع على بعد ٢٥٩ ميلا من حلفا وفى طول ١٩ ٣٠ وعرض ١٠ ١٩ .

٦) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته .القاهرة ١٩٠٣ جـ ١ ص ٦٩٠ .

٧) ومنها المناصير التى انتشرت أوطانها فيما بين أبى حمد الى آخر الشلال الرابع ، والشايقية من الشلال الرابع الى اقلم الدبة ، والجوابرة فى داخل النوبة بين الدناقلة والمحس ، والركابية وموطنهم بلاد المحس .

٨) كتب عن تاريخ العرب فى السودان والقبائل العربية فيه واشهر مؤلفاته History of the arabs in the Sudan

٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

١٠) المرجع السابق ص ١٤٠ .

وتحدث بركهاردت عن هذه القبائل اثناء مروره فى المنطقة فى بداية القرن التاسع عشر فمدح الجعليين فى شندى وتحدث باقاضة عن نشاطهم الاقتصادى(١١) كما وصفهم رومولوجيسى فى رحلاته الى افريقيا الاستوائية واستعان بهم فى التوغل داخل القارة ، وكتب انه يتمنى تكوين جيش من الدناقل لشجاعتهم ولمهارتهم واتقانهم فن الملاحة وخاصة فىمناطق الجنادل والشلالات (١٢) واشاد بمديرية دنقلة واهلها الطبيب والمكتشف الالمانى جونكر(١٣) عند زيارته للمنطقة فى عهد حكمدارية جوردون(١٤) .

وقبيل الفتح الاسلامى شهد شمال السودان قيام ثلاث ممالك مسيحية(١٥) وتمسك اهالى النوبة بالمسيحية بعد الفتح العربى ، حتى استطاع الامير النوبى عبد الله سنبو انتزاع الحكم من آخر ملوك دنقلة المسيحيين كرنبيس عام ١٣١٨ فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون ،واصبح بذلك أول ملك مسلم ، وانتقل الحكم فى دنقلة الى القبائل العربية التى اخذت تتدفق على المنطقة ونجحت فى كسر شوكة الامراءالنوبيين(١٦).

ويتكلم أهالى دنقلة اللغة النوبية(١٧) ، وحينما تدفقت افواج

---

١١) Grandin, Nicole: Le Soudan Nilotique et l'administration Britannique (1898-1956) Leiden 1982, P. 36.

١٢) Gessi Pacha Romolo: Seven years in The Sudan, London 8920- P. 125.

١٣) سافر جونكر الى افريقيا ١٨٧٥ - ١٨٧٨ ثم توقف برحلاته لظروف صحية ثم تابع رحلاته ٧٩ - ١٨٨٣ .

١٤) Junker, DR Wilhelm: Travels in Africa during the year 1875-1878, London, 1971, P.5

١٥) هذه الممالك هى مملكة مروى وكانت حدودها من اسوان الى الشلال الاول ، ويليها جنوبا مملكة المقرة وتسمى مملكة دنقلةوعاصمتها دنقلة العجوز ، وكانت بلدة الابواب حدها الجنوبى واستمرت حتى القرن ١٦ وعاصمتها سوبا على الضفة اليمنى للنيل ، ثم مملكة سوبا أو علوة عند ملتقى النيلين الابيض والازرق ، وبعد الفتح الاسلامى اندمجت مملكة مروى فى مملكة المقرة واصبحتا مملكة واحدة عاصمتها دنقلة .

١٦) Cahiers d'hisoire Egyptienne. Nubie, Le Caire PP. 143-174.

١٧) اللغة النوبية عدة لهجات كنزى ، متوكى ، سكوتى ، محسى،دنقلاوى وبين الاولى والاخيرة ورغم بعد المساحة الجغرافية تقارب لغوى وثيق واللغة النوبية احدى اللغات الحامية وهى ليست عريقة فى تاريخ سكان وادى النيل ترجع الى القرن ٣ ق .م ويقال انها اتت من جنوب كردفان ووفدت على السودان الشمالى فوجدت لغة مروى هى السائدة فعاشا جنبا الى جنب وربما كانت النوبية هى التخاطب =

القبائل العربية على السودان الشمالى وجدوا ان اللغة النوبية هى اللغة السائدة بين السكان الاصليين فوقع النزاع بين العربية والنوبية فى حين ظلت مناطق اخرى يسكنها الكنوز ، المحس ، والدناقلة ،والسكوت محتفظة بالنوبية الى جانب العربية فاصبح لكل منهم لغتان ، النوبية يتكلمها مع أهله ، والعربية يستخدمها مع سائر الناطقين بها ، وحاليا النوبة لا تزال تستعير من العربية الفاظا وتراكيب حتى أن حوالى ثلاثين فى المائة من مجموع الفاظها مستمدة من العربية [١٨].

وسكان دنقلة مسلمون سنيون ، واكثرهم يتبع مذهب الامام مالك ، وقد انتشرت بينهم الطرق الصوفية ، ومن اهمها الميرغنية والادريسية التى انتشرت فى ارقو [١٩] ، والرشيدية وهى فرع من الادريسية [٢٠] .

وقد انقسمت مملكة النوبة قبيل الفتح المصرى للسودان من الناحية السياسية الى ثلاثة اقسام هى النوبة ، اراضى عرب الشايقية ،وامتدت الى جزيرة ساى وكانت تحت السيادة التركية ، وقد أخضع محمد على هذه المنطقة باسم السلطان العثمانى ، أما دنقلة فقد احتلها المماليك بعد فرارهم من مصر ، أما عرب الشايقية فقد كونوا اتحادا من القبائل المتفرقة وكانت لهم سمعة كبيرة فى القتال [٢١] ، وامتد نفوذهم من كورتى [٢٢] حتى الشلال الخامس ، واستقروا فى دنقلة ، وفى وادى حلفا ، وقد أدى وصول المماليك الى دنقلة الى ارتداد الشايقية جنوبا حتى الدبة [٢٣] فى مواجهة كورتى [٢٤] وتم عقد صلح بين الطرفين احتل بمقتضاه المماليك الضفة الغربية ما بين

= ولغة مروى لغة الكهنة والدولة الى ان سقطت مملكة مروى ولكن لغتها ظلت حية باقية الى جانب النوبية حوالى ستة قرون .

١٨) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان.بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٤ .

١٩) تقع جزيرة ارقو جنوبى شلال حنك وطولها ٢٠٠ ميل .

٢٠) محمد عوض : المرجع السابق ص ١٧ ، ١٨ .

٢١) شبه الجنرال Weygand الشايقية بقبائل الغال فى فرنسا قبيل الغزو الرومانى وقدم وصفا دقيقا عنهم وعن ملابسهم واسلحتهم .

٢٢) تقع بيسار النيل وعلى بعد ٣٫٥ ميل من اسقول .

٢٣) تقع شرق النيل على نحو ١٦ ميل من ابى قس ، ١٠٤ ميلا من دنقلة ، وهى أقرب مركز الى أمدرمان ، وبينهما طريق شهير فى الصحراء يمر بآبار الجبرة .

٢٤) Weygand, Le General: Mohammed Aly et ses fils, Paris, 1936, Vol. I, P. 122.

الخندق(٢٥) وحنك(٢٦) واختاروا مراغة عاصمة لهم والتى سرعان ما ازدهرت وعرفت بدنقلة الجديدة .ولكن رغم استقرار المماليك فى دنقلة الا أن الحروب لم تنقطع بينهم وبين الشايقية حتى قدوم جيش اسماعيل باشا ابن محمد على(٢٧) .

وبصفة عامة يمكن القول ان السودان قبل وصول محمد على كان ممزقا ، لا توجد وحدة تجمع بين قبائله المختلفة ، وكانت أقوى القوى السياسية فى ذلك الوقت فى سنار ودارفور ، ولكن سيادة سنار على دنقلة وشندى وبربر كانت أسمية اكثر منها حقيقية(٢٨) .

وقد شجع هذا الوضع السياسى المضطرب محمد على ، على فتح السودان ، وخاصة وان المماليك استمروا فى اثارة الاضطرابات ، ولم ينسوا جنتهم المفقودة فى مصر(٢٩) ، وقد خشى محمد على ان يتعاون المماليك مع الحبشة لقيام دولة مملوكية تسيطر على حوض النيل الأوسط وخاصة وانهم حاولوا الاتصال بالحبشة وسلاطين دارفور ، ولذلك أرسل وفدا الى سلطان سنار عام ١٨١٣ طالبه بالعمل على مقاومة نفوذ المماليك ، والواقع ان الوفد كتب تقريرا عن أحوال البلاد ، أفاد منه محمد على(٣٠) . وفى الوقت الذى اهتم فيه محمد على بارسال البعثات الى السودان ، جاءته وفود من كبار الشخصيات فى السودان لمقابلته ، فكان بعضهم يشكو من ضياع امارته ، والبعض الآخر يرغب فى الوحدة مع مصر ، وطلبوا منه القدوم الى السودان(٣١) .

ارسل محمد على الى المماليك فى دنقلة وفدا يطلب منهم العودة الى مصر والاقامة فيها بشرط أن لا يستوطنوا المدن المصرية الا باذن منه ، وأن يحضروا الى العاصمة يحرسهم بعض ضباطه حتى لا ينهبوا شيئا

---

٢٥) تبعد عن الخندق ٤٤ ميلا عن دنقلة الاوردى .
٢٦) حنك بلدة كبيرة على يمين النيل وعلى بعد ٢٠ ميل من كورتىوكانت مركز ملوك الشايقية .
٢٧) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٠ .
٢٨) Cocheries, Jules: Situation internationale de L'Egypte et du Soudan, Paris,1903, P.31.
٢٩) Weygand, Le G: Op.Cit., P. 121.
٣٠) زاهر رياض : مصر وافريقيا ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .
٣١) جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٤ .

من القرى والمدن التى يمرون بها فى طريقهم الى القاهـــرة ، وان يتنازلوا عن امتيازاتهم القديمة ولا يطالبوا بما اخذ بعد مذبحـــة القلعة ، وكان محمد على يدرك ان المماليك لن يقبلوا هذه الشـــروط المهينة [٣٢] ولذلك صمم على محاربتهم رغم ادراكه انهم لم يكونوا من القوة بحيث يغزون مصر ، وانما خطورة الموقف بالنسبة لمحمد علـــى فى ان المماليك احدثوا اضطرابا شديدا فى دنقلة واعتبروا ان فتـــرة حكمهم فيها مؤقتة وانه لابد لهم من العودة الى مصر مرة ثانية كما انهم تاجروا فى الرقيق ودربوهم على استخدام الاسلحة الناريـــة [٣٣]. وقد وصف بوركهاردت المماليك واغاراتهم على جيرانهم والمعارك التـــى دارت بينهم وبين الوطنيين وخاصة فى سكوت والمحس وغيرها من مـــدن دنقلة بقوله " انهم يباغتون السكان وكأنهم مجموعة من الذئاب تسبب الخراب والدمار " [٣٤] .

ولا جدال ان هدف محمد على من فتح السودان لم يكن للقضاء علـــى المماليك فحسب وانما كانت له أهداف اخرى من هذا الفتح وكان استيلاء القوات المصرية على دنقلة والقضاء على المماليك فيها هو التمهيـــد الطبيعى لفتح باقى مناطق السودان امام النفوذ المصرى .

وقع عبء الحملة فى السودان على اسماعيل باشا ثالث ابناء محمد على وقد وصفه Weygand بانه أقل مقدرة من أخيه طوسون واقل مهارة حربية من ابراهيم باشا ، تكونت الحملة من أربعة آلاف رجـــــل من الباشيـــن ومغاربة وعرب العبابدة وقد صاحب قوات اسماعيل باشا حملـــة بقيادة محمد بك الدفتردار [٣٥] . وقد تجمعت قوات اسماعيل باشا فـــى حلفا وتم نسف الصخور التى تعترض سير المراكب فى الشلال الثانـــى ، وفى حلفا قدم اليه اربعة وعشرون من المماليك وجدوا انه من الافضـــل لهم ان يغادروا دنقلة شمالا لتسلم انفسهم بدلا من الفرار جنوبا الى مجاهل افريقيا وتقدمت قوات اسماعيل باشا نحو دنقلة وحددت نهايـــة

---

٣٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ،دار المعارف ١٩٨٢ ، ص ١٥٩ .
٣٣) ادورد جون : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٣١ ،ص ٥٩٣ .
٣٤) Burckhardht, John Lewis: Travels in Nubia, London, 1822, P. 22.
٣٥) The Cambridge history of Africa 1790-1790-1790-1870 Cambridge 1976 Vol. 5 P. 22.

المرحلة الاولى من الحملة بفتحها ، اتجهت المراكب جنوبى وادى حلفا حتى وصلت سكوت وسارت قوات اسماعيل باشا فى سكوت حيث كان الكاشف حسن وردى متحصنا فى قلعته وقد فر المماليك عندما علموا بقدوم الجيش المصرى ، فاتجه البعض منهم الى شندى ، واستولى الرعب على البعض الآخر ، فحضروا الى القاهرة يرتدون ثيابا بيضاء يلتمسون الرحمة من محمد على[٣٦] .

تقدمت قوات اسماعيل باشا الى المحس وارقو واضطر بقية المماليك الى الاتجاه نحو واو وتابع البعض منهم السير حتى طرابلس[٣٧] .

وجدير بالذكر ان الوطنيين فى السودان ظنوا بعد احتلال الجيش المصرى لسكوت ، والمحس ، وارقو ، ان القوات المصرية سوف تعود الى مصر بعد تشتيت شمل المماليك ، وانها انتهت من مهمتها ، ولذلك لم يهتموا بتركيز المقاومة ، وتجمع القوات لمواجهة القوات الزاحفة[٣٨] ، فكان ذلك من العوامل التى يسرت الاستيلاء على المنطقة ، ونجح اسماعيل فى التقدم نحو كورتى ، حيث تجمع الشايقية فالحق بهم هزيمة فادحة وانفتح الطريق امامه الى سنار[٣٩] .

وفى طريقه الى سنار قضى على البقية الباقية من المماليك فى شندى فكانت آخر مدينة شاهدت مصرع المماليك[٤٠] . والواقع ان انتصارات اسماعيل فى السودان ، كان لها أثرها الطيب فى القاهرة ، فيذكر الجبرتى ان المدافع ضربت من القلعة ابتهاجا بهذه المناسبة[٤١] .

اتخذ اسماعيل من دنقلة مقرا له ومركزا للقوات المصرية قبل ان يستأنف الزحف على بلاد السودان ، ومعظم أوامره صدرت منها ، حتى مقتله فى شندى على يد الملك نمر[٤٢] .

كان اسماعيل بن محمد على هو أول من تولى حكومة عموم السودان ،

---

٣٦) Weygand, Le G: Op.Cit., P. 124.
٣٧) Hill, Richard: Egypt in the Sudan 1820-1881, N.Y.P.9.
٣٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٢ .
٣٩) Weygand, Le G: Op.Cit., P. 125
٤٠) نعوم شقير : المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٠ .
٤١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار فى التراجم والاخبار جـ٤ ص ٣٢٠ .
٤٢) Deschamps, Hubert: Histoire Generale de L'Afrique Noire. Paris, 1971, Tome I, P. 316.

فلم تأت نهاية عام ١٨٢١ حتى كانت الادارة المصرية قد امتدت على النيل حتى أعالى النيل الأبيض والى منتصف النيل الأزرق والى كردفـ وقد أصدر محمد على أمرا بتعيينه فى منصبه فى يوليو ١٨٢٢ ، وبعد مقتله فى شندى [٤٤] ، عين محمد على صهره محمد بك الدفتردار حاكـ عاما على السودان فى فبراير ١٨٢٣ ، وظل يحتل هذا المنصب حتـ اكتوبر عام ١٨٢٤ ، وقد اتخذ محمد بك من دنقلة مركزا له ، ومقـ لتجميع قواته ، فعن طريق الدبة فى دنقلة جمع قواته للاتجاه بهـ صوب كردفان [٤٥] .

ثم خلفه محمد بك جركسى ، الذى قتل عام ١٨٢٦ ، وخلفه خورشيـ ليظل فى منصبه اثنى عشر عاما ، عمل خلالها على تنفيذ سياسة حكومـ فى تلك الاقاليم ، ويمكن أن نعتبر ان الحكام الثلاث الأول لم يقومـ بالشىء الكثير فى ادارة السودان ، ولكن يمكن أن ينسب اليهم فتـ السودان [٤٦] ، فقد اصطبغت السنوات الاولى بعد الفتح بالصبغـ العسكرية ، ولكن ابتداء من عام ١٨٢٦ بدأ الاتجاه فى ادارة السـ نحو ايجاد حكومة مركزية مدنية تتبعها المديريات مباشرة ، وتركيـ المسئولية الادارية فى السودان أمام حكومة القاهرة [٤٧] ، واخـ الادارة الجديدة تعمل على ارساء الاسس اللازمة للعمل فلم يكن لـ الحملة المصرية خطة مرسومة تحتوى على دراسات تفصيلية للادارة ، ذ لأن امتداد الادارة المصرية ليشمل شطرى وادى النيل كان أول تجربـ من نوعها [٤٨] .

أولت الحكومة المصرية اهتماما كبيرا بالسودان وحظيت مديريـ دنقلة بصفة خاصة بالمزيد من عناية الادارة المصرية فى مختلـ المجالات :

---

٤٣) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٢٨ .
٤٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن مقتل اسماعيل فى شندى ، انظـ الشاطر البصيلى " معالم تاريخ السودان وادى النيل " .
٤٥) Michael, Harold: The Anglo Egyptian Sudan , London, 1934, P. 34.
٤٦) جلال يحيى : المرجع السابق ص ٣٨ ، ص ٤٠ .
٤٧) ابراهيم شحاتة حسن : مصر والسودان ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٠٧
٤٨) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل مـ القرن العاشر الى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٥ ص ١٣٧ .

ففى مجال الزراعة شهدت المديرية تطورا كبيرا ساعد على ذلك ان المنطقة كانت من أفضل المناطق ، فالنهر معتدل الجريان خال من الجنادل ، سهل الملاحة ، يتسع السهل الفيضى فى عدة مواضع ، مما يتيح للسكان فرصة الزراعة على نظام رى الحياض مع الاستعانة بالسواقى وكان الدناقل من أنشط الجماعات فى السودان فى الزراعة والتجارة ، أما المحس فان أوطانهم تتخللها جنادل الشلال وفيها يضيق مجرى النهر بحيث لا يتسع للزراعة ومع ذلك هناك جهات يتسع فيها الوادى وتتيسر فيها الزراعة فكانت مناطق المحس وسكوت بوجه عام محدودة الموارد عن باقى مناطق دنقلة [٤٩] . وبصفة عامة كان السكان فى دنقلة يفخرون انهم من طبقة الفلاحين بخلاف غيرهم من السودانيين فقد نشأوا على الفلاحة [٥٠] .

وقد جذبت مديرية دنقلة اهتمام حكام السودان فاهتم خورشيد باشا بتطوير الزراعة والرى واقترح صناعة سواقى فيها شبيهة بالسواقى المصرية المتقدمة نسبيا على طول الطريق من دنقلة الى سنار وكردفان [٥١] وشجعت الادارة المصرية على انشاء السواقى سواء للمواطنين أو للجنود المقيمين فى نواحى الاقليم وقد قدر الرحالة الالمانى بكلر مسكاو عدد السواقى فى عهد محمد على فى دنقلة بين اربعة آلاف وخمسة آلاف ساقية مما يدل على اتساع نطاق الزراعة ، واشار الرحالة الفرنسى كادلفين عام ١٨٣٥ ان السواقى المقامة على النيل فى دنقلة انما تدل على ازدهار الزراعة فيها [٥٢] .

بالاضافة الى التوسع فى استخدام للسواقى اهتمت الادارة المصرية بتوفير المياه اللازمة للمديرية فتم حفر الترع والقنوات اللازمة للرى ، وتم الاستعانة بالمهندسين المصريين من ذوى الخبرة ، صدرت الاوامر للمديرين فى مصر لتهم مديرياتهم بارسال عدد كبير من الفلاحين المهرة للمساهمة فى تعمير السودان مما ترتب عليه هجر الفلاحين أراضيهم فقدم المديرون فى مصر عام ١٨٢٩ شكوى للحكومة بان

---

٤٩) محمد عوض : المرجع السابق ص ٣٠٢ .
٥٠) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٧٥ .
٥١) بشير كوكو حميدة : ملامح من تاريخ السودان فى عهد الخديوى اسماعيل ، الخرطوم ١٩٨٣ ص ١ .
٥٢) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٨١ .

العديد من الفلاحين تركوا بلادهم واتجهوا للعمل فى دنقلة ، وقد شجع على هذه الهجرة ان الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية فيها اقل من تلك الضرائب المفروضة على الأراضى فى مصر كما أن محمد على لم يشدد فى تطبيق القوانين والنظم على الفلاح السودانى مثلما فعل مع الفلاحين فى مصر وذلك من أجل تشجيع الزراعة (٥٣) .

اشتهرت دنقلة بحاصلاتها الزراعية وخاصة النخيل واجود انواعه عرفت بنخيل سكوت والمحس ، ونخيل الشايقية ، وقد استخرج السكان من البلح العرق والنبيذ والخل ، أما الدوم فقد استخدمت ثماره كغذاء للانسان ، كما اشتهرت المديرية بأشجار السنط المعروفة بصلابتها ومتانة أخشابها ، فتم الاستفادة منها فى صناعة المراكب الكبيرة والسواقى وانتشرت فى دنقلة أشجار الصمغ والشعير والدخن (٥٤) .

وبالاضافة الى الغلات التى اشتهرت بها دنقلة حرصت الادارة المصرية على ادخال حاصلات جديدة مثل النيلة وان كانت تنمو بريا الا انه تم جلب تقاوى جديدة من النيلة الهندية والشامية لتحسين نوعها ، كما نجحت زراعة الكتان وخاصة بعد ان جلبت التقاوى اللازمة من منوف وأشمون جريس فتم التوسع فى زراعته للاستفادة منه فى صناعة القوارب المحلية بترسانة السودان والاستغناء عما يرد من ترسانة بولاق،كذلك تم التوسع فى زراعة الأرز وقصب السكر لصناعة السكر واشجار الفاكهة ، ويذكر بكلر مسكاو ، عند زيارته لدنقلة عام ١٨٣٧ ان الحدائق والبساتين انتشرت فى دنقلة ومنها الكروم واشجار الفاكهة مثل الرمان والليمون والبرتقال مما لم يكن معروفا فى اكثر جهات السودان من قبل (٥٥) .

وقد انحصرت سياسة محمد على فى السودان بصفة عامة ، وفى دنقلة بصفة خاصة فى نشر الوعى الزراعى وتنمية الحاصلات المحلية وادخال حاصلات جديدة ، واستعان محمد على بالخبراء الفنيين من المهندسين

---

٥٣) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٦٩ ، جـ ١ ص ٤١ .
٥٤) نعوم شقير : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٣ ، ص ٣٦ .
٥٥) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٧٨ .

والمشايخ والخولية المصريين الذين استقدمهم من مصر لهذا الغـــرض وكان يتم اختيارهم من مديريات الوجه البحرى ويشترط فيهم الكفاءة[٥٦] .

وقد شهدت دنقلة تطورا كبيرا فى عهد الخديوى اسماعيل فاستمـــر الاهتمام بتوفير المياه العذبة وتطوير آلات الرى ، ولما كان التمـــر من أهم الحاصلات فقد وجهت العناية اليه ، وتم زيادة المساحـــــــة المزروعة بالنخيل ، فزاد محصول التمر السنوى ، وتم التوســـع فـى تصديره الى بربر والخرطوم ، ومنها الى أقاصى السودان ، وحتى خـــط الاستواء والحبشة ، واذا كانت كسلا والخرطوم قد شهدتا فى عهداسماعيل توسعا كبيرا فى زراعة القطن ، فان دنقلة شهدت بدورها توسعا كبيـــرا فى زراعة النخيل[٥٧] .

وفى عهد مدير دنقلة حسين بك خليفة تطورت الزراعة تطورا كبيرا فقد قام بالعديد من الاصلاحات فى المديرية يتضح لنا ذلك من بيان نشر فى Statique de L'Egypte عام ١٨٧٣ يوضح ارتفــــاع معدلات انتاج الحاصلات الزراعية وتزايد المساحة المنزرعة بالقطن فـى دنقلة وبربر الى ٩٫٠٨٨٥ فدان وارتفاع المحصول الى ١٢٠٣٥٦ قنطـــار وقد تم رى هذه المساحة بواسطة ٦٫٥٩٠ ساقية .

وقد تم احصاء الغلات الزراعية والمساحة المزروعة لكل منها فـى مديرية دنقلة وبربر فى عام ١٨٧٣ على النحو التالى :

الغلات الزراعية	المساحات الزروعة	الانتاج الســـنوى
القمـــح	٤٨٫٢٨٨ فدان	٧٥٫٣٢٦ أردب
الفـــول	١٫٩٠٣	٨٫٨٠٧ ،،
البصـــل	١٫٣٠٣	٢٦٫٠٧٣ قنطار
الدخـــان	٢٫٨٨٣	٤٫٣٢٥ ،،
الشعيـــر	١٥٫٠٠٠	٢٢٫٥٠٠ ،،
الشوفـــان	٢٠٫٠٠٠	٢٤٫٠٠٠ أردب

٥٦) المرجع السابق ، ص ٨٠ .
٥٧) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٢ .

الغلات الزراعية	المساحة المزروعة	الانتاج السنوى
الترمس	١ر٨٠٠	٢ر٢٥٠ أردب
اللوبيا	٢ر٥٠٠	٣ر٧٥٠ ››
الذرة	٥٤ر٧٥٤	٢٧٣ر٧٧٠ ››

وقد أولى مدير دنقلة حسين بك خليفة المديرية اهتماما كبيرا، ولم يكتف بالاهتمام بتوسيع الرقعة الزراعية وادخال حاصلات جديدة فيها ، وانما اهتم بتخفيض الضرائب فى دنقلة فكتب فى اكتوبر ١٨٧٣ الى القاهرة بضرورة تخفيض الضرائب لتشجيع الاهالى على الزراعة وخاصة الضرائب التى فرضت على النخيل فى مروى وسكوت(٥٨) .

وفى مجال الصناعة شهدت مديرية دنقلة اهتماما كبيرا بالصناعة وخاصة صناعة السفن ، شجع على ازدهارها توفر الاخشاب وخاصة خشب السنط بالاضافة الى توفر الايدى العاملة الرخيصة(٥٩) .ولقد استخدمت المراكب النيلية فى السودان قبل الفتح المصرى ولكنها كانت مراكب صغيرة الحجم ولكن بعد امتداد الادارة المصرية تم صناعة المراكب الكبيرة الحجم وخصصت بعض المراكب لحمل الركاب وبعضها الآخر للبضائع وكان لكل مركب ريس له رجال مسلحون وبحارة ، ولما كانت العقبة الوحيدة فى الملاحة هى الشلالات ، فقد قرر محمد على بعد زيارته للسودان حفر قناة عميقة بين الشلالات فتزايدت السفن الواردة من أسوان الى دنقلة ، واقترح محو افندى حاكم دنقلة بناء مرسى للسفن فى بلاد الشايقية حيث يكثر خشب السنط فكتب انه بامكانه بناء من ٢٥ الى ٣٠ مركبا سنويا لحمل البضائع الى القاهرة(٦٠) وانشئت لأول مرة فى تاريخ السودان الترسانات لصناعة السفن فى سنار ودنقلة والخرطوم وبربر ، واحضرت الحكومة المصرية العمال المصريين المتخصصين فى هذه الصناعة ومنهم النجارون والحدادون والقلفاطية ، كما امدت ترسانة بولاق ترسانات السودان بحاجتها من المواد اللازمة لهذه الصناعة مثل مشاقة الكتان والبياض والزفت والمسامير والمناشير

---

٥٨) Douin, G: Histoire du regne du Khedive Ismail, Le Caire 1936 (1863-1869) 1er Partie Tome III, P. 24.

٥٩) بشير كوكو : المرجع السابق ص ١ .

٦٠) Hill, R: Op.Cit., PP. 60-62.

ثم بعد ذلك صناعة هذه الاشياء محليا وان تعتمد على موارد البلاد والمواد الخام دون الاستيراد من مصر فعندما كانت ترسانة دنقلة ترسل فى طلب الحديد والكتان اللازم لصناعة السفن من ترسانة الاسكندرية كان الرد انه يجب ان تحصل على الحديد الذى تحتاج اليه مما يستخرج من مناجم كردفان أو دار فور أما الكتان فيستعاض عنه بالقطن المزروع فى السودان[٦١] .

أولت الحكومة المصرية اهتماما كبيرا لصناعة السفن ولذلك اهتمت بكل ما يتعلق بهذه الصناعة من احتياجات ومواد خام ، كذلك حرصت على الافادة من تأسيس ترسانات السفن وخاصة فى دنقلة وشددت على ضرورة المحافظة على هذه السفن وعدم تعرضها للتلف . يتضح لنا من ذلك عندما نعلم أن حكومة القاهرة طلبت عند غرق السفن تقديم ما يوضح أسباب الغرق وامكانية اعادة الاستفادة من اخشاب السفن الغارقة ففى عام ١٢٩١ هـ ، ارسلت الحقانية الى حاكم دنقلة وبربر تستفسر عن غرق مركب محملة بالصمغ فتم سؤال عثمان اغا قبود ان ترسانة دنقلة الذى أفاد ان المركب غرقت عند الشلالات ونفى أن يكون ريس المركب قد قصر فى واجباته أو أن الغرق كان بسبب جهله باصول الملاحة وكتب موضحا ذلك الى القاهرة[٦٢] وحتى فى حالة عدم صلاحية المركب للابحار مرة أخرى وضرورة اصلاحها وكان لابد من أن تتم هذه الخطوات فى حضور المأمور وناظر الترسانة ولابد من الكشف على الصوارى والقلوع وكتابة تقرير واف عن تكاليف الاصلاح وتكلفة الاخشاب واقمشة القلوع والحديد وكتابة تكلفة كل صنف على حدة ثم التكلفة الاجمالية للاصلاح[٦٣] .

ويرجع اهتمام محمد على ببناء السفن فى دنقلة ونقل الاخشاب منها الى مصر الى اهتمامه بمسألة ادخال الزنوج فى سلك الجندية

٦١) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٥٩ .
٦٢) دار الوثائق القومية : وثائق السودان مديرية عموم دنقلة وبربر دفتر ٥٤٧٣ جامعة الابعادية الفترة من ٢٦ شعبان الى ١٢٦٠ الى ٧ رمضان ١٢٦١ من الحقانية لحضرة باشا دنقلة وبربر رجب ١٢٦١ .
٦٣) المصدر السابق امر من سعادة الباشا مدير العموم فى ٥ رمضان ١٢٦١ الى حضرة باشا دنقلة وبربر ص ٧ .

فانشىء لهم المعسكرات فى اسنا واسوان وارسل الى مدير دنقلة بأن يقطع الاخشاب من مديريته ويرسلها مع تيار النيل الى الصعيد لبناء الثكنات للجنود كذلك عندما علم بهلاك عدد كبير من الزنوج أمر بصنع نوع مخصوص من المراكب سمى نقورات لنقلهم الى اسوان (٦٤) .

وبالاضافة الى صناعة السفن ادخلت الادارة المصرية صناعة السواقى لتعمير البلاد ورغم أنها كانت موجودة فى دنقلة من قبل الا ان استخدامها على نطاق واسع كان فى عهد محمد على (٦٥) وفى الواقع ان محمد على أراد أن يصل بالسودان الى درجة الاكتفاء الذاتى ولذلك أهتم بتعليم السودانيين بعض الحرف فارسل الى دنقلة الفنيين وطلب من خورشيد باشا أن يصل بالسودان الى درجة الاكتفاء الذاتى من الفنيين فى مجالات الصناعة (٦٦) كما ادخلت صناعة النيلة فى دنقلة وتم تأسيس خمسة مصانع فى كل من مروى ، حنك ، الحفير ، دنقلة العجوز ، دنقلة العرض (٦٧) واستعانت الادارة المصرية ببعض الفنيين المصريين ممن كانوا يعملون فى مصانع النيلة بقليوب لتعليم السودانيين هذه الصناعة ، كما عينت احد الاوربيين ويدعى مفرديج رئيسا لادارة مصانع النيلة بالسودان ، ثم حل محله السودانيون ، وقد أفاد السودانيون من تعلمهم صناعة النيلة وخاصة بعدأن أعلنت الحكومة حرية زراعتها والاتجار فيها بل لقد صدرت الاوامر لحكامها فى دنقلة وبربر باعطاء الاهالى ما يلزمهم من الادوات لصناعتها لحسابهم الخاص بعد أن توقف العمل بها لحساب الحكومة ، وبلغ انتاج مصانع النيلة فى دنقلة عام ١٨٣٣ ٠٠٠ر١٠ أفدنة زادت عام ١٨٣٥ الى ٥١٦ر٢١ أقة ثم ارتفعت الى خمسين ألف أقة عام ١٨٣٧ (٦٨) .

ومن الصناعات التى تم ادخالها فى دنقلة صناعة الاقمشة القطنية وان كانت أقل جودة عن مثيلتها فى مصر ولكن الادارة المصرية عملت على التوسع فى زراعة القطن واقامت معامل الغزل والنسيج فى دنقلة

---

٦٤) مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل بمصر والسودان فى القرن ١٩ بيروت ١٩٨٥ ص ٣٠ .
٦٥) المرجع السابق ص ٤٧٥ .
٦٦) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٩ .
٦٧) بشير كوكو : المرجع السابق ص ١ .
٦٨) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٣٥ .

وبربر والمحس ونجحت هذه المعامل فى سد احتياجات السوق المحلى[٦٩] كذلك ازدهرت صناعة دبغ الجلود وخاصة وان الاغنام متوفرة فى دنقلة وأرسل الى السودان عمال من مصر لدبغ الجلود ، كذلك ارسلت عينات من أصواف أغنام دنقلة الى محمد على الذى رأى بأنها لا تصلح للملابس ولكن خورشيد باشا كتب اليه بأنه من الممكن تحسين سلالة الاغنام لانتاج صوف أفضل يستفاد منه فى صناعة الاغطية[٧٠] فجلبت من مصر الكباش الممتازة لتحسين نسل الضأن[٧١] .

وقد اولت الادارة المصرية اهتماما كبيرا بالثروة الحيوانية وخاصة وان المراعى متوفرة فى السودان وخاصة الأبل ، ولذلك اهتمت باقامة محطات لراحة الحيوانات وتقديم الاعلاف اللازمة لها على طول الطرق الصحراوية ، ويذكر بالم ١٨٣٧/١٨٣٨ عدد الماشية التى كانت ترسل الي مصر من دنقلة وسنار وكردفان حوالى ١٢ ألف رأس وقد اتخذت الحكومة اجراءات لتأمين وصول الماشية فعينت مأمورين يتولو نقلها[٧٢] .

وعندما نتحدث عن دنقلة فى عهد محمد على ، فلابد لنا من ذكر رحلته الشهيرة الى السودان ، فقد سمع محمد على أقوالا متضاربة عن ثروة السودان وخاصة الذهب وقدم اليه العلماء الأوربيون تقارير مختلفة ، فالبعض منهم أكد غنى السودان بالذهب ، والبعض الآخر ذكر أن تكاليف استخراجه لا تغطى التكلفة ، وخاصة لامبير فأراد محمد على التأكد من امكانية الاستفادة بالذهب[٧٣] .

زار محمد على السودان ولاقى المصاعب فى رحلته[٧٤] وخاصة عند اجتيازه لمناطق الشلالات وقد وصل الى النوبة ومنها الى سكوت ودنقلة[٧٥]

---

٦٩) المرجع السابق ص ١٣٣ .

٧٠) Hill, R: Op.Cit., P. 50.

٧١) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٤٠ .

٧٢) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٢٢ .

٧٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٣ .

٧٤) زار محمد على السودان فى ١٥ أكتوبر ١٨٣٨ - ١٥ مارس ١٨٣٩ فى عهد حكمدارية احمد باشا ابو ودان وقد عانى المصاعب فى رحلته وقد رافقه الطبيب الفرنسى جتانى Jittani الذى ارسل رسالة الى كلوت بك من دنقلة فى ٢٠ نوفمبر ١٨٣٨ اطلعه فيها على تفاصيل الرحلة حتى وصول البعثة الى دنقلة والمصاعب التى صادفتهم .

٧٥) Driault, Edouard: Mohamed Aly au Soudan, Le Caire 1927

وقد اعتقد محمد على بوجود مناجم الذهب بكميات وفيرة فى السـودان وخاصة فى النوبة ودنقلة وفازغولى ولذلك اصطحب معه الخبراء للتنقيب عنه ، ومن أهم هؤلاء روسجير الخبير النمساوى ، وخصص محمد على لكل منطقة خبير يعمل على التنقيب فيها ، فاختص بوريانى بالتنقيب فى النوبة ، وعمل روبل Ruppel فى كردفان ، وكل من جنسبرج Ginsberg وبروشى Brocchi فى سنار ، ولنان فى البحر الاحمر وقد قدم روسجير تقريرا أوضح فيه أن العينات التى فحصها تحتاج الى مجهود كبير لاستخراج الذهب منها بالاضافة الى التكلفة الباهظة . ولذلك وجدت الادارة المصرية انه من الافضل التركيز على تطوير الصناعة فى السودان(٧٦) ويمكن القول ان محمد على أرسى دعائم الصناعة فى دنقلة واستمر هذا التطور الصناعى فى عهد خلفائه من بعده .

استتبع اهتمام الادارة المصرية بالزراعة والصناعة توجيه الاهتمام الى التجارة أيضا فبذل حافظ ابراهيم.افندى مدير دنقلة جهدا كبيرا من أجل تنمية التجارة فيها وتصدير منتجاتها وخاصة الصمغ الذى اشتهرت به المديرية وشجع توافد التجار عليها فبنى لهم استراحة فيها(٧٧) وترك أمر حماية القوافل التجارية لشيوخ القبائل الذين حددت لهم مبالغ تؤخذ من القوافل بما لا يتجاوز ١٠ ٪ من البضائع(٧٨) . ولجذب انظار التجار الى المنطقة تم تعبيد الطرق وخاصة بين دنقلة والخرطوم من أجل سرعة الاتصال بين اجزاء السودان ، كما ارسلت السفن النهرية الى دنقلة فى مواعيد ثابتة(٧٩) واحتكرت الحكومة المنتجات السودانية مثل الصمغ وسن الفيل وريش النعام والجلود ، وفرضت أسعار معينة لشرائها والزمت مندوبيها بتوريد المقادير اللازمة منها سنويا(٨٠) .

---

٧٦) Hamont: L'Egypte sous Mohamed Aly, Paris 1845, tome II, PP. 554-575.

٧٧) Hill, R.: Op.Cit., P.35.

٧٨) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٤٣ .

٧٩) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٤٦ .

٨٠) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٨١ .

أما سعيد فقد اهتم بشئون السودان اهتماما كبيرا واتخذ عدة اجراءات لتشجيع التجارة فيه فتم تعبيد الطرق فى دنقلة لتسهيل الاتصال بينها وبين الخرطوم وبينها وبين القاهرة واقيمت فيهامحطات لتغيير الجمال كما بذلت محاولات لتيسير الملاحة فى مناطق الشلالات(٨١).

واذا كان سعيد قد اهتم بتطبيق القوانين فى السودان والتشدد فى العقوبات الا أنه لم ينجح فى القضاء على تجارة الرقيق رغم تعليماته الى المسئولين بمحاربتها فقد انتشرت فى السودان أسواق الرقيق واتبع تجار الرقيق عدة مسالك للفرار من الرقابة الحكومية ، وكانت دنقلة احدى هذه الطرق(٨٢) وقد تورط فى هذه التجارة كل من الوطنيين والاوربيين فى النيل الابيض ودخل فى خدمتهم عدد كبير من الاهالى فرارا من الضرائب وخاصة سكان دنقلة . وأنشأ الاوربيون الزرائب بمعونة الاهالى ، وفى عهد سعد أهمل المديرون فى السودان أوامره بمحاربة الرق ثم أن سعيد نفسه كان مسئولا عن هذا الاخفاق فقد شكل حرسا خاصا له من السود واتفق مع شركة السيد موسى العقاد وهى من أكبر الشركات العربية فى السودان على جلب الرقيق وكان من عوامل زيادة تجارة الرقيق فتح النيل الابيض للملاحة والتجارة واشتغال القناصل الاجانب بهذه التجارة(٨٣) .

ولا جدال ان مسألة الرقيق كانت متغلغلة فى كيان السودان الاجتماعى والاقتصادى ولذلك لم تثمر محاولات سعيد لالغاء هذه التجارة فعندما زار الخرطوم اصدر تعليمات مشددة بمكافحة تجارة الرقيق ونصحه القنصل البريطانى فى الخرطوم بشريك Petherick بضرورة انشاء بوليس نهرى فى النيل الابيض لمراقبة السفن ، وأشارت تقارير قناصل الدول الاوربية بأن الآمال معقودة على سعيد لحظر هذه التجارة(٨٤) .

ورغم تورط الاوربيين فى هذه التجارة الا انهم فى عام ١٨٦٠ قاموا

---

(٨١) Hill, R.: Op.Cit., P. 91.
(٨٢) Douin, G.: Op.Cit., 1er Partie tome III, P.24.
(٨٣) ابراهيم شحاته : المرجع السابق ص ١٢٢ .
(٨٤) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٨٢ .

سبيع زرائبهم ومحطاتهم الى التجار العرب وانشأ العرب الشركات التجارية وكان أشهرها فى الخرطوم العقاد وشركة موسى العقاد،البيطلى محجوب السطلى وغيرهم (٨٥) وفى عام ١٨٦١ أصدر سعيد اوامره ان تعمل اربع بواخر لتنفيذ مشروع البوليس النهرى لمراقبة السفن ولمنع تهريب الرقيق عن طريق النيل الابيض ولكن هذه البواخرلم تصل الخرطوم الا فى بداية حكم اسماعيل (٨٦) واستمرت هذه التجارة واتخذ بعض التجار من دنقلة مركزا لنقل الرقيق الى القاهرة وارسل Natterer قنصل النمسا فى الخرطوم الى القنصل العام النمساوى فى ١٥ اغسطس ١٨٦٠ تقريرا عن تجارة الرقيق وتورط بعض الشيوخ فيها مثل الشيخ موسى العقاد واخيه دينى العقاد وان مراكب الشيخ موس وصلت الى النيل الابيض وعليها اثنان وتسعون من الرقيق فى حالة سيئة عرايا تماما وأن هوءلاء الشيوخ يتولون نقل الرقيق على مراكب فى النيل حتى القاهرة والبعض ينقل بواسطة الجمال ويتخذ تجار الرقيق من دنقلة مركزا لهم لنقل الرقيق الى القاهرة وخاصة تاجر يدعى أحمد ، واكد له أن الشيخ احمد له نفوذ واسع فى دنقلة ، وان الادارة المصرية لا تريد اتخاذ أية اجراءات ضده ، ويعمل فى خدمة الشيخ احمد عدد من القناصة يتولون مهمة اقتناص الرقيق الذين يتم تقييدهم وربطهم متجاورين بحيث يصعب عليهم الفرار وقد اخبر المسئولون المصريون فى دنقلة القنصل النمساوى بانهم لا يستطيعون اتخاذ اى أجراء ضد الشيخ احمد ولكنهم فى الوقت نفسه ابدوا استعدادهم لالقاء القبض على آخرين من تجار الرقيق اذا اخبرهم بهم ، وقد قام القنصل النمساوى بمقابلة الشيخ أحمد واكد له انه يعمل فى تجارة العاج واحضر له عدة شهود من اتباعه شهدوا بأن الشيخ أحمد لا يعمل فى تجارة الرقيق وانه يقوم بتخزين العاج فى منزله ولكن القنصل النمساوى اكد ان الشيخ أحمد يعمل فى تجارة الرقيق وانه يتخذ من تجارة العاج ستارا له وقد تم القبض على عدد من التجار ودمرت منازلهم وتم تحرير الرقيق الموجود لديهم ، وقد اسهب القنصل النمساوى فى وصف حال الرقيق والبوءس الذى يعونون منه ، ولم يكتف بارسال تقريره الى

---

٨٥) محمد فوءاد شكرى : المرجع السابق ص ٨٥ .
٨٦) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٨٢ .

قنصل العام النمساوى فى القاهرة وانما ارسل الى شريف باشا وزير خارجية فى ٢١ نوفمبر ١٨٦١ يلفت نظره لخطورة هذه التجارة وانتشارها فى النيل الأبيض(٨٧) .

وفى عهد اسماعيل ، تأسست فى السودان الشركات التجارية فى عام ١٨٦٣ لتنمية موارد السودان من الصمغ والقطن والجلود والاخشاب والبن والحبوب وازدهرت حاصلات دنقلة وخاصة التمر والصمغ والاخشاب والجلود ، ولعبت البيوت التجارية السودانية دورا كبيرا فى تصدير متاجر السودان الى مصر وأوربا أو فى جلب واردات مصر وأوربا الى السودان وكان لهذه البيوت شأن كبير حتى صار لكل منهم قوة مسلحة وعملت هذه البيوت فى تجارة الرقيق أيضا . ولما اعتزم اسماعيل على منع هذه التجارة عهد الى ولاة السودان بالاتفاق مع أصحاب المشاريع على أن يتخلوا عنها للحكومة مقابل تعويضات تدفع لهم(٨٨) فكان من الصعب على هؤلاء التخلى عن تجارتهم وخاصة وأن كبار الشخصيات فى السودان عملت فى هذه التجارة فعلى سبيل المثال عمل فى دنقلة أقارب الزبير رحمت فى تجارة الرقيق وركزوا نشاطهم فى هذه المديرية(٨٩) ، وفى عام ١٨٦٣ اصدر اسماعيل تعليمات مشددة الى حاكم عام السودان موسى باشا حمدى يتعقب تجار الرقيق فرج بالكصيرين منهم فى السجن وقام بتحرير الارقاء واطلاق سراحهم واعادهم الى بلادهم(٩٠) وقد حرر عدد كبير من أرقاء دنقلة ففضلوا العمل مع القوات المصرية فى المديرية(٩١) .

وقد فرضت الحكومة المصرية عام ١٨٦٥ برنامجا مفصلا لفرض رقابة على تصدير الاسلحة والبارود الى السودان ، وطلب معونة قناصل الدول الاوربية فى الخرطوم لاحكام الرقابة على نشاط النخاسين ورفع حمايتها

---

٨٧) دار الوثائق القومية الارشيف الاجنبى - ارشيف محمد على ابراهيم وعباس وسعيد محفظة رقم ٢١ .

٨٨) محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٢١ .

٨٩) Douin, G.: Op.Cit. 2 Parite tome II, P. 164.

٩٠) الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ، القاهرة ١٩٢٣ المجلد الاول ص ١٣١ .

٩١) Douin, G.: Op.Cit., 1er Partie tome 3, P. 108.

لهؤلاء التجار [٩٢] وقد وضع جوردون حكمدار عام السودان مشروعا لالغاء الرق من تسعة بنود منها اعتراف الحكومة بتملك الرقيق الحالى لمالكيه ولكنها تمنح المملوك ورقة العتق اذا اثبت سوء معاملته ، وتسهيلا لذلك يطلب من المالكين تسجيل رقيقهم فى مديريتهم المختلفة بموجب تذكرة يحملونها فى السودان ليصبح المملوك بعدها حرا غير ان هذه الاقتراحات لم تنفذ فى الحال ولكنها ضمنت فى مشروع كبير بمعاهدة بين مصر وبريطانيا بشأن الرقيق [٩٣] .

وقد تم عقد المعاهدة فى ٤ أغسطس ١٨٧٧ بين الخديوى اسماعيل وبريطانيا لمنع تجارة الرقيق على أن يتم تحديد مدة زمنية معينة لابطال هذه التجارة نهائيا فى مصر والسودان وحددت العقوبات للاتجار فى الرقيق على أن تنفذ فى مصر خلال سبع سنوات ، ويحكم بالسجن على تجار الرقيق بالاشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة أشهر وأكثرها خمس سنوات ويكون تنفيذ المعاهدة فى السودان فى حدود اثنى عشر عاما وتنتهى فى عام ١٨٨٩ وقد نشر جوردون المعاهدة واخذ فى مطاردة تجار الرقيق بعنف [٩٤] .

وقد اتخذت عدة اجراءات لمكافحة الرقيق ، منها مصادرة المراكب التى تحمل الرقيق وانشاء مراكز مسلحة على طول النيل للمراقبة ، وتشديد الرقابة على السفن وعلى دخول الاسلحة النارية السودان، ورغم أن تجارة الرقيق انتشرت فى كردفان وبحر الغزال الا انها فى كثير من الأحيان مرت عبر دنقلة ولذلك تم تعقب هؤلاء التجار فى انحاء المديرية والقاء القبض عليهم [٩٥] .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من انشغال جوردون بالمناطق الجنوبية فى السودان وباتخاذ الاجراءات لمكافحة تجارة الرقيق ،الا أنه لم يهمل المناطق الشمالية من السودان ، فقام بعدة زيارات فيها لتفقد احوالها ، فنجده يزور دنقلة للتعرف على أوضاعها ، وقد أعجب جوردون بالتطور الذى حدث فى دنقلة ذلك التطور الذى شمل الزراعة والتجارة والصناعة [٩٦] .

---

٩٢) ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ١١٨ .
٩٣) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ١١٤ .
٩٤) ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ١٢٠ .
٩٥) عبد الرحمن الرافعى: عصر اسماعيل دار المعارف ١٩٨٢جـ١ ص ١٥٧ .

أما عن النظام المالى فقد تمت التجارة عن طريق المبادلة وانتشر فى السودان الشرقى دولار ماريا تريزا النمساوى ، واعتمدت التجارة فى كثير من الجهات على المقايضة ، كذلك استخدمت العملات العثمانية والمصرية من القروش والبارة والتعريفة .

وقد فرضت الضرائب منذ عهد اسماعيل بن محمد على ، فبعد ان فتح دنقلة واتجه الى سنار لفتحها عمل رجاله على فرض الضرائب ، فسجلوا عدد القرى وفرضوا ضرائب باهظة لم يألفها الناس ففرضوا خمسة ريالات على الحيوانات ، وكان الهدف منها زيادة أموال الخزينة ،وترتب على ذلك تذمر السكان فعمل اسماعيل على تخفيضها الى ريالين فقط[٩٧].

وقد عمل محمد على على تنظيم الضرائب وكان تنظيمها جزءا من تنظيمها فى مصر ، وفرضت الضرائب على الاهالى والقبائل ، وفرضت ضرائب على كل بهيمة ، وترك لرؤساء القبائل جمعها وتسليمها الى الحكومة ، والواقع أن الأهالى كانوا يرفضون فى كثير من الاحيان دفع الضرائب وبالتالى استخدمت القسوة معهم [٩٨] ، وقد ترك جمع الضرائب للكشافين والجنود فى المدن الرئيسية ، وعهد الى جنود الشايقية الذين عملوا فى خدمة القوات المصرية بجمع الضرائب ، وفى دنقلة اتسم الموقف بالهدوء ، واعتمد جباة الضرائب على انتشار السلم والأمن ، ولكن هذا لم يمنع من نشوب بعض الاضطرابات بسبب مغالاة الشايقية فى جمع الضرائب ، مثل ثورة الشيخ بخيت فى المحس عام ١٨٣٣[٩٩] ، وقد اشتعلت هذه الثورة من المحس وحنك وامتدت حتى سكوت بسبب الضرائب[١٠٠].

وقد فرضت الضرائب على السواقى ، والنخيل ، وسعف النخيل ،كذلك فرضت عوائد دخولية على البضائع عند نقلها من منطقة الى أخرى، وفرضت ضرائب على المواشى ففرض على البقرة عشرين قرشا وعلى الخروف اربعة قروش[١٠١] ، وتدرجت الضرائب على الأرض الزراعية حسب خصوبة التربة ،

---

٩٧) المرجع السابق ، ص ٣٢ .
٩٨) الشاطر بصيلى : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
٩٩) بشير كوكو : المرجع السابق ، ص ٣ .
١٠٠) Hill. R.: Op.Cit., P. 35.
١٠١) بشير كوكو : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

أو صعوبة ريها ، ما بين خمسة عشر قرشا وثمانية وسبعين قرشا ، أما ضريبة السواقى ، فاختلفت حسب الاقاليم المروية ففى عام ١٨٢٧ فرضت ضريبة على السواقى فى دنقلة مقدارها مائة واثنان وثلاثون قرشا باضافة مائة وسبعة عشر قرشا فى حالة استمرار الرى فى الصيف على اساس ان الزراعة مكثفة فى دنقلة واختلفت الضرائب على السواقى من منطقة الى أخرى (١٠٢) .

وجمعت الضرائب عينا فى المناطق التى كان يقل فيها التداول بالنقود بين الاهالى فكانت تأخذ احيانا من الذرة أو الاقمشة القطنية فى بعض المناطق مثل دنقلة والمحس ، وقد سمح محمد على فى عام ١٨٣٥ بجمع العبيد بدلا من النقود فى حالة عجز الاهالى عن الدفع (١٠٣) ولكن فى عام ١٨٤٣ ارسل الى أحمد باشا ابو ودان بمنع جمع العبيد بواسطة الحكومة (١٠٤) .

ورغم فرض الضرائب الا أنه كما ذكرنا كانت دنقلة المديرية الوحيدة التى اتسمت بعدم وجود عجز دائم فى ميزانيتها ، وقد أجرى هوسكنز اثناء سفره الى اثيوبيا مقارنة بين الاسعار فى أسواق دنقلة عام ١٨٣٥ وبين الضرائب المفروضة على السلع فوجد ان دافعى الضرائب غير مغبونين وان الضرائب فى حدود المعقول ، واجرى مقارنة بين أسعار السلع والضرائب المفروضة عليها (١٠٥) .

ولا جدال أن ترك الادارة مسألة جمع الضرائب للجهاز الادارى من جنود غير نظاميين وشيوخ قبائل وشيوخ المناطق ، كان له أسوأ الاثر على الاهالى لأن الادارة طالبت موظفيها بمبلغ محدد من المال فكان باستطاعة كل منهم أن يحتفظ بالمبلغ الزائد (١٠٦) .

يقترن عهد عباس فى السودان بتزايد الضرائب فالادارة المصرية فى السودان لم يكن لها خطة واضحة ، وترك تصريف أمور القرى والقبائل فى أيدى المشايخ المحليين مما كان له أسوأ الأثر فى البلاد وقد رفع

---

١٠٢) Hill, R.: Op.Cit., P. 41.
١٠٣) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٤٧٩ .
١٠٤) Hill, R.: Op.Cit., P. 41.
١٠٥) Ibid, P.40.
١٠٦) جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

الدكتور هوجلين تقريرا الى حكومته فى عام ١٨٥٤ ذكر فيه أنه فرضت ضرائب ثقيلة على الاهالى كما حدث فى بربر واضطر الناس الى هجر أراضيهم هربا من الضرائب فوقع على كاهل الذين بقوا دفع الضرائب المقررة عليهم وزاد الحال سوءا ان المكلفين بتحصيلها من رؤساء القبائل والزعماء والشيوخ الوطنيين انتهزوا فرصة جمع الضرائب للانتقام من أعدائهم أو استغلال ذلك لفائدتهم مما أدى فى نهاية الامر الى التذمر بين الاهالى واضطرت الحكومة الى ارسال بعض القوات العسكرية للقضاء على التذمر(١٠٧) وقد امتد السخط ايضا الى دنقلة واضطر الناس فيها الى ترك أراضيهم والهجرة منها بسبب ثقل الضرائب عليهم(١٠٨) .

وعندما زار سعيد السودان التقى بأعيان البلاد الذين قدموا له العرائض يشكون من فداحة الضرائب ومظالم الحكام فأمر باعفاء الاهالى من المتأخر عليهم من الاموال وخفض الضرائب لارضاء الاهالى(١٠٩) .

أصدر سعيد فى الخرطوم أربعة مراسيم فى يناير ١٨٥٧ تعتبر بمثابة دستور السودان شملت الاصلاحات المالية والادارية الجديدة ونظمت عملية فرض الضرائب ، ومنعت السخرة ورفع جميع متأخرات الضرائب وخول الشيوخ سلطات قضائية للبت فى القضايا والمنازعات كما منع جباية الضرائب بواسطة الجند(١١٠) . وقد حدد المرسوم الضرائب على الأرض الزراعية وعلى السواقى ، وقدرت الضرائب على الارض التى تروى بالسواقى على اساس مائتى قرش على الساقية ، كما خفضت الضرائب على الارض التى تعتمد على الطمبور فى ريها فجعلها عشرين قرشا للفدان ، أما أطيان الجزر فقدرت الضريبة بخمسة وعشرين قرشا للفدان واعفيت الاطيان التى تغرس بالاشجار المثمرة من الضرائب(١١١) واصبحت الضرائب تتبع عدد السواقى فى الاطيان لان السواقى تبين مبلغ خصب الارض ودرجة انتاجها ، وقد تم تقدير الضرائب على الاراضى بالاتفاق مع الاعيان ، ووكل أمر جمعها للمشايخ ، وقسمت الى اقساط متساوية كل يسهل دفعها

---

١٠٧) محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان- تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ - القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٣ .

١٠٨) Hill, R.: Op.Cit., P. 85.

١٠٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ج ١ ص ٤٥ .

١١٠) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤ .

١١١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٧٣ .

وقد فرض على دنقلة ضريبة السواقى على اساس ان معظم اراضيها تروى بواسطة السواقى[١١٢] ولا جدال أن عملية تنظيم الضرائب وتقسيمها الى اقساط قد خفف الاعباء عن الاهالى وتناسب مع مقدرتهم على الدفع وشجعهم على العودة الى اراضيهم التى هجروها[١١٣] .

تزايدت الضرائب فى عهد اسماعيل وفرضت الضرائب على الاراضى والسواقى والسلع المختلفة ، ورسوم التمغة ، وكان لضريبة السواقى والارض فى دنقلة وبربر وضع مختلف عن باقى مديريات السودان فلم تؤخذ من المزارعين حسب مساحة حقولهم وانما كانت تفرض على اساس الآلات والادوات المستخدمة فى الانتاج ، ومن هنا فان الضرائب كانت تتباين ليس باختلاف الآلات فحسب بل بعدم تجانس انتاجية الارض ومن أجل ذلك فان السواقى هى التى تفرض عليها نسب مختلفة لان بعض الحقول خير من غيرها علما بأن مساحة كل ساقية ثمانية افدنة وبذلك فرضت الضرائب فى دنقلة على النحو التالى :

مستوى الساقية [١١٤]	بارة	قرش
الساقية درجة أ	ـ	٥٠٠
الساقية درجة ب	ـ	٤٠٠
الساقية درجة جـ	ـ	٣٠٠

ضريبة الارض المروية بالمتر[١١٥]

مستوى المترة	بارة	قرش
المترة درجة أ	ـ	٣٥٠
المترة درجة ب	ـ	٢٥٠
المترة درجة جـ	ـ	١٧٥

---

١١٢) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٧ ه

١١٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ ه

١١٤) اراضى سواقى وهى البر الثابت على ضفتى النيل والجزائر التى لا يغمرها النيل .

١١٥) الاراضى التى تروى بماء المترة وهى حفرة واسعة تحفر عند النيل فترشح ماؤه وتركب عليها السواقى فتروى بها الارض وهذه الامتار لا توجد الا فى دنقلة وبربر حيث يقل سقوط الامطار ه

ضريبة على الشادوف

	بارة	قرش
الشادوف درجة اولى	–	٣٥٠
الشادوق درجة ثانية	–	٢٥٠

ضريبة أرض الجزر

فدان الدرجة الاولى	–	٦٠
فدان الدرجة الثانية	–	٦٥
فدان الدرجة الثالثة	–	٥٢

أرض الجـــــروف[١١٦]

فدان الدرجة الاولى	–	٤٥
فدان الدرجة الثانية	–	٢٦
فدان الدرجة الثالثة	–	٢٢

أرض الكــــرو[١١٧]

فدان الدرجة الاولى	٢٠	٥٦
فدان الدرجة الثانية	٣	٤٠
فدان الدرجة الثالثة	١٠	٤٨
فدان الدرجة الرابعة	٥	٢٨
فدان الدرجة الخامسة	–	١٥ (١١٨)

وبالاضافة الى الضرائب المفروضة على الاراضى الزراعية فرضـــت ضرائب على السلع فى دنقلة مثل باقى مديريات السودان ومنها الخمـــر ففرض على كل أردب يعتصر خمرا ستين قرشا ثم قامت الحكومة بالغـــاء الخمر استجابة لرغبة الاهالى[١١٩] .

---

١١٦) جروف الجزائر وجرفا النيل شرقا وغربا .

١١٧) الارض البعيدة عن النيل وتروى بالامطار وهى منخفضات فى البـــر اشبه بالترع يغمرها النيل ، وارض الجروف والكرو لا تحتاجـــان الى سقى .

١١٨) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨١ .

١١٩) المرجع السابق : ص ٨١ .

وفرضت عوائد دخولية على الدخان وصدرت الاوامر بمصادرة الدخان المهرب لحساب الحكومة [١٢٠] . واحتكرت الحكومة وزن السلع وتقاضت على وزن القنطار من السلع سواء أكانت مستوردة أم محلية قرشين ، وعن قنطار الصمغ قرشا ، كما احتكرت المكاييل ففرضت على كل اردب عشرين بارة واحتكرت المعادن وشحن وتفريغ السلع فى الموانى ولم يسلم الموظفون من فرض الضرائب فقد كان يخصم من رواتبهم مبلغا استقطاع الاحتياطى [١٢١] . وفرضت ضرائب الموظفين الراغبين فى العمل فكان الموظف الذى يرغب فى العمل فى القبانة عليه دفع رسم سنوى للميرى من مائتين وخمسين قرشا على ألف قرش ، وكان على الموظف ان يقدم الاوراق والشهادات اللازمة للترخيص له بالعمل [١٢٢] . وفرضت ضريبة للمهن التجارية والمتاجرة وضريبة العتب أو ضرائب المنازل ومقدارها $\frac{1}{12}$ من ايجار المنزل [١٢٣] .

كذلك فرضت رسوم تمغة على مضابط المجالس المحلية واصبحت اثمانها من ضمن ايرادات المجالس سنويا [١٢٤] وفرضت هذه الرسوم على كل من يطلب الاطلاع على صور من احكام القضايا واصدرت الداخلية امرا بذلك [١٢٥] كما فرضت ايضا على المكاتبات التى يتم تحريرها من قبل الاعيان الى دواوين الحكومة ، وقد حددت الداخلية استخدام اوراق التمغة ، فلم تعد قاصرة على الامور الحسابية والميرية وانما اصبح استخدامها فى ورق المضابط التى تقرر للمجالس المحلية كذلك جميع التقارير التى تقدم للمجالس أو للحكام والدواوين ، الذوات وغيرهم من الوجوه

---

١٢٠) وثائق السودان دفتر ٣٤٣، قيد الاوامر والمنشورات بمجلس مديرية دنقلة من ٨ رجب ١٢٨٦ هـ الى ٢١ رجب ١٢٩٦ هـ نمرة ٢٢ - امر صادر من المجلس الخصوصى لمجلس الاحكام فى ٥ رجب ١٢٩٠ هـ .

١٢١) نشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٢ .

١٢٢) دفتر قيد الاوامر والمنشورات المرجع السابق ص ٤٦ نمرة ٩ .

١٢٣) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٢ .

١٢٤) دفتر رقم ٣٤٣، المصدر السابق افادة واردة من مالية عموم السودان الى مجلس دنقلة - غرة ربيع اول ١٢٩٥ هـ نمرة ١٧ ص ٩٢.

١٢٥) المصدر السابق افادة من نظارة الحقانية الى رئيس استئناف عموم السودان لرئيس مجلس دنقلة - ١٥ رمضان ١٢٩٥ هـ - رقم ٢٤ - ص ١٠٣ .

والاعيان عليهم تقدير مطالبهم من بيع وشراء على أوراق تمغة (١٢٦) .

استفسر مجلس دنقلة عن فرض التمغة على مكاتبات الاجانب فكان رد الداخلية بان المكاتبات التى تصدر من مأمورين ووكلاء الدول الاجنبية الى الحكومة تعتبر مثل مكاتبات المصالح الاميرية فلا تفرض عليها رسوم تمغة ، " ولا يلزموا بتقديم مكاتباتهم على عرضحال أو تذكرة رسمية " ولكن اذا كان أحد الخواجات يقدم مكاتباته الى الحكومة فلابد له من كتابتها على عرضحال أو تذكرة رسمية" (١٢٧) .

ومن الضرائب التى فرضت فى عهد اسماعيل ضريبة الملح ، وقد فرضت على كل فرد فى مقابل ما يفترض فى أن يفرض له من الملح سنويا ، وقد الغيت فى اوائل عهد توفيق ونتج عن فرض هذه الضريبة تزايد حالات التهرب منها (١٢٨) .

والزم روءساء المراكب باستخدام الاختام الحكومية ولم يسمع لهم بمرور مراكبهم ، ما لم تكن هذه الاختام موجودة ، كما طلبت الحكومة من موظفيها التشدد فى التفتيش ، وضرورة التأكد من صحة الاختام ، وضرورة اثبات روءساء المراكب لحجم حمولة سفنهم وذلك حسب اوامر صدرت من الحقانية بسبب تزايد محاولات تهريب السلع (١٢٩) .

وجدير بالذكر انه كان يتم اجراء ميزانية سنوية تشمل الايرادات والمصروفات تقدم الى ديوان المالية للنظر فيها ثم ترسل للمجلس المخصوص بحيث يكون وصولها الى المالية من شتى مديريات السودان قبل انقضاء شهر توت باربعة شهور ومنها تقدم للمعية السنية قبل انقضاء العام بشهرين وتحتوى الميزانية الايرادات والمصروفات موقع فيها جميع المقاولات والترميمات والانشاءات وبعد صدور الميزانية

---

١٢٦) المصدر السابق صورة الامر العالى الصادر من نظارة الداخلية لمجلس عموم السودان ص ٣٢٢ .

١٢٧) المصدر السابق صورة شرح مدير دنقلة لحضرة مأمور ادارة دنقلة ١٤ ذى الحجة ١٢٨٨ هـ نمرة ١٤١ ص ٤ .

١٢٨) المصدر السابق من وكيل استئناف عموم السودان الى مجلس دنقلة نمرة ٨ ص ٤٥ . ٢٨ رمضان ١٢٩٠ هـ .

١٢٩) المصدر السابق من وكيل استئناف عموم السودان الى رئيس مجلس دنقلة نمرة ٥ ص ١٠٤ .

ينظر فى طلبات بعض الجهات التى تريد الاستئذان فى زيادتها (١٣٠) .

فيما يتعلق بالنظام الادارى فقد انقسم السودان اداريا فى عام ١٨٣٣ الى اربع مديريات ، كانت دنقلة مديرية رئيسية فى هذا التقسيم الذى ضم دنقلة - بربر - كردفان ، الخرطوم (١٣١) واتسم النظام الادارى باللامركزية فى ادارة اقاليم السودان ، وكان على رأس كل مديرية مدير يخضع مباشرة للحاكم العام فى الخرطوم ، وفى يده السلطة المدنية والعسكرية والقضائية (١٣٢) .

وعندما زار محمد على السودان الغى منصب الحكمدار ، وجعل المديرين على اتصال مباشر بالقاهرة ، ولكنه وجد انهم استبدوا بالسلطة ، فاعاد منصب الحكمدار من جديد (١٣٣) . وقد تولى العمل فى دنقلة جهاز ادارى تكون من المدير وفى يده جميع السلطات ، والباشكاتب وكان يتولى الشئون المالية وتقدير الضرائب ، وعمل حساب المديريات وجمع دفاتر الحسابات الاقسام التى تضمها المديرية ، وعمل حساب اجمالى لها فى دفتر خاص يصدق عليه المدير ، ويعاونه الصراف الذى يتولى مراجعة الحسابات النقدية (١٣٤) وكان على كل مديرية من مديريات السودان ان تسد احتياجاتها ، وقد عانت مديريات السودان من العجز فى ميزانيتها باستثناء مديرية دنقلة (١٣٥) .

وضمت المديرية عددا من الاقسام والمراكز لكل منها حاكم يعرف بالكاشف، معه عدد من العساكر وكاتبين للحسابات وصرافا ، وعلى كل قرية من القرى شيخ يختاره القرويون ليمثلهم ويكون مسئولا عنهم امام الكاشف ، كذلك كان على كل قبيلة من قبائل البدو الرئيسية شيخ مسئول أمام حاكم المنطقة التى تعيش فيها القبيلة (١٣٦) .

---

١٣٠) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٨٥ .
١٣١) فى اواخر عهد محمد على اصبح عدد مديريات السودان سبع - دنقلة بربر - الخرطوم - كردفان - سنار - فارغولي - التاكه .
١٣٢) ابراهيم شحاته : المرجع السابق ص ١٠٧ .
١٣٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٥ .
١٣٤) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٤٨ .
١٣٥) سمير صنقادى : تطور المركز الدولى للسودان . القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٨ .
١٣٦) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٥٠ .

وقد اهتمت الحكومة المصرية بصرف المرتبات للمشايخ العاملين في المديرية نظير خدماتهم وكانت تخصم من ايراد المديرية ،واذا كان المشايخ قد تولوا الاشراف على الشئون الدينية وتوجيه التعليم في دنقلة ، فان المسيحيين عملوا فيها كتجار وكتاب ، ومعظم الاسماء المسجلة للموردين والكتاب من المسحيين[١٣٧] .

والواقع ان التقسيم الاداري للسودان تعرض للتغيير ، باضافة بعض المديريات أو دمج البعض الآخر ، ففي عهد سعيد قسم السودان ١٨٥٧ الى خمس مديريات : التاكا ، كردفان ، دنقلة ، والتي اضيف اليها بربر - النيل الابيض وضمت سنار الى الخرطوم في مديرية واحدة[١٣٨] .

وقد ارجع سعيد سوء الادارة في السودان لانفراد حكمدار السودان بالادارة فالغى هذا المنصب وجعل مديريات السودان الخمس تتبع نظارة الداخلية شأن مديريات القطر المصري ، ثم رأى سعيد ان المديرين جنحوا الى الاستقلال والاستبداد بالاهالي فالغى استقلالهم وتولى موسى باشا حمدي منصب حكمدار السودان[١٣٩] .

والواقع ان زيارة سعيد للسودان كانت لتأمين حدوده الشرقية من ناحية الحبشة ، كذلك ازالة اسباب شكايات الاهالي وتذمرهم من كبار موظفي الحكومة ، والتي اتسمت ادارتهم بالاستبداد دون ان يردعهم رادع ، كذلك تمكين قواعد الحكم الذاتي في السودان على اعتبار ان ذلك يبعث على ادخال الطمأنينة الى النفوس ويساعد على نشر الامن والسلام ، وتوطيد سلطة الحكومة في الخرطوم[١٤٠] .

وفي عهد اسماعيل ادخل تعديل على التقسيم الاداري في السودان نتيجة لضم بلاد جديدة ، واصبح السودان موءلفا من عدة مديريات[١٤١] ،

---

١٣٧) وثائق السودان دفتر رقم ٥٤٧٣ : المصدر السابق ، امر وقعه حضرة وكيل المديرية في رمضان ١٢٦١ هـ ص ١١ .
١٣٨) ابراهيم عبده : في السودان - القاهرة ١٩٣٦ ص ٤٤ .
١٣٩) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦ .
١٤٠) محمد فوءاد شكري : المرجع السابق ص ٧٩ .
١٤١) الخرطوم - سنار - فازغولي - بربر - دنقلة - كسلا - فاشوده - كردفان - الفاشر - دارة كبكبة - بحر الغزال - خط الاستواء .

وقد تم توزيع الجنود فى مديريات السودان المختلفة فكانت دنقلة مركزا هاما من مراكز الجيش المصرى[١٤٢] واهتم مدير دنقلة حسين بك خليفة بتنظيم القوات العسكرية فيها فعمل على استبعاد الجنودغير النظاميين وكون فرقة من مائة فارس كما عمل على الاستفادة من تلاميذ المدارس فاخذ منهم خمسة وخمسين تلميذا لتكوين قوة نظامية فى دنقلة وتراوحت اعمار هوءلاء التلاميذ من عشرين الى ثلاثين عاما ، وصرفت لهم رواتب شهرية[١٤٣] ٠

حاول حسين بك خليفة حاكم دنقلة توسيع حدود المديرية فطالب بضم منطقة وادى القمر الى مديريته وارسل الى القاهرة ١٨٦٩ يعرض طلبه هذا ، مستندا على تقدم شيوخ وادى القمر بالشكوى له طالبين منه ضم منطقتهم الى دنقلة ، والواقع ان هذا المطلب جاء بناء على رغبة اهالى المنطقة للاستفادة من نقل المتاجر عبر دنقلة ، فكتب هوءلاء الشيوخ فى شكاواهم باتهم اصابهم الضرر من جراء انفصالهم عن دنقلة وانضمامهم الى بربر واكدوا انهم يفضلون دنقلة لأن بربر فقيرةواهاليها انفسهم يهاجرون منها وقد جاء الرد من القاهرة بان منطقةوادى القمر كانت تابعة منذ فتحها لبربر وان سكانها لم يدفعوا الضرائب عنها فى دنقلة منذ فتحها ٠ وفى عام ١٨٧١ اصبحت بربر ودنقلة مديريةواحدة وعين حسين بك خليفة مديرا عليها[١٤٤] والواقع انه يعتبر من أفضل من تولى ادارة مديرية دنقلة فقد حققت المديرية فى عهده تقدماواضحا حتى توافد المهاجرون عليها ليس من المديريات المجاورة لها فحسب بل من خارج السودان ففى سبتمبر ١٨٧٢ وفد على دنقلة ١٤١ من اهالى مكة جاءوا للاستقرار فيها فعمل حسين بك خليفة على توزيع الاراضى عليهم لزراعتها وشجعهم على الاقامة فيها ٠

وقد لمس الاوربيون انفسهم مدى تقدم المديرية فذكر صمويل بيكر عندما زارها فى عام ١٨٧٣ قادما من غندكرو ان الاحوال فيها فى تحسن

---

١٤٢) وزع الجيش المصرى على مراكز دنقلة - بربر - الخرطوم - سنار- القلابات - الجيزة - القضارف - كسلا - اميديب - سنهيت - سواكن - كردفان - دارفور - بحر الغزال - خط الاستواء - مصوع - هرر - زيلع - بربرة ٠

١٤٣) Douin, G. : Op Cit., 2eme Partie tome III, P. 480.

مستمر وذلك بفضل جهود حكامها ومعاونة السكان لهم (١٤٥) .

أما عن القضاء فعلى الرغم من عدم وجود قوانين مالية واضحة وتلاعب الكتاب نجد ان محمد على كان حريصا على اقرار العدل في السودان بقدر الامكان فعندما وردت له بعض الاتهامات ضد حاكم دنقلة حافظ ابراهيم كتب اليه بطالبه بالبقاء في مكانه حتى ينتهي التحقيق معه ، وكانت التهمة التي وجهت اليه هي استخدامه لمخازن الدولة لمصلحته الشخصية ، كذلك عندما علم محمد على بانه ارتكب عدة جرائم اخرى ضد الاهالي منها قطع ايديهم واذانهم امر وزير الحربية باتخاذ اللازم معه فطلب منه الكف عن مثل هذه الاعمال ، وبصفة عامة يمكن القول ان الشكاوى المرسلة الى القاهرة من مديريات السودان لقيت اهتماما كبيرا من قبل المسئولين (١٤٦) .

وفي الوقت الذي اهتمت فيه الحكومة باقرار العدالة تشددت في توقيع العقوبات وخاصة على المختلسين فكان يتم حصر ممتلكاتهم وبيعها لتسديد المبالغ التي اختلسوها ففي عام ١٢٦١ هـ اختلس ثمانية اشخاص اموالا في دنقلة وكانوا يعملون من قبل في الوجه القبلي قبل قدومهم الى دنقلة فطالبت الحكومة من سليم باشا مدير الوجه القبلي حصر ممتلكاتهم من عقار تمهيدا لبيعها . وتم بالفعل مصادرة ممتلكاتهم وبيعها وصدر في حقهم حكم بالسجن لمدة خمس سنوات (١٤٧) .

كذلك اهتمت الحكومة برد الاموال الى اصحابها ، فعندما شكا بعض التجار من عدم صرف مستحقاتهم من اعلاف تم توريدها الى دنقلة امر مدير عموم دنقلة بصرف الاموال المستحقة لهم ورد حقوقهم من ديوان المالية وجرى خصم المبلغ بالاعادة ، كذلك تم دفع اجرة ريس مركب يعمل على مراكب دنقلة وتباطأ المسئولون في صرف مستحقاته فشكا الى مدير دنقلة الذى امر بصرف مستحقاته (١٤٨) .

---

١٤٥) Douin, G.: Op.Cit. 2eme partie tome II, P.491.

١٤٦) Hill, R.: Op.Cit., P. 44.

١٤٧) وثائق السودان مديرية عموم دنقلة وبربر دفتر رقم ٥٤٧٣ المصدر السابق من مدير العموم الى مدير دنقلة رجب ١٢٦١ هـ ص ٤ .

١٤٨) المرجع السابق امر صادر من سعادة الباشا مدير عموم دنقلة وبربر في ٢٤ رمضان ١٢٦٠ هـ ص ١٦ .

واذا كانت اجراءات صرف المستحقات والرواتب تتم ببطء شديد فان اثبات حالات التلف فى المنشآت الحكومية او المراكب كانت تتم وفقا لاجراءات روتينية معقدة فكان لابد من كتابة التقارير واحضار الشهود لاثبات التلف ، حتى بالنسبة لنفق بعض الحيوانات(١٤٩) كان لابد من ذكر الاسباب واحضار الشهود ثم توقيع قاضى المديرية(١٥٠) .

اهتم سعيد باقرار العدل فى مديريات السودان وتشديد العقوبات وخاصة فى جرائم القتل وصدر امر من الداخلية بضرورة توقيع عقوبة الاعدام على القتلة واهتمت الداخلية بتطبيق هذه العقوبة فى اقاليم السودان ففى عام ١٨٥٤ ارسل حاكم دنقلة الى القاهرة صورة من حكم صدر من قاضى دنقلة بحبس عبد لمدة خمسة عشر عاما لقتل سيده ولكن الداخلية اصرت على تطبيق عقوبة الاعدام رغم محاولات حاكم دنقلة التخفيف عنه وتغيير العقوبة(١٥١) .

لقى القضاء اهتماما كبيرا من جانب الادارة المصرية فى عهد اسماعيل وقد اعتمد القضاة فى احكامهم على الشريعة الاسلامية وفق مذهب مالك ، وانشئت المحاكم الشرعية بعد السيادة العثمانية فى المراكزو المديريات وكان معظم القضاة من السودانيين الذين تلقوا تعليمهم فى الازهر الشريف ، وسواء اكان القاضى سودانيا أم مصريا يعينه قاضى عموم السودان ومفتى مجلس استئناف السودان وقد عين لكل خط قاضى يسمى نائب الشرع وانشئت فى كل مديرية محكمة وكان جهاز القضاء اشبه بهرم قاعدته محكمة الخط وقمته محكمة فى الخرطوم . وتم عزل القضاة عن طريق مجلس الاحكام وكان فصل القضاة يتم لعدم التزامهم بالاحكام ، فكان يشترط ان يكون القاضى نزيها وعند عزل او تعيين قاضى تؤلف لجنة من كبار علماء المديرية لتختار القاضى

---

١٤٩) المرجع السابق امر وقعه حضرة وكيل المديرية فى رمضان ١٢٦١ هـ ص ١١ .

١٥٠) نسوق مثال للاجراءات الروتينية المعقدة ، فى عام ١٢٦١ قدم سويفى عبد العال وهو سايس خيول فى دنقلة بيانا بنفق حصان وعلل ذلك بكبر سنه وعجز بصره واحضر شهودا لاثبات ذلك من المشايخ واكد كل من الشيخ ابو توركى والشيخ عبد الله نصر امام محكمة الشرعية ان وفاة الحصان كانت طبيعية واقسموا باليمين الشرعى امام القاضى وختم قاضى المديرية بنفق الحصان .

١٥١) Hill, R.:OP. Cit., P. 92.

الجديد وترفع مذكرة الى مجلس الاحكام يبين فيها اسباب عزل القاضي وتعيين خلفه ، وخصصت الحكومة رواتب شهرية للقضاة تتراوح بين الخمسمائة و الألف قرش مع اعفائهم من الضرائب و العوائد (١٥٢) .

وقد اعطى الحق لاهالى المديريات لتقديم شكاواهم الى الخديوى فقد تقدم سكان دنقلة بشكوى ضد احد القضاة الى الخديوى اسماعيل لانه لم يحكم وفق الشريعة الاسلامية فطلب من الحكمدار اختيار قاضي من مصر ورشح شيخ الازهر بعض العلماء وتم انتخاب قاض من بينهم ليتولى القضاء فى دنقلة (١٥٣) .

وقد اطلق على عملية التقاضى من تقديم العريضة بالشكوى حتى صدور الحكم كلمة المرافعة وليس المقصود مرافعة المحاكم فقد تولت الحكومة المرافعة عن المتوفين بان ينوب الحكمداريون و المديرون المرافعات الشرعية (١٥٤) ، وكانت احكام القضاة حازمة ، وخاصة فى جرائم القتل التى كان لابد من تطبيق عقوبة الاعدام فيها او دفع الدية واذا كان ابن القتيل طفلا يحبس القاتل حتى يبلغ الطفل الرشد ليحدد بنفسه نوعية العقوبة (١٥٥) .

واذا كانت المحاكم الشرعية قد عالجت قضايا القتل و السرقة و الديون و الاحوال الشخصية الا انه ما لبث الوضع ان تغير واحيلت القضايا الجنائية الى مديرى المديريات ثم انشئت المجالس المحلية للنظر فى القضايا الجنائية و المدنية و الاحوال الشخصية ، فلم تبق للمحاكم الشرعية الا قضايا الاحوال الشرعية و الميراث (١٥٦) .

ورغم أن مذهب السكان فى السودان كان مذهب الامام مالك الا ان القضاة السودانيين اضطروا الى اصدار احكام وفقا للمذهب الحنفى حسب اوامر الحكومة وكانوا هم انفسهم لا يدينون به فخلق ذلك نوعا من التناقض فى نفوس القضاة (١٥٧) .

---

١٥٢) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤٤ ،
١٥٣) المرجع السابق ص ٤٤ .
١٥٤) المرجع السابق ص ٤٤ .
١٥٥) دفتر رقم ٣٤٣، المصدر السابق امر من الداخلية الى الحكمدارية جمادى الاولى ١٢٨٦ هـ رقم ٢٧ - ص ١، .
١٥٦) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤٦ .
١٥٧) المرجع السابق ص ٥٢ .

واذا كانت قضايا الاحوال الشرعية من نصيب المحاكم الشرعية فان البقية الباقية من قضايا الاهالى ، اسندت للاداريين بدءا من الحكمدار فالمدير فحكام الاقسام فحكام الاخطاط واخيرا شيوخ القبائل • وبهذا التنظيم استطاع الاداريون ان يجمعوا بين السلطتين التنفيذية والقضائية واصبحوا بذلك الخصم والحكم مما ترتب عليه الحاق الظلم بالناس فاحيانا كان الاداريون يعذبون القاتل ، واحيانا يقومون باحتجاز زوجة واولاد المتهم فى حالة هروبه ، ولكن لم يكن هناك قانون ينظم النيابة العامة الى أن صدر مجلس الاحكام اوامره بتنظيم عملية القاء القبض على المتهمين (١٥٨) • وقد صدرت اوامر من الحقانية بضرورة اخذ اقوال مأمورى الضبط قبل تقديم الاحكام والزامهم بالادلاء باقوالهم (١٥٩).

ولما كان من عيوب القضاء تأخير القضايا فقد اصدر مجلس استئناف عموم السودان الى ريس مجلس دنقلة استفسارا عن قضايا لبعض الاشخاص الذين تم ابقائهم فى السجن عدة أشهر بتهمة القتل لحين حضور الورثة فطالب بعدم ابقائهم فى السجن فترة طويلة (١٦٠) واصدر رئيس مجلس دنقلة اوامره بعدم سجن احد ما لم يكن صادر فى حقه حكما من مجلس دنقلة (١٦١) ٠

اصدرت الداخلية تعليماتها لاقرار العدالة فى مجالس السودان وحددت للداخلية مأمورية المجالس فى اربعة وستين بندا حوت ضرورة انعقاد المجلس للمفاوضة بشأن المصالح العامة فى كل يوم عدا الجمعة والاعياد والا يسمح لاحد بالامتناع عن الحضور الى المجلس ما لم يكن هناك عذر شرعى كذلك عدم التفاوض فى الامور الهامة اذا تغيب اغلب الاعضاء بل يجب حضورهم كذلك نبهت الى ضرورة استماع الاعضاء لآراء المتحدثين ونبهت الى ضرورة ان يصدروا احكامهم بالحق ولا يخشون اية جهة والا يكون فى المجلس احد يميل الى التفرد بالرأى ، وان يكون

---

١٥٨) المرجع السابق ص ٥٤ ٠

١٥٩) دفتر ٣٤٣٠ المصدر السابق من الحقانية الى المجالس ١٢٩٤ هـ ص ٨٩ ٠

١٦٠) المرجع السابق صورة شرح وارد من ريس مجلس استئناف عموم السودان لريس مجلس دنقلة ٣ ذو الحجة ١٢٨٥ هـ نمرة ٢٧ - ص ٨٨ ٠

١٦١) المصدر السابق امر من رئس مجلس دنقلة الى مأمورى الضبط نمرة ٤٩ ٠

التفاوض فى جميع المصالح بين اعضاء المجلس بلا غرض ولا ميل عن طريق الحق كما حددت الداخلية شروط اشتراك بعض الاعضاء فى النظر فى الدعاوى فاذا كانت بينه وبين احد نسب او قرابة فعليه الاعتذار وكذلك نبهت الداخلية الى ضرورة التفاوض سرا فى المجلس ولا تعلق الاحكام قبل موعدها ، وحددت طريقة اجراء المحاكمة بالمجلس ودعت الى عدم استخدام العنف والتهديد وطالبت بحصر وتفنيد الشهود والمدعى عليهم وكتابة اسمائهم بدقة كذلك نظمت الداخلية القضايا ، ودعت الى عمل له فهرس خاص بكتابة الدعاوى ، وان تعطى كل قضية رقم مسلسل وان تنظر القضايا بالترتيب ، وعلى رئيس المجلس التمسك بهذا التسلسل . اما عن الاحكام فتكون بالاتفاق او اخذ الآراء او نصف آراء المجلس فى حالة اختلاف الآراء ، كما جرى تنظيم المضابط على ان يتم قيدها حرفيا فى دفتر المجلس ، وفى كل شهر تقدم مجالس التاكه وبربر وكردفان ودنقلة والخرطوم وسنار كشف الى مجلس استئناف الخرطوم موضح فيه القضايا التى وردت فى كل شهر ، كذلك فندت الداخلية انواع العقوبات والمدد اللازمة للحبس فى جرائم الرشوة والسرقة وغيرها من الجرائم (١٦٢) .

اما المنازعات التى تتم فى الوحدات العسكرية من قتل وشغب فيقوم بالحكم فيها المجالس العسكرية ويرفع بها تقرير الى ناظر الجهادية فى مصر وله الحق فى تعديل الاحكام ففى رجب عام ١٢٨٩هـ قام ناظر الجهادية بتعديل حكم صدر من ملازم فى آلاى السودان يدعى محمد نديم اصدر المجلس العسكرى فى دنقلة ضده قرارا بحرمانه من كافة خدمات المديرية وذلك لقيامه بدخول خمارة وتشاجره مع صاحبها وبعض الاوربيين ولكن ناظر الجهادية رأى ان الجزاء غير كاف ولابد من توقيع عقوبة فعالة ضده ليكون عبرة لامثاله فاصدر امرا بتنزيله من رتبته الى رتبة جاويش وامر ان يلحق بالاورطة الموجودة بجهة قلعة سواكن ومصوع (١٦٣) .

---

١٦٢) المصدر السابق من مجلس الاحكام الى مجلس دنقلة ٢١ محرم ١٢٩٠ هـ ص ١٥ .
١٦٣) المصدر السابق امر من ناظر الجهادية الى مجلس دنقلة ٢٦ رجب

والواقع ان ناظر الجهادية كان ينظر فى القضايا التى تتعلق باخلال الامن ، اما اذا كان هناك نزاع بين شخصين احدهما عسكرى والآخر مدنى او بين اثنين من العساكر فمن الممكن ان تنظر فيها المجالس المحلية ويكون الحكم فيها بالقوانين الملكية وما تقتضيه الشريعة (١٦٤) .

اما بالنسبة للقضاة فقد التزموا امام الحكومة بتأدية واجباتهم ومراعاة العدل وعدم تعطيل مصالح الاهالى وكان القاضى اذا اراد الحصول على اجازة لابد له من الحصول على تصريح مع تعهده بتوكيل من ينوب عنه خلال فترة غيابه (١٦٥) اما فى الجهات النائية والبعيدة اذا لم يجد القاضى من يحل محله ينوب عنه الكتاب • وكان لابد للقاضى من تقديم التماس لحصوله على اجازته مع توكيل من ينوب عنه ، ولابد من ابلاغ اسماء هوءلاء النواب لحكام ومديرية الجهات التابع لها (١٦٦) .

اما الاجانب العاملون فى السودان فى دور الحكومة او من رجال الدين او من الرحالة المكتشفين فكان عددهم قليلا ولكن مركزهم كان ممتازا وقد انتموا لمختلف الجنسيات من يونانية وفرنسية وبريطانية ونمساوية والمانية وقد تمتعوا بنفس الامتيازات داخل الامبراطورية العثمانية وفى عهد عباس سمحت حكومة القاهرة للقناصل فى الخرطوم بالنظر فى قضايا رعاياهم اما القضايا بين رعايا الحكومة ورعايا الاجانب عالجها مجلس مشترك من الحكمدار والقنصل فضلا عن انهاكانت فى بعض الاحيان ترفع الى مجلس الاحكام فى القاهرة ، اما مجلس التجار فقد عمل للفصل فى الدعاوى التجارية فى الخرطوم واختير رئيس المجلس واعضائه من التجار واستمر تمثيل الاوربيين فيه طوال عهد اسماعيل (١٦٧) .

---

١٦٤) المصدر السابق امر من الداخلية الى مجلس دنقلة فى ٢٠ذى الحجة ١٢٨٦ هـ ص ١١ •

١٦٥) المصدر السابق افادة من رئيس مجلس استئناف عموم السودان لرئيس مجلس دنقلة شعبان ١٢٩٥ هـ نمرة ٢٥ ص ١٠٣ •

٦٦) المصدر السابق امر صادر من الداخلية لنظارة الحقانية ٦ رجب ١٢٩٥ هـ نمرة ٧ •

١٦٧) بشير كوكو: المرجع السابق ص ٣٥ •

اما عن الاحكام التى كانت تصدر ضد الاجانب فقد حكم على بعضهم على اساس الشريعة الاسلامية مثل القتل ولم يتم اللجوء الى قنصلياتهم (١٦٨) ،

وكان يتحتم على الاجانب العاملين فى السودان كتجار اثبات شخصياتهم عن طريق جوازات تدل على تبعيتهم لدولهم (١٦٩) وكان على مأمورى الحكومة تقديم الحماية للاوربيين واذا اتهم احدهم فى جناية فلابد من احضار مندوب من القنصلية التابع لها يحضر التحقيقات الابتدائية وعلى المندوب التصديق على مذكرة الاحكام ضد الجناة التابعين لدولته ويقوم المندوب بارسال المذكرة والجانى الى قنصليته لتوقع عليه العقوبة بمعرفتها (١٧٠) اما الجهات التى لا يوجد بها قناصل ولا وكلاء يحول النظر فى قضايا الجناة الاوربيين على اقرب مجلس من محل الواقعة ويتم اخطار الخارجية بالتحقيقات وتقوم بدورها بابلاغ القنصلية التابع لها ، ومأمورو الحكومة المحلية ملزمون بحمايته وتقوم الحكومة بتوقيع الجزاء على من يستحق العقاب وفق ما تقتضيه القوانين المرعية (١٧١) .

فيما يتعلق بالنهضة العمرانية فى دنقلة لقيت المديرية اهتماما كبيرا من الادارة المصرية وشجع محمد على السودانيين على الالتحاق بالازهر ، حيث خصصت أروقة للقادمين من مدن السودان المختلفة من سنار ودنقلة ودارفور ، كما تأسست المدارس فى المدن الكبرى ومنها دنقلة حيث درس فيها كبار العلماء (١٧٢) .

ولا جدال ان السودان شهد نهضة عمرانية كبيرة ظهرت بوضوح فى عهد اسماعيل ، وكان لدنقلة نصيب واضح منها ، فقد اهتم الخديوى بانشاء سكة حديد السودان ، ومد خطوط البرق وانشأ مكاتب البريد

---

١٦٨) المرجع السابق ص ٢٩ .

١٦٩) دفتر رقم ٣٤٣٠ المصدر السابق من حكمدارية دنقلة لريس مجلس دنقلة ٧ ربيع اول ١٢٩٥ نمرة ٤٦ ص ١٠٠ .

١٧٠) المصدر السابق صور من الامر الوارد من الحقانية للخارجية ٢٩ شعبان ١٢٩٦ هـ نمرة ٢٣ ص ١٠٢ .

١٧١) المصدر السابق صورة ما تحرر لمجلس الاحكام من الخارجية ١٩ شعبان ١٢٩٥ هـ نمرة ٢٣ ص ١٠١ .

١٧٢) محمد سليمان : دور الازهر فى السودان ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٢٠ .

وقد كلف المستر فولر بدراسة طبيعة الارض بين اسوان والخرطوم لمد خط سكة حديد ، تتجول في وادي حلفا والنوبة ، وقد اعلن اسماعيل عند انعقاد مجلس الوزراء في ٢٦ يناير ١٨٧٣ عن عزمه انشاء خط حديدي يربط مصر بالسودان [١٧٣] .

وفي عام ١٨٧٤ تم مد خط حديدي من اسوان الى الشلال الاول طوله تسعة اميال وسكة حديد من حلفا الى سرس طولها ثلاث وثلاثين ميلا وقد وصل الخط الحديدي حتى عكاشة ولكن الدراويش خربوه ، وبعد استرجاع السودان وصل الخط الحديدي الى مدن دنقلة مثل كوشة وابي قس ودلقو والكرمة [١٧٤] .

كذلك اهتمت الحكومة المصرية بمد اسلاك البرق وانشاء مكاتب للبرق في كل مدينة وبندر في السودان ، فتم انشاء مكاتب في وادي حلفا ، ودنقلة وما بين دنقلة وبربر ، وكانت لغة التراسل هي اللغة العربية في جنوب مصر اما في الشمال فقد استخدمت العربية والفرنسية أو الانجليزية والايطالية والتركية [١٧٥] .

وبلغت طول الخطوط التلغرافية التي انشئت في السودان في عام ١٨٧٥ (٢١١٠ كم) ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف في مدن السودان ٢١ مكتبا ١٨٧٧ ، وقد ربطت هذه الخطوط بين مصر ودنقلة وبربر والخرطوم [١٧٦] ، وقد تم التوسع في مد خطوط البرق في عهد جوردون باشا على يد الالماني كريستيان كريجلر Carl christian Griegler ومن اهم مدن دنقلة التي انتشرت بها خطوط البرق كل من كورتي والدبة ودنقلة الجديدة [١٧٧] .

وقد تبع الاهتمام بمد خطوط البرق ضرورة انشاء مكاتب للبريد ، وقد كلف الخديوي اسماعيل الايطالي Licurgo Santoni (١٨٤٦ - ١٩١٨) بفتح مكاتب بريدية بين الخرطوم والمدن السودانية ، وبين

---

١٧٣) الياس الايوبي : المرجع السابق ص ٩٩ .
١٧٤) نعوم شقير : المرجع السابق ص ٢٠٩ .
١٧٥) المرجع السابق ص ١٠٣ .
١٧٦) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٨ .
١٧٧) Santi, Paul: The European in the Sudan 1834-1878. Oxford 1980., P. 225.

الخرطوم و القاهرة ، وقد افاد الخديوى من خبرة سانتونى وخاصة و انه عمل فى مكاتب البريد المصرى منذ عام ١٨٦٥ ، وقد قضى سانتونى فى اعالى مصر و النوبة ٣٣ عاما وكتب مذكراته عن النوبة ١٨٦٣ - ١٨٩٨ ونشرها ١٩٠٥ فى روما ، وقد كتب يقول انه على الرغم من عمله فى مدن الوجه القبلى فى مصر الا انه لم يذهب ابعد من ذلك جنوبا الى وادى حلفا الا عندما كلف بانشاء مراكز جديدة فى السودان ، وقد وصل الى الخرطوم فى فترة تولى جوردون باشا ونجح فى انشاء مراكز للبريد فى السودان فى دنقلة وبربر وسواكن وزيلع ومصوع و القضارف وسنار وكركور - المسلمية - الابيض - الفاشر - فاشودة - الخرطوم ، وقد تم نقل البريد بواسطة القوافل البرية بالتعاون مع قبائل العبابدة ، وكان يرافق القوافل حرس لحمايتها [١٧٨] . وبانتشار مكاتب البريد منذ عام ١٨٧٣ انضم البريد السودانى لاتحاد البريد العالمى ١٨٧٨ [١٧٩] .

وبالاضافة الى جهود سانتونى لانشاء مراكز للبريد فى عهد الخديوى اسماعيل الى مونج بك مدير مصلحة البريد المصرية بانشاء مكاتب منتظمة للبريد و انشئت ادارة البريد العديد من المكاتب وقد بقيت هذه المكاتب البريدية تؤدى خدماتها الى ان تعطلت بعد نشوب الثورة المهدية [١٨٠] .

ولتيسير الاتصال بين القاهرة والسودان اهتمت الادارة المصرية بالنقل المائى فتم انشاء ترعة ملاحية لتحسين الملاحة وخاصة فى مناطق الجنادل ، كما بذلت محاولات لتحطيم الصخور وتشييد الجسور [١٨١] .

أولى الخديوى اسماعيل اهتمامه بمديريات السودان فى مختلف المجالات ، ففى مجال التعليم . اهتم بانشاء المدارس لتعليم الصبية ، و انشئت المدارس فى المدن الهامة فى الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكه ، وعين لكل مدرسة مدرس اشترط ان يكون ملما بالتركية

---

١٧٨) Santi, Paul: Op.Cit. PP. 209 - 219.

١٧٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ١٢٨ .

١٨٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ج ١ ص ١٦٨ .

١٨١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ١٣٧ .

والنحو والصرف والخط بانواعه (١٨٢) وقد ادت هذه المدارس النظامية خدمات لا مثيل لها للادارة السودانية ، فمدتها بالكتاب والمحاسبين ، وعمال التلغراف واحدثت نهوضا ثقافيا ، بينما كان العلم مقصورا على خلاوى القرآن ، كذلك بعث اسماعيل بعدد من السودانيين لتعلم الصناعة وارسل خريجى المدارس لتعلم الطب والهندسة فى مصر (١٨٣) . وقد نالت المرأة السودانية نصيبها من التعلم وخاصة التعليم الدينى ومن اشهر الشخصيات خلال هذه الفترة آمونة بنت عبود وقد ذاع صيتها فى دنقلة وقد تحدث عنها رفاعة الطهطاوى فذكر انها كانت تقوم باقراء القرآن وادارة مكتبتين احداهما للغلمان والثانية للبنات ، وكانت تنفق من كسبها بغزل القطن وتشغيله ، وكان منزلها كالتكية للفقراء والقاصدين بيت الله الحرام (١٨٤) .

تكون فى السودان فى عهد اسماعيل بداية لكوادر سودانية ، واعطيت الموظفين من المدير والفقهاء والكتاب رواتب صرفت نقدا او من الذرة الغترية التى كانت الحكومة تشتريها احيانا من الخرطوم وتوزعها على الاقاليم التى لم تزرع فيها مثل دنقلة وبربر ، وقد تأخرت المرتبات احيانا فى السنوات الاولى من عهد اسماعيل ، وشهدت مديريات السودان ازمات مالية حينما استفحلت الازمة المالية فى مصر فقد انعكس صداها فى السودان (١٨٥) .

وقد اهتمت الادارة المصرية باحصاء عدد سكان السودان سنويا فى كل مديرية من مديرياته ، فكان الزاميا تقديم كشوف باسماء سكان كل مديرية خلال شهر من تاريخ الاعلان وكان يتم تحرير كشوف سنوية نظرا لزيادة أعمار الاطفال وقد تشددت الحكومة فى ضرورة تقديم تعداد او احصاء سكانى دقيق والتزام الدقة من جانب الموظفين الذين يعاونهم فى تأدية مهمتهم الشيوخ وقد وقعت عقوبات على المشايخ اذا اخطأوا فى التعداد او اخفوا ذكر بعض الاشخاص فكان يتم

---

١٨٢) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٤٨ .
١٨٣) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٧٤ .
١٨٤) محمد سليمان : المرجع السابق ص ٩٦ .
١٨٥) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٨ .

ابعادهم الى مصوع وسواكن[١٨٦] واهتمت الحكومة بالصحة فارسلت الاطباء الى السودان وعملت على علاج المرضى فى مستشفيات حكومية وكان على كل مديرية تقديم احصاء بعدد المواليد والوفيات وعدد من تم تطعيمهم من الاطفال ونضرب مثال بذلك احصاء تم خلال عامى ١٢٨٧هـ - ١٢٨٨ هـ فى دنقلة وضح عدد المواليد والوفيات فى دنقلة الآتى :

عام	عدد المواليد	عدد الوفيات	عددمن تم تطعيمهم	عدد المرضى الذين تم علاجهم فى مستشفيات الحكومة
١٢٨٧ هـ - ١٨٧٢م	٦٥٣	٤٩٥	٧٠٩	١٥
١٢٨٨ هـ - ١٨٧٣م	٦١٦	٥٢٤	٦٤٨	٥١ (١٨٧)

واخيرا لقد تطورت مديرية دنقلة تطورا كبيرا فى عهد محمدعلى فتم القضاء على المماليك فيها ، كذلك تخلص السكان من اغارات الشايقية ، واصبحت المديرية مركزا من اهم مراكز الاتصال بين مصر والسودان ، كما شهدت تطورا زراعيا وصناعيا كبيرا وتم وضع اسس للادارة استكملت فى عهد كل من عباس وسعيد وجنت المديرية ثمار الاصلاحات التى قام بها الأخير .

ثم جاء عهد اسماعيل لتشهد المديرية تقدما كبيرا فى مختلف المجالات . واذا كانت مديرية دنقلة لم تواجه عجزا دائما فى ميزانيتها شأنّ قلة من مديريات السودان الا انها عانت مثل غيرها من المديريات من اخطاء الادارة المصرية وخاصة تزايد الضرائب ففى عهد محمد على تولى الشايقية والجنود ورؤساء القبائل جمع الضرائب واشتطوا فى معاملة الاهالى ، وفى عهد عباس اندفع الاوربيون للعمل فى السودان فتزايدت اعدادهم بصورة ملحوظة ، كما عانت المديرية فى عهد سعيد من استبداد المديرين وخاصة بعد الغاء وظيفة الحكمدار ، وكان للاجراءات الصارمة التى اتبعها جوردون فى عهداسماعيل لمكافحة تجارة الرقيق اثرا كبيرا فى استياء وتذمر الاهالى .

---

١٨٦) وثائق السودان دفتر رقم ٣٤٣٠ المصدر السابق امر من المالية الى المجلس الخصوصى ١٤ رمضان ١٢٩٠ هـ نمرة ١٤ ص ٣٧ .

١٨٧) Douin, G : Op.Cit., 2eme partie tome II, P.462.

ويمكن القول ان محاسن ومساوىء الادارة المصرية فى السودان انعكست على دنقلة وان كانت اسعد حالا من غيرها من مديريات السودان (١٨٨) .

* * * *

---

١٨٨) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ١٣٣ .

المصادر والمراجع

أولا : وثائق غير منشورة :

١) دار الوثائق القومية ، الارشيف الاجنبى - ارشيف محمد على وابراهيم وعباس وسعيد محفظة رقم ٢١ .

٢) وثائق السودان بمديرية عموم دنقلة وبربر بالسودان دفتر رقم ٥٤٧٣ جامعة الاسعادية الفترة من ٢٦ شعبان ١٢٦٠ هـ الى ٧ رمضان ١٢٦١ هـ .

٣) دفتر رقم ٣٤٣٠ قيد الاوامر والمنشورات بمجلس مديرية دنقلة من ١٢٨٨ هـ الى رجب ١٢٩٦ هـ

ثانيا : المراجع العربية :

١) ابراهيم شحاتة حسن : مصر والسودان ، الاسكندرية - منشأة المعارف ١٩٨٢ .

٢) ابراهيم عبده : فى السودان ، القاهرة ١٩٣٦ .

٣) ادورد جون : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ترجمة محمدمسعود القاهرة ١٩٣١ .

٤) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر - القاهرة ١٩٥٥ .

٥) الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل القاهرة ١٩٢٣ ، المجلد الاول .

٦) بشير كوكو حميده : ملامح من تاريخ السودان فى عهد الخديوى اسماعيل ، مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث رقم (١٠) جامعة الخرطوم - الطبعة الاولى١٩٨٣

٧) جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ١٩٦٧ .

٨) زاهر رياض : مصر وافريقيا - القاهرة ١٩٧٦ .

٩) سمير المنقبادى : تطور المركز الدولى للسودان - القاهرة ١٩٥٨ .

١٠) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٦٩ جـ ٢ .

١١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والاخبار،القاهرة ١٨٨٠ جـ ٤ .

١٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، دار المعارف ١٩٨٢ .

١٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ، دار المعارف ١٩٨٢ ، جـ ١، جـ ٢ .

١٤) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان، بيروت ١٩٦٧ الطبعة الثانية .

١٥) محمد سليمان : دور الازهر في السودان ، القاهرة ١٩٨٥ .

١٦) محمد صبري : الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٤٨ .

١٧) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، القاهرة ١٩٥١ الطبعة الاولى.

١٨) محمد فوءاد شكري : مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ، دار المعارف ١٩٦٣ .

١٩) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادى بيروت ١٩٨٥ .

٢٠) نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان - دراسة في العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ - ١٨٤٨) القاهرة ١٩٨٥ .

٢١) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيه القاهرة ١٩٠٣ جـ ١ ، جـ ٣ .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1- Burckhardht, John Lewis: Travels in Nubia London 1822.

2- Cocheries, Jules: Situation internationale de L'Egypte et du Soundan. Paris, 1903.

3- Deschamps, Hubert: Histoire generale de L'Afrique Noire Pairs 1971 tome II.

4- Douin, G: Histoire du Regne du Khedive Ismail Lere Parite (1863-1869) tome III Le Caire 1936.
2eme Parie (1869-1873) tome II Le Caire 1938.

5 - Driault, Edouard: Mohamed Aly au Soudan Le Caire 1927.

6 - Gessi Pacha, Romolo: Seven years in the Sudan London, 1892.

7 - Grandin, Nicole: Le Soudan Nilotique et L'administration Britannique (1898-1956) Leiden 1982.

8 - Hamont: L'Egypte sous Mehemet Aly. Paris 1845 tome II.

9 - Hill, Richard: Egypt in the Sudan 1820-1881 New York.

16 - Junker, Wilhelm: Travels in Africa during the years 1875-1878, London, 1971.

11 - Macmichael, Sir Harold: The Anglo-Egyptian Sudan, London 1934.

12 - Nubie Par divers archeolgues et historians Cahiers d'histoire Egyptienne, Le Caire.

13 - Santi Paul, Hill R: The European in the Sudan 1834-1878 Oxford 1980.

14 - Weygand, Le General: Mohammed Aly et ses fils. Paris, 1936 Premier Volume

رابعا : دوائـــــر المعـــــارف :

- The Cambridge history of Africa from 1790 to 1870. edited by John Flint Cambridge 1876- Vol.5

التقارير والمراجعات وعرض الكتب

دار الوثائق المصرية
فى ثلاثين عامـــا
١٩٥٤ - ١٩٨٤

د. زين العابدين شمس الدين نجم

يتناول هذا التقرير دراسة واحدة من أخطر مؤسساتنا العلميـة ألا وهى دار الوثائق القومية التى تعد المصدر الرئيسى لتاريخنـا القومى .

ويرجع انشاء دار الوثائق القومية الى القانون رقم ٣٥٦ لسنـة ١٩٥٤ الصادر فى ٢٤ يونيه ، والذى اشتمل على خمس عشرة مادة ، وحدد مهمتها على النحو التالى :

أولا : جمع الوثائق التى تعد مادة لتاريخ مصر وما يتصل به فى جميع العصور .

ثانيا : حفظ هذه الوثائق .

ثالثا : تيسير دراستها .

رابعا : العمل على نشرها .

ولما كان الهيكل الادارى للدولة فى ذلك الوقت قاصرا على عـدد محدود من الوزارات والمصالح فان القانون جعل نواة دار الوثائـق مقتصرا على الوزارات والمؤسسات الآتية :

١ - أقسام المحفوظات التاريخية فى القصر الجمهورى .
٢ - دار المحفوظات بالقلعة .
٣ - مجلس الوزراء .
٤ - وزارة الخارجية .
٥ - وزارة العدل .
٦ - وزارة الاوقاف .
٧ - الأزهـــر .

ونص القانون على انشاء مجلس أعلى للدار واسند اليه عددا من الاختصاصات الفنية أهمها :

- تقرير ما يعتبر من الوثائق ذات القيمة التاريخية .
- تقرير نقل الوثائق الى الدار .
- وضع قواعد المحافظة على الوثائق .
- تحديد الوثائق التى تنشر وطريقة نشرها .
- وضع شروط الاطلاع على الوثائق وأخذ صور منها .
- ابداء الرأى فى اعدام الاوراق الخاصة بكل وزارة .
- وضع اللائحة الداخلية لسير العمل بالدار .
- للمجلس ان يضم الى الدار الوثائق التى يتقرر اعتبارها ذات قيمة تاريخية سواء اكانت لدى الوزارات أو المصالح الاخرى، أو لدى الافراد والهيئات ، ونظمت المواد (٥ ، ٦ ، ٧) من القانون كيفية الحصول على هذه الوثائق أو الاستيلاء عليها مقابل تعويض مادى يقدره المجلس ، وكيفية المعارضة فى قيمة هذا التعويض ، وكذلك حددت المادة (١٢) العقوبات المقررة فى هذا الصدد .

وحفاظا على الوثائق وحمايتها ألزم القانون دار الوثائق بأن تختم هذه الوثائق بخاتم الدار بعد تسليمها اليها وايداعها بها ، وعدم نقلها من أقسامها او استعمالها الا داخل الدار .

كما أجاز القانون أخذ صور من هذه الوثائق طبقا للقواعد التى يقررها المجلس الاعلى للدار ، وبين كيفية تأدية الرسوم المقررة لاستخراجها .

وألزم القانون الوزارات بانشاء لجان دائمة للمحفوظات ، وبين اختصاصاتها ، وكيفية التخلص من الاوراق التى لديها وصلاتها بدار الوثائق ، ودور المجلس فى هذا الشأن .

وحفظ القانون الوثائق من الاتلاف والعبث والكشط والتخطيط فيها بأى شكل غير شكلها الاصلى ، وحدد العقوبات الواجبة ازاء مخالفة ذلك، واعطى لوزير الارشاد القومى حق اصدار قرار بالعقوبات التى يقترحها المجلس الاعلى .

وفيما يتعلق بالمخالفة لقواعد المحافظة على الوثائق وتنظيم الاطلاع عليها واستعمالها وحفظ النظام داخل الدار فقد اعطى القانون

لوزير الارشاد حق اصدار القرارات بالعقوبات التى يقترحها المجلس الاعلى ازاءها .

ومن مميزات هذا القانون انه أعطى الدار الحق فى الاحتفاظ بكل ما تجمعه من وثائق دون الزامها برد أى منها للجهة التى جمعته منها .

غير أن ما نأخذه عليه هو تحديده للجهات التى تعتمد عليها الدار فى جمع الوثائق منها والتى اقتصرت على عدد من الوزارات والمصالح ومؤسسات وشركات اخرى فى مرحلة تالية جعل بعض هذه الشركة تتمسك بهذا النص فى عدم سريان هذا القانون عليها .

وقد صدرت القرارات الوزارية الخاصة بتشكيل المجلس الاعلى لدار الوثائق القومية بعد نحو خمس سنوات من قانون انشائها فصدر القرار الوزارى رقم ٣٧ لسنة ١٩٥٩[1] والقرار رقم ٢٣٨ لسنة ١٩٦٠ والقرار رقم ٥٩ لسنة ١٩٦٣ بتشكيل المجلس . وقد تعدلت عضوية هذا المجلس طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٥٠ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم دار الكتب والوثائق القومية وعدل اسمه ليكون " المجلس الاعلى لدار الكتب والوثائق القومية " . وزيد عدد اعضائه ليصبحوا ستة عشر عضوا بعد استبعاد بعض الاعضاء واحلال واضافة آخرين مكانهم منهم رئيس ادارة الفتوى والتشريع المختصة بمجلس الدولة وبعض وكلاء الوزارات واعضاء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على طلب وزير الثقافة .

اما اللائحة الداخلية لدار الوثائق فلم تصدر الا بعد نحو عشر سنوات من صدور قانون انشائها حيث صدرت فى ٥ فبراير ١٩٦٤ بالقرار الوزارى رقم ٨٤ لسنة ١٩٦٤واشتملت على ثمان مواد تناولت مهام

---

١) اشتمل هذا القرار الصادر فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٩ على تسع مواد، وكانت رئاسة المجلس لوزير الثقافة والارشاد ، وعضوية كل من وكيل الوزارة ومدير دار الكتب ومدير دار الوثائق (كسكرتير للمجلس) ومدير المحفوظات العمومية ، وعضوا من علماء الازهر، وثلاثة اعضاء من وزارات الخارجية والعدل والاوقاف يختارهم وزراؤهم ، وعضوان من وزارة الثقافة والارشاد يختارهما وزيرهما وثلاثة أعضاء من المهتمين باغراض دار الوثائق ، وحدد القرار موعد اجتماعات المجلس ، واوضح شروط صحة اجتماعاته وقراراته ، والتصديق عليها وتنفيذها ، ورئاسة جلساته ، واعداد جدول اعماله .

واختصاصات المجلس الاعلى لدار الوثائق القومية واللجان الفنية والادارات التى تشكل بها ، واختصاصات كل من المكتب التنفيذى ومدير الدار ووكيلها والاقسام التى تنشأ بالدار ، ومواعيد العمل بها ، وجرد محتوياتها :

وقد اضافت هذه اللائحة الى المجلس الاعلى بعض الاختصاصات مثل :

- اقرار التبرعات عن طريق الوصية أو الهبة وشروطها .
- رسم سياسة التبادل مع الهيئات العلمية والتوصية بانشاء الادارات ونظم العمل بها .

أما عن اللجان والاقسام التى تقرر انشائها فهى :(٢)

أولا : اللجـــان :

أ - اللجنة المالية : وتختص ببحث مشروع ميزانية الدار قبل عرضها على المجلس الاعلى وما يحله عليها من مسائل مالية .

ب - لجنة التزويد وتجميع الوثائق : وتقوم برسم سياسة تجميع الوثائق وصيانتها .

جـ - لجنة وثائق الثورة : وتختص بتجميع وثائق الثورة مثل التشريعات والقوانين والقرارات التى صدرت منذ بدء الثورة ووضع نظم التعريف بها ز ونشر ما يتقرر نشره منها .

د - لجنة المسجلات السمعية والبصرية : وتقوم بتجميع نسخ من الاشرطة والافلام والاسطوانات والشرايح التى تعتبر مادة تاريخية وتتصل باغراض الدار وكذلك وضع نظم استخدامها وصيانتها .

هـ - لجنة النشر : وتختص بتحديد ما ينشر من الوثائق وطريقة النشر .

ثانيا : الأقســام :

أ - قسم الجمع والتسجيل : ويختص بالاشراف على الوثائق بالوزارات

---

٢) انظر اللائحة الداخلية لدار الوثائق القومية .

والمصالح وتجميع الوثائق وتسجيلها وتقديم المقترحات بشأن التخلص من بعضها ، وضم ما يراه هاما منها ، واعداد المقترحات بشأن ما لدى الافراد من وثائق لعرضها على المجلس الاعلى .

ب - قسم الارشاد : ويقوم على خدمة الباحثين وارشادهم ويشرف على قاعات البحوث ، واعداد المراجع والمطلوبات والاشراف على المتحف ، والمكتبة والعلاقات العامة .

ج - قسم الوثائق العربية : ويتولى تنفيذ النظم الفنية لتيسير الاستفادة من فهرسة وتصنيف وتقديم المقترحات بشأن تجميعها .

د - قسم الوثائق التركية : ويختص بتنظيم الوثائق التركية من فهرسة وتصنيف وترجمة وتقديم مقترحات بشأن تجميعها .

هـ - قسم الوثائق الاجنبية : ويقوم بتنظيم وتجميع الوثائق الاجنبية التى تتصل بتاريخ مصر والمودعة بدور الوثائق الاجنبية من فهرسة وتصنيف وترجمة ما يتقرر ترجمته وتقديم مقترحات بشأن تجميعها .

و - قسم الامناء : وهو مسئول عن عهدة الدار وتنظيم المخازن ، وصيانة الوثائق ويعاونه قسم التصوير .

ز - قسم وثائق الثورة : ويختص بتنظيم الوثائق المتصلة بثورة ٢٣ يوليو وتسجيلها وتصنيفها ونشر ما يتقرر نشره منها .

ح - قسم المسجلات السمعية والبصرية : ويقوم بحصر وتسجيل وتصنيف الاشرطة والاسطوانات والافلام التى تعد مادة للتاريخ .

ط - قسم التصوير : ويختص بتصوير الوثائق المطلوب تصويرها للدار وللباحثين بالرسوم المقررة .

ى - قسم الشئون الادارية : ويتولى كافة الشئون الادارية والمالية بالدار .

وبذلك تحددت معالم الهيكل التنظيمى لدار الوثائق القومية طبقا لما جاء بالقانون واللائحة الداخلية . وقد صدرفيما بعد قراران

جمهوريان يختصان بالوثائق احدهما رقم ١٢١ لسنة ١٩٧٥ الصادر فى ١٣ سبتمبر بشأن المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم اسلوب نشرها ، والآخر رقم ٤٧٢ لسنة ١٩٧٩ فى ١٢ نوفمبر بشأن نظام المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة واسلوب نشرها واستعمالها .



هذا عن الجانب التنظيمى فاذا ما انتقلنا الى مجال التطبيق فان الامر يقتضى ضرورة العودة الى الوراء قليلا لمعرفة طبيعة العمل فى الوثائق القومية فى العصر الحديث قبل انشاء الدار .

ولقد كانت النواة الاولى لدار الوثائق القومية هى دار المحفوظات التى انشأها محمد على سنة ١٨٢٩ لحفظ وثائق الدولة الخاصة بالدواوين والاقاليم ، ولامكان الرجوع اليها عند الحاجة نظرا لاحتفاظ بعض الكتاب بها . ويعتقد ان من اسباب اهتمامه بانشائها هو وضع أو حفظ سجلات واوراق الدولة فى مكان امين بعد أن أتى حريق القلعة الذى وقع فى ١٨ يونيه سنة ١٨٢٠ على بعض الوثائق ، وعلى حد قول الجبرتى[٣] فقد " أقاموا فى طفء النار يومين واحترق ناحية ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت اشياء وامتعة ودفاتر ، حرقا ونهبا " وعن هذا الحريق جاء بأحد الدفاتر[٤] : فيما يتعلق بالاوامر الصادرة الى ديوان الخديوى " ان السنوات من سنة ١٢٣٠ هـ الى سنة ١٢٣٥ لم يوجد بها اوامر وعلم من المرحوم مصطفى افندى درويش الذى كان باشكاتب المصلحة حصول حريق بالقلعة وحرقت بها اوامر ودفاتر ديوان خديوى تلك السنوات وبالجملة قيودات الاوامر وعلم ذلك ايضا من بعض اوامر مقيدة بقيودات الاوامر سنة ١٢٣٥ " .

ولم تمر عدة شهور على انشاء دار المحفوظات حتى تم تنظيمها ، ووضعت نظم العمل بها[٥] ، وعلى ذلك فقد وضعت اللوائح التى نظمت

---

٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ، ج ٤ ، حوادث شهر رمضان سنة ١٢٣٥ هـ ٧ منه الموافق ١٨يونيه سنة ١٨٢٠ م ، ص ٣٠٩ .

٤) دفاتر حصر السجلات ، دفتر يتضمن السجلات التى كانت موجودة بدار المحفوظات العمومية وتوجد حاليا بدار الوثائق .

٥) الوقائع المصرية ، العدد ١٠٩ ، فى ١٧ شعبان ١٢٤٥ هـ .

ايداع الدفاتر والاوراق التى ينتهى العمل فيها وتم تنفيذها ، وتـــم اعداد الموظفين الفنيين اللازمين والمساعدين لهم • وهذا ما لم يحدث بعد انشاء دار الوثائق القومية كما سنرى • وليس هناك متسعا للافاضة فيما يتعلق بدار المحفوظات سواء فيما يتعلق باللوائح التى نظمــــت ايداع السجلات والاوراق التى ينتهى العمل بها ، أو تبعيتها التـــــى انتقلت كثيرا ما بين قلم الخزينة وديوان المالية ومحافظة مصـــــر وديوان الداخلية واستقرارها النهائى ضمن مصالح وزارة المالية منـذ سنة ١٩٠٥ •

ونظرا لاهتمام الملك فوءاد ، فى العشرينات من هذا القــــرن ، بتاريخ الاسرة العلوية ، واظهارا لامجادها ، فقد امر فى ســـنة ١٩٢٥ بتشكيل لجنة برئاسة الدكتور حسن نشأت وعضوية ادولف قطاوى سكرتيـــر عام الجمعية الجغرافية واحمد تيمور والقبطان البحرى جـــورج دوان • وكانت آخر جلسات اللجنة فى يوليو من نفس العام وذلك لدراسة أمـــر المحفوظات التاريخية بهدف حصر الوثائق وتصنيفها وترجمتها • وقامت لجنة خاصة بترجمة الوثائق التركية اولا الى اللغة العربية ثم منهـا الى الفرنسة وفى اوائل سنة ١٩٢٦ استدعى الملك فوءاد المستشـــــرق الفرنسى جان دينى Deny وعهد اليه بفحص الوثائق التركية بقصـــر عابدين ، وابداء الرأى بشأن تنظيمها ، وقدم دينى تقريرا فى ٢٤مارس سنة ١٩٢٦ نوه فيه بضرورة دراسة الوثائق التركية جملة واحدة ســـواء ما كان فى عابدين او فى دار المحفوظات لان الوثائق بهما متمميــــن لبعضهما •

ولما كان ذلك يتطلب دراسة الدفاتر المودعة بدار المحفوظـــات فقد كلف دينى بهذا العمل حيث قام بدراستها دراسة مستفيضة واعتبـــر العثور عليها كشفا عظيما • وقد وضع موءلفا قيما عنها بعنـــــوان "Sommaire des Archives Tourques du Caire, Societe Royal de Geographie d'Egypte" (٦) بين فيه مجموعات الوثائـــق التركية التى صدرت عن مختلف الادارات فى عهد محمد على •

---

٦) محمد احمد حسين : الوثائق التاريخية ، مطبعة جامعة القاهـــرة ١٩٥٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ •

وقد نقلت هذه الوثائق من القلعة الى قصر عابدين ،ومعها الوثائق العربية عن الفترة من حكم محمد على الى بداية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ فى جناح مستقل من مبنى ملحق بالقصر ، واطلق عليه " قسم المحفوظات التاريخية " وعكف المترجمون على العمل بارشاد دقيق من كبار رجال القصر تحت الرعاية المباشرة للملك . ولم يكن الغرض من ذلك هو اقامة دار قومية للوثائق التاريخية ، بل كان جل الغرض اتاحة الفرصة لنفر من العلماء والمؤرخين الاجانب للكتابة والتأليف عن اسرة محمد على . ففى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٢ كتب رئيس الديوان الملكى الى رئيس مجلس الوزراء يخبره ان الملك قد عهد الى عدد من المؤرخين امثال هانوتو وجوجيه ، وفيت ، ودنسون روس ، ودوان ، وفيجان وغيرهم بوضع كتب عن تاريخ مصر وانه عهد الى دوان وساماركو بجمع ما حوته دور المحفوظات بايطاليا والنمسا وامريكا من وثائق تتصل بتاريخ مصر الحديث . وقد احضر ساماركو صورا للوثائق من فينا وترجمت الى الفرنسية ورتبت ترتيبا زمنيا ، واحضر كذلك صورا من وثائق نابلى وصورا من ارشيف بعض القنصليات الايطالية فى انجلترا وفينا . أما دوان فقد احضر صورا من الوثائق المودعة بوزارة الخارجية البريطانية Foreign Office ، والبحرية ، وكذلك صورا من وثائق الارشيف الفرنسى من عام ١٧٩٨ الى عام ١٨٧٩ ، وقد نقلت صور الوثائق السويدية والبولندية بواسطة بنيس " Benis " اما صور الوثائق الامريكية فقد قامت السفارة المصرية باحضارها . ولم تكن هناك خطة محددة لجلب هذه الصور من دور الوثائق الاجنبية .

ومنذ ذلك التاريخ ورغم مرور اكثر من خمسين عاما فانه لم يضاف جديدا الى هذه الارشيفات ، كما انه لم يتم ترجمة هذه الوثائق للآن فيما عدا بعض وثائق قليلة من الارشيف النمساوى منذ سنوات طويلة .

ولما كانت الدفاتر والوثائق التى تم نقلها من دار المحفوظات الى قسم المحفوظات التاريخية غير كاملة بعد نقل الكثير منها الى دار المحفوظات وظلت على حالها بذلك القسم دون عمل فهارس وتيسير الاطلاع والبحث فقد رأى رئيس الديوان الملكى نقل المحفوظات التاريخية من دار المحفوظات الى عابدين . وقد وافقت مصلحة الاموال المقررة التى كانت تتبعها دار المحفوظات فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢ على نقلها .

وفى ٧ يونيه سنة ١٩٣٣ طلب رئيس الديوان من رئيس مجلس الوزراء نقل سجلات الاوامر والمعية وقلم الشبارسات وجزء من قلم الصفية والدفاتر الخاصة بالسودان وكذلك الدفاتر والوثائق التى يرى الديوان فائدة من نقلها حتى سنة ١٨٨٠ م[٧] .

وكان اول ما نقل من دار المحفوظات الى الديوان الملكى عبارة عن ١٦٥٨٩ دفتر و ٣١٧٦ ملفا تشتمل على ٦٢٣٨١٧ ورقة واستمرت عمليات النقل ففى سنة ١٩٣٤ تم نقل ٣٥٩١ دفترا وملفا ، وقد بلغ اجمالى ما تم نقله الى قصر عابدين ٣٧٨٠٩ دفترا منها ٣١٥١ دفترا باللغة التركية و ١٥٩٢٠ باللغة العربية و ١٨٧٣٨ خاصة بالمديريات والمحافظات بالاضافة الى ٣٧٨ محفظة باللغة التركية وغيرها من الوثائق[٨] .

ويلاحظ ان معظم هذه الدفاتر والوثائق اقتصرت على الفترة التاريخية من حكم محمد على الى آخر حكم اسماعيل ، كما انها تركزت حول وثائق المعية السنية والمجلس الملكى وشورى المعاونة وديوان الكتخدا والديوان الخديوى وديوان المدارس وديوان الداخلية وديوان المالية وديوان الجهادية والجفالك والشبارسات وغيرها .

أما تقويمنا لهذه الفترة التى سبقت انشاء الدار فانه بغض النظر عن الدوافع وراء انشاء قسم المحفوظات التاريخية بقصر عابدين الا انه يمكن القول ان الوثائق التى جمعت من القصر ومن دار المحفوظات ومن الارشيفات الاجنبية شكلت النواة الحقيقية لدار الوثائق القومية عند انشائها . وقد استعان القسم فى البداية بمجموعة من الاجانب المتخصصين والفنيين لدراسة هذه الوثائق ، وفى المراحل التالية استعان بالاجانب والمصريين للعمل فى هذه الواثائق من فهرسة وتصنيف وترجمة وكانت اهم هذه الاعمال :

• ترجمة العديد من الوثائق التركية مثل دفاتر المعية السنية وديوان خديوى وديوان كتخدا والمجلس الخصوص ووثائق المالية وبحر

---

٧) محمد احمد حسين ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

٨) عن الارقام الخاصة بالدفاتر والاوراق لكل مجموعة على حدة والفترة التاريخية الخاصة بها . انظر الخطابات المتبادلة بين الديوان الملكى ومصلحة الاموال المقررة ودار المحفوظات .

برا والحجاز ومجلس الملكية والمعاونة وغيرها .

• اعداد كشافات بموضوعات بعض المحافظ التى تم ترجمتها مثل المعية والمعاونة وغيرها .

• تجميع الوثائق التركية بعد ترجمتها ووضعها فى محافظ وتصنيفها وترتيبها ترتيبا تاريخيا وفهرستها وترقيمها وكذلك الوثائق العربية ، وقد اخذت هذه المحافظ جميعا ارقاما مسلسلة وان كانت بعض معالمها قد ضاعت الآن .

• تجميع الفرمانات الشاهانية الصادرة من السلاطين العثمانيين لولاة مصر منذ ٣ صفر ١٠٠٦ هـ الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٥٩٧ حتى ٢ رجب ١٣٣٢ هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٩١٤ م وتم تصويرها وجمعها فى ثمانية مجلدات ، كما تم ترجمة هذه الفرمانات ايضا .

• اعداد محافظ اطلق عليها " محافظ الابحاث " عن اهم الموضوعات التى تتضمنها الوثائق الموجودة بالمجموعات الرئيسية بالقسم لتقديم خدمة سهلة للباحثين وقد اشتملت على وثائق اصلية وترجمات لوثائق الدفاتر والمحافظ ، ونسخ بعض الوثائق العربية ، وبها ايضا بعض المسودات ، وقد تميزت اعمال الترجمة فى تلك الفترة بالمراجعة الدقيقة لها ، وتم تجميع هذه الاوراق وعونتها فى موضوعات ، وتجميع كل موضوع على حده وترتيبه ترتيبا تاريخيا ، وبذلك تكون عدد ١٥٥ محفظة شملت عدد من الموضوعات الرئيسية الفرعية مثل :

السودان ، السكة الحديد ، الفلاح المصرى ، كريت ، التعليم ، الشام ، الحجاز ، تراجم الفرمانات ، تراجم الاوامر ، اوامر بالعربية وبعض الوثائق الاصلية وبعض التراجم والاوراق الخاصة بافراد الاسرة المالكة وغيرها من الموضوعات الكثيرة والمتنوعة . وهذه المحافظ اغنت الكثير من الباحثين عن الرجوع لاصول الوثائق . وحبذا لو استمرت العمل فى اعداد مثل هذه المحافظ من المجموعات الاخرى بالدار .

• تم اعداد بطاقات فهرس بموضوعات متنوعة يبلغ عددها نحو عشرين الف بطاقة تضمنت مضمون الوثيقة وتاريخها ورقمها ومصدرها وجهة صدورها وجهة ورودها ، وهى ترجمات لوثائق تركية واخرى عربية ، وقد

بلغت موضوعات هذه البطاقات ١٥٣ موضوعا رئيسية وفرعية ، وهى مرتبة ترتيبا تاريخيا وهجائيا وقد اعتمد بعض الباحثين عليها اعتمادا كبيرا فى ابحاثهم دون الرجوع الى الوثائق الاصلية ومن بين موضوعات هذه البطاقات :

أراضى ، املاك ، اوامر ، بريد ، بعثات ، تجارة ، رى ، زراعة ، صناعة ، لوائح وقوانين ... الخ .

وأهم ما يوءخذ على هذه الفترة هو انصراف الاهتمام الى ترجمة ونسخ وتلخيص مجموعات معينة من الدفاتر والوثائق وعدم العناية الكافية بباقى الوثائق والدفاتر .

وكان قسم الوثائق التاريخية من الناحية الادارية تابعا للخاصة الملكية ، وبالنسبة لنظام البحث فى القسم فكان لا يسمح لاحد بالاطلاع على الوثائق الا باذن خاص وفى اضيق الحدود . وكان الفنيون والمترجمون فى خدمة الباحثين ، وقد وجه الاستاذ شفيق غربال تلاميذ وطلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بقسم التاريخ بجامعة فواءد الاول الى الاستفادة من مادة هذه الوثائق حيث وفد عدد منهم لمبنى الوثائق الملحق بقصر عابدين ، ولقوا من رياسة القلم التاريخى ومن المترجمين كل عناية وتشجيع ووضع بعضهم رسائل قيمة فى نواح متعددة من تاريخ محمد على فى التعليم وحالة الفلاح ، والمطبعة ، وحروب الوهابيين ... الخ وافادوا كثيرا مما اعده المترجمون من ملخصات أو تراجم (٩) . وقد تميزت هذه الدراسات والبحوث عن سابقتها تلك التى كانت تأريخا رسميا .

كما نلاحظ ان الاستاذ امين سامى فى كتابه تقويم النيل قد استفاد كثيرا من هذه التراجم ونقلها كما هى دون تحقيق لمصادر هذه الاوامر

---

٩) محمد محمد توفيق : " الحلقة المفقودة فى تاريخ مصر الحديث " مجلة الهلال عدد مايو ويونيه ١٩٤١ فى ١٩٤١/٦/١ ص ٥٨٥ . وفى هذا المقال يوضح كاتبه الحالة التى كانت عليها وثائق الروزنامه بدار المحفوظات من الاهمال والنسيان وكيف نظر الى الخط التى كتبت به هذه الوثائق ، خط القيرمة " على انه خطا كفريا ، انظر ص ٥٩٠ .

الوثائق [١٠] . وذكر الاستاذ / محمد خليل صبحى انه ترجم له وثيقة السياستنامة بناء على طلبه [١١] .

* * *

فاذا ما انتقلنا الى الحديث عن دار الوثائق القومية بعد انشائها فاننا نجد ان الدار لم تنشأ فعلا الا فى سنة ١٩٥٦ أى بعد صدور قرار انشائها بعامين ، ويبدو ان السنوات التى اعقبت صدورقانون انشائها كانت فترة اعداد فقط ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٨ .

وقد نقلت الوثائق من المبنى المخصص لها بالقصر الى مكان آخر مظلم وضيق وغير صالح على الاطلاق لحفظ الوثائق ، كما ان عملية النقل تمت بطريقة خاطئة للغاية دون تخطيط او تنسيق مما تسبب عنه تمزق بعض الدفاتر وتسرب الاوراق المفردة من محافظها وفقدان بعضها . وكان السبب فى ذلك هو احلال البوليس الحربى محل هذا القسم . وقد ظلت دار الوثائق بهذا المكان حتى تم نقلها الى مكانها الحالى بالقلعة سنة ١٩٦٩ وهو مبنى قديم لم يعد يتسع لما بها من الوثائق او لاستقبال وثائق جديدة ، وقد بدىء فى اعداد مبنى خاص للدار على الكورنيش منذ اكثر من خمسة عشر عاما ولم يتم الانتهاء منه الآن .

اما عن تبعية دار الوثائق فانه بعد قيام الثورة اصبحت تابعة لدار الكتب التى كانت تتبع وزارة التربية والتعليم فى ذلك الوقت ، وبعد صدور قانون انشائها اصبحت تتبع وزارة الارشاد القومى وبذلك انفصلت عن دار الكتب غير انها اعيدت اليها مرة اخرى فى عام ١٩٦٦ طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٤٩ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم وزارة الثقافة حيث ضمت اليها كلا من دار الكتب والوثائق القومية . وفى نفس العام ضمت كلا من الدارين معا طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٥٠ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم دار الكتب ودار الوثائق القومية باسم " دار الكتب والوثائق القومية"

---

١٠) امين سامى ، تقويم النيل وعصر محمد على ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٦ .

١١) محمد خليل صبحى ، تاريخ الحياة النيابية فى مصر ، ج ٤ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٣ .

ثم ضمت دار الكتب والوثائق الى الهيئة العامة للكتاب بعد انشائها وتبع ذلك فصل ادارة الدارين عن بعضهما ، وقد أدى نقل الدار الى القلعة وتبعيتها للهيئة الى اهمالها والاضرار بها وبالوثائق القومية .

أما عن تنظيم العمل بدار الوثائق قبل صدور اللائحة الداخلية بها فاننا نجد ان العمل قد بدأ فى أول يوليو سنة ١٩٥٨ وقام به خمسة من المصريين المتخصصين فى غير اوقات العمل الرسمية واستمر العمل على هذا النحو حتى سنة ١٩٦١ حيث نقل الى الدار عدد آخر من الفنيين للعمل طول الوقت .

ويعد تحقيق ونشر الدفتر الاول من دفاتر المعية السنية فى سنة ١٩٦٠ اهم انجازات هذه الفترة نظرا لما رأته الدار وقتئذ من ان المعية تمثل اهم المجموعات بها ، وفى سنة ١٩٦١ بدىء فى حصر وتسجيل محتويات الدار واستمر ذلك العمل حتى سنة ١٩٦٣ وفى سنة ١٩٦٢ نشرت الدار كتاب " مصر بين عهدين " فى الذكرى العاشرة لثورة يوليو ، وقد حوى الكتاب صورا للوثائق التى تصور ما كان عليه الحكم قبل الثورة مع مقابلة هذا بصورة مشرقة للاعمال المجيدة التى قامت بها الثورة بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولكن هذا الكتاب الذى طبع طباعة انيقة فاخرة اقبر بالدار لظهور بعض الاخطاء به .

كما بدىء منذ ذلك التاريخ فى انشاء مكتبة متخصصة بالدار ، وهى تضم بعض المجلدات القيمة التى تشكل مصدرا رئيسيا لتاريخ مصر الحديث ولكنها ليست غنية بالمراجع الحديثة وقد تم فى الفترة الاخيرة تزويدها ببعض الكتب لاول مرة منذ سنوات طويلة .

ولم تشهد دار الوثائق اى تنظيم لها قبل عام ١٩٦٢ حيث وضع اول تنظيم لها فى العام المذكور وكان على النحو التالى :

- المكتب الفنى ويشمل المكتبة .
- ادارة التنظيم وتشمل : قسم الوثائق العربية .
  قسم الوثائق التركية .

وقام بالعمل فى هذه الادارة ثلاثة من الموظفين الفنيين المنتدبين تحت اشراف مدير منتدب ايضا . وقامت الدار بندب بعض المتخصصين من

من خريجى المعهد العالى للوثائق - الذى انشئ سنة ١٩٥١ والغى منذ مدة طويلة - وقسم الوثائق والمكتبات للعمل فى الدار وتدريب غيرهم ، ومع زيادة عدد العاملين انشأت اقسام للوثائق الاجنبية الافريقية وقد اعد القسم الاخير دليلا بوثائق الحبشة وآخر عن الشئون القضائية والادارية فى السودان .

وفى سنة ١٩٦٥ اعيد تنظيم دار الوثائق طبقا للائحة الداخلية للدار الصادرة فى عام ١٩٦٤ غير اننا نلاحظ ان بعضا مما جاء بهذه اللائحة تأخر تنفيذه طويلا ، أو أن تنفيذه لم يكن على الوجه الاكمل وان بعضا مما نفذ لم يكتب له الاستمرار ، فحتى الآن لا يمكننا القول بوجود لجنة للنشر على حين أن دولة عربية اخرى لا تملك ما تملكه مصر من وثائق تصدر دورية باسم " الوثيقة " كما انه لا يوجد ايضا قسم للمسجلات السمعية والبصرية رغم أن دار الوثائق سبق ان تقدمت بخطة عمل فى هذا الصدد . وبالنسبة للتصوير فانه يوجد ماكينة تصوير ميكروفيلم بدأت عملها منذ اكثر من عشر سنوات وبعد مرور هذه السنوات فان ما تم تصويره ميكروفيلميا من وثائق الدار لا يمثل الا القليل جدا مما تضمه الدار على حين ان وثائقها فى ازدياد مستمر ، وقدزودت الدار اخيرا بماكينة تصوير زيروكس بعد طول انتظار .

وفيما يتعلق بقسم وثائق الثورة واللجنة الخاصة بهذه الوثائق فان هذه اللجنة - فيما يبدو - لم تنعقد سوى مرة واحدة حتى نهاية عام ١٩٦٧ ، ويعتقد انها بدأت عملها بحماس بالغ اذ حاولت استصدار قانون يلزم بايداع صورة بالفوتوستات او الميكروفيلم من الوثائق الهامة فى عهد الثورة ، ولكن هذا القانون لم يصدر حتى الآن . وقد انحصر نشاط اللجنة فى جمع بعض المجلدات من هيئة الاستعلامات مثل خطب وتصريحات رئيس الجمهورية ، والقليل من وثائق الجامعة العربية ، ولم تتمكن من جمع الاتفاقيات المعقودة بين الهيئة العامة لبند السد العالى والاتحاد السوفيتى ، ووثائق مؤتمرات القمة وذلك " لان هذه الوثائق تحمل صفة السرية ولا يمكن الحصول عليها " . كما قامت بجمع بعض كتب ومحاضر الاتحاد الاشتراكى ، وقام القسم بفهرسة هذه المجلدات والمطبوعات ، ويبدو أن القسم قد توقف نشاطه عند هذا الحد بعد احداث سنة ١٩٦٧ .

وقد تركز العمل فى الدار طوال تلك الفترة وحتى سنة ١٩٦٨ فى حصر السجلات والمحافظ وترتيبها ترتيبا تاريخيا .

وكانت قاعة البحث فى تلك الفترة تعمل لفترتين مما افاد كثيرا من الباحثين بعكس الحال عما هو عليه الآن .

أما عن العاملين بالدار خلال هذه الفترة فقد بدأ عددهم فى الازدياد حيث اصبح عددهم ١٣ بعد تعيين ٦ من خريجى الجامعات . وفى عام ١٩٦٤ ارتفع العدد الى ٢٦ شخصا بعد تعيين ١٣ موظفا عن طريق القوى العاملة وزادوا الى ٣١ فى عام ١٩٦٥ ، واستمر العددفى الازدياد سنويا تدريجيا .

وقبل ان ننتقل الى المرحلة الاخيرة من تنظيم الدار التى تمت سنة ١٩٦٩ فاننا نوجز بعضا من اعمال المجلس الاعلى لدار الوثائق القومية :

ففى جلسته الاولى فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٦١ التى حضرها الاستاذان عبد الرحمن الرافعى ومحمد شفيق غربال ناقش الاعضاء ضرورة العناية بدار الوثائق القومية وخاصة وثائق الاوقاف والمحاكم الشرعية وايجاد مبنى ملائم للدار وتوفير الفنيين اللازمين للعمل بها واسلوب ذلك ، وضرورة اشراف دار الوثائق على الارشيفات الحكومية ومنع اعدام أية اوراق دون الرجوع للدار ، وشراء اوراق الزعيم الوطنى مصطفى كامل وتقدير ثمن لها وتشكيل لجنة لوضع اللائحة الداخلية .

وفى الجلسة الثانية بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٦٣ والتى حضرها الدكتور احمد عزت عبد الكريم والدكتور محمد حمدى البكرى رئيس قسم الوثائق والمكتبات ناقش الاعضاء اللائحة الداخلية للدار ، وتشكيل اللجان ، والمكتب التنفيذى ، وميزانية الدار ، ووثائق الحملة الفرنسية الموجودة بقصر عابدين ، وتدريب طلبة قسم الوثائق بالدار .

وفى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٦٣ عقدت الجلسة الثالثة ، وكان أهم ما جاء بها هو تاجيل النظر فى مسألة الاستيلاء على مذكرات سعد زغلول وتشكيل لجنة لوضع قواعد الاطلاع بالدار ، ومسألة تصوير حجج الاوقاف والمحاكم الشرعية ، والتسجيل العلمى لوثائق الحملة الفرنسية تمهيدا

لنشرها بعد توفير الاعتمادات اللازمة فى ميزانية ١٩٦٥/٦٤ ، والسعى لتصوير بعض الوثائق الاجنبية من الخارج .

وفى الجلسة الرابعة بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٦٤ ناقش المجلس مسألة مذكرات سعد زغلول وتفويض الاستاذ / محمد حسين وكيل الوزارة للاتصال بالدكتور بهى الدين بركات الحارس على المذكرات للوقوف على مدى استعداده لتنفيذ حكم الحراسة وامكان نقل الحراسة لدار الوثائق ودراسة ما يتصل باستصدار قرار الاستيلاء بعد ذلك وتكوين لجنة من الدكاترة احمد عزت عبد الكريم ومحمد حمدى البكرى لوضع تقرير عن مذكرات عبد الرحمن فهمى ، واعداد دليل عن دار الوثائق القومية ، وعددا آخر من المسائل الهامة الخاصة بالحصول على مذكرات محمد كامل سليم وهدى شعراوى وعبد العزيز جاويش .

وفى ٢٢ دسمبر سنة ١٩٦٤ عقدت الجلسة الخامسة ، وقد اعلن فيها تسلم دار الوثائق لمذكرات محمد فريد وعبد الرحمن فهمى ومحمد علوبة وسعد زغلول . وناقش المجلس ما يتعلق بمذكرات الزعماء والسياسيين المصريين ، وانشاء قسم للوثائق الافريقية بالدار وضم بعض الوثائق من وزارة الاقتصاد وتكوين لجنة لتقويم مذكرات محمد فريد وسعد زغلول ماديا .

وفى الجلسة السادسة فى ٢٤ مارس ١٩٦٥ ناقش المجلس ضم وثائق الحجج الشرعية من دار المحفوظات ، وضم وثائق صندوق الدين وغيرها من الوثائق ومشروع الميزانية والمبنى الجديد لدار الوثائق .

وفى الجلسة السابعة والاخيرة للمجلس - والذى توقف نشاطه - وكانت فى ٩ اغسطس عام ١٩٦٧ وحضرها الدكتور احمد عزت عبد الكريم والدكتور الشنيطى خبير المكتبات بالامم المتحدة حينئذ قرر المجلس تشكيل لجان لدار الكتب والوثائق القومية واحالة مشروع خطة سنة ١٩٦٨/٦٧ م وما بعدها الى لجنة التخطيط والمتابعة . وهكذا انتهى دور المجلس الاعلى للوثائق الذى كانت دار الوثائق فى حاجة الى استمراره .

* * *

وقد أعيد تنظيم دار الوثائق للمرة الاخيرة سنة ١٩٦٩ ، ويبدو

هذا فضلا عن ادارة جمع واعداد الوثائق والتى بدأت فى تنفيذ مواد القانون الخاصة بجمع الوثائق من الجهات المختلفة ، وانشاء اللجان بالوزارات والمؤسسات والمصالح مع التركيز على الجهات المنصوص عليها بالمادة الرابعة ، وقد قامت بضم المجموعات الخاصة بالثورة العرابية وقناة السويس والازهر وصندوق الدين والحجج الشرعية والتقاسيط ووثائق السودان ومجلس الاحكام ومجلس الاستئناف وغيرها من الوثائق الكثيرة والمتنوعة . وبلغت عدد لجانها فى اوائل السبعينات ٨٦ لجنة منها ٢٤ بالوزارات ، ٢٣ لجنة بالمحافظات ، ٣٩ بالمؤسسات . أما الآن فيبلغ عدد اللجان نحو ٤٠٠ لجنة ، وقامت الادارة منذ انشائها باصدار المنشورات الى الجهات السابقة لتوضيح طرق تنظيم محفوظاتها واسلوب تشكيل لجان المحفوظات وكيفية الاستغناء عن الاوراق كو توجد قاعة للبحث ومكتبة وقسم للشئون الادارية ومتحف وقسم لترميم الوثائق.



وعلى النحو السابق توزعت الدفاتر والوثائق الموجودة بالدار على الادارات الفنية الخمس وبالتالى فقد أعد الدليل الموءقت الذى أصدرته الدار سنة ١٩٧٠ متضمنا لهذه الادارات الخمس وما يندرج تحت كل ادارة من مجموعات الوثائق المختلفة . وان كنا نرى انه من الافضل - نظرا لوجود بعض الصعوبات فى هذا التقسيم - ان يتم تقسيم المجموعات الارشيفية والوحدات بالدار تبعا للمراحل الزمنية التى مر بها تاريخ مصر على مر العصور .

وبعد دراسة هذه الداليل فانه يمكن الخروج ببعض الملاحظات ومنها :

١ - عدم ذكر اعداد سجلات كل ديوان او مجموعة وثائقية .
٢ - عدم ذكر الفترة التاريخية سواء لسجلات هذه الدواوين أو للمجموعة باكملها .
٣ - عدم ادراج المحافظ والوثائق المفردة الخاصة بهذه الدواوين والمجموعات .
٤ - عدم وجود دلائل للمحافظ بصفة عامة لاية مجموعات وثائقية اخرى باستثناء بعض الحجج الشرعية .

وثمة ملاحظات اخرى على عملية تصنيف هذه المجموعات حيث يلاحظ ان بعض سجلات الديوان الخديوى وجميع سجلات الديوان العالى السلطانى قد ادرجت جميعا ضمن مجموعة سجلات المعية السنية وقد تم تدارك ذلك قريبا .

وهناك ملاحظة أخرى هامة حيث تبين ان تصنيف بعض الدواوين أو المجموعات أو الوحدات الارشيفية غير دقيق ومن ثم فقد تطلب ذلك اعادة ترتيب وتصنيف هذه المجموعات . وفيما يتعلق بنظام حفظ الوثائق فانه يلاحظ عدم وضع الدفاتر والمحافظ ذات الموضوع الواحد فى مكان واحد معا . اما العمل فى الوثائق المفردة فيغلب عليه ترتيبها ترتيبا تاريخيا دون ترتيبها ترتيبا موضوعيا كلما امكن ذلك ويرجع ذلك الى صعوبة تصنيفها والى سياسة الكم التى تتبعها الدار .

وفيما يتعلق بالعاملين بالدار فقد ازداد عددهم تدريجيا خلال تلك الفترة حتى بلغ احيانا نحو ٤٠ عاملا ولكن عددهم الآن فى تناقص مستمر حتى انه يزيد قليلا عن نصف العدد السابق مما يعطل تنفيذ الكثير من المهام والاعمال .

اما أبرز النشاطات العلمية والعملية خلال هذه الفترة ، فيما عدا اعمال جمع الوثائق وترتيبها وتصنيفها ، فنوجزها فيما يلى :

- اعداد دليل موءقت للدار سنة ١٩٧٠ .
- ارسال مبعوث الى ايطاليا لمدة أربعة أشهر فى عام ١٩٧١ (الآن خارج الدار) .
- فى سنة ١٩٧٢ قدمت الدار بعض المعلومات عن طبيعة العمل بها وامكانياتها للموءتمر الدولى السابع للوثائق الذى عقد بموسكو .
- فى سنة ١٩٧٣ اشتركت الدار فى الموءتمر الذى عقده الفرع الاقليمى العربى للوثائق ببغداد .
- فى سنة ١٩٧٤ اشتركت الدار فى الندوة الدولية لادارة وتنظيم المحفوظات العامة والتى عقدت بواشنطن .
- واشتركت ايضا فى موءتمر عقد بطرابلس حيث تقدمت ببحث عن أبنية دور الوثائق ، واشتركت ايضا فى موءتمر عقد بالسودان .

انه قد بدئ في الاعداد لهذا التنظم قبل هذه السنة حيث الغيت الاقسام السابقة التى ارتكزت على تقسم الوثائق تبعا للفات المدونة بها ، واعتمد التنظيم الجديد على تقسم المجموعات الوثائقية الموجودة بالدار بما يتمشى مع الهيكل الادارى للدولة ، حتى لا يتم تفتيت وثائق المجموعة الواحدة وذلك على النحو التالى :

١ - ادارة الوثائق السيادية :

وتشمل الوثائق الخاصة بالجهات الرئاسية والشئون السياسية والحربية للدولة وتضم مجموعات : المعية السنية ، ديوان خديوى ، ديوان الجهادية ، ديوان البحرية ، ديوان الدونتما الجمعية الحقانية ، مجلس الاحكام ، مجلس مصر ، مجلس استئناف مصر ، المجلس الخصوصى ، مجلس بلاط الملك ، مجلس الوزراء ، وثائق عابدين(١٢) ، شوراى المعاونة ، ديوان كتخدا ، وثائق الخارجية المصرية ... الخ .

٢ - ادارة وثائق الخدمات :

وتشمل الوثائق التى لها صفة الخدمة مثل : التعليم والصحة وغيرها وتضم ديوان المدارس وديوان الاشغال ، ديوان المبانى بالاسكندرية ، مجلس عموم الصحة ، الاستبالية الملكية ، شورى الطب ، ديوان المرور والسكة ، البوستة الخديوية ، القناطر الخيرية ، الساحلخانة ، مصلحة خفر السواحل ، صحة مصر ، القومبانية العزيزية ، القومبانية المجيدية ، الدائرة البلدية ، تفتيش هندسة قبلى ، تفتيش عموم الاقاليم ، تفتيش الاقاليم البحرية ، تفتيش الاقاليم الوسطى ، تفتيش عموم قبلى ، الترسانة ، الويركو ، الاورنانو ، الترعة الاسماعيلية ، ليمان ريس ، ليمان رشيد ، ملفات البعثات العلمية ... الخ .

---

١٢) توجد بدار الوثائق اكثر من مجموعة يطلق عليها عابدين مثل : دفاتر عابدين علما بانه لا يوجد مجموعة ارشيفية بهذا الاسم ، ومحافظ عابدين وهى المحافظ القديمة التى نقلت الى قصر عابدين وتحمل كلها ارقاما مسلسلة قديمة وتضم عدة موضوعات ، وتمييزا للوثائق المفردة التى وردت الى الدار من قصر عابدين وتمثل معظمها فترة الديوان الملكى فانه من الافضل تسمية هذه الوثائق " وثائق ديوان جلالة الملك " .

٣ - ادارة وثائق الانتاج :

وتشمل وثائق الوزارات والموءسسات والشركات التى لها طابع الانتاج وتضم مجموعات : ديوان المالية ، ديوان الايرادات ، ديوان الاخشاب ، تجارة ولى النعم ، دائرة محمد سعيد ، ديوان مجلس تجارة مصر ، ديوان الجفالك ، الدائرة السنية ، دايرة الهامى ، ديوان التجارة والزراعة والمبيعات ، وثائق الشركات وغيرها .

٤ - ادارة الوثائق المحلية :

وتشمل الوثائق الخاصة بالوحدات المحلية فى الدولة من محافظات ومديريات وتضم ديوان الداخلية ، محافظة مصر ، ضبطية مصر ، محافظة الاسكندرية ، ضبطية الاسكندرية ،محافظات السويس والاسماعيلية وقنال السويس والعريش ودمياط ،مديريات الدقهلية والغربية وروضة البحرين ، المنوفية ، البحيرة ، الشرقية ، القليوبية ، اسنا ، الجيزة ، الفيوم ، بنى سويف ، اسيوط وجرجا ، اسيوط ، الاقاليم الصعيدية ، وقد قامت الدار منذ سنوات قليلة بضم مجموعات اخرى عن دار المحفوظات متممة للمجموعات السابقة واخرى عن " تعداد " السكان فى مصر .

٥ - ادارة الوثائق الخاصة :

وتشمل الوثائق التى لها طابع مميز أو التى ليس لها صفة الاستمرار مثل وثائق السودان ، الحجج الشرعية ، الثورة العرابية ، وثائق الازهر الشريف ، التقاسيط العشورية ، السادة البكرية ، ومشيخة الطرق الصوفية ، محافظ الابحاث ، الارشيفات الاجنبية ، وثائق قناة السويس ، وثائق الحملة الفرنسية ، مذكرات الزعماء والسياسيين وهى : مذكرات احمد عرابى ، اوراق مصطفى كامل ، مذكرات وأوراق محمد فريد ، مذكرات سعد زغلول ، ذكريات محمد على علوبة ، مذكرات عبد الرحمن فهمى ، اوراق محمد عبد المنعم ياور ، اوراق احمد زكى باشا ، وغيرها من الوثائق .

- فى سنة ١٩٧٦ قامت الدار بالتعاون مع لجنة تسجيل وثائق الثورة وأمدتها بآلاف البطاقات عن الموضوعات التى تم الاتفاق بين الدار واللجنة واستمر ذلك التعاون لعدة سنوات ..
- فى سنة ١٩٨١ قامت الدار باعداد ببليوجرافيا عن وثائق الثورة العرابية من خلال الوثائق والمجموعات والدفاتر الخاصة بها وتقدمت بها الدار الى ندوة الثورة العرابية التى اعدهيا سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور مائة عام على احداث الثورة العرابية (١٨٨١ - ١٩٨١) .
- قيام الدار سنويا باستقبال طلبة قسم الوثائق والمكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة حيث يتم تدريبهم على نظم العمل بالدار وكذا استقبال طلبة اقسام التاريخ بالكليات المختلفة وتزويدهم بالمعلومات اللازمة .
- امداد وتزويد الهيئات الرسمية بالدولة ومؤسساتها واجهزتها بالوثائق التى تطلبها وكذلك الدول الاخرى والتى ترى الدار تزويدها بها .
- وفيما يتعلق باعداد الباحثين وجنساتهم خلال الفترة من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٨٤ فانه يلاحظ ان اعدادهم فى ازدياد مستمر كما يلاحظ تردد الكثير من الباحثين الاجانب على الداروازديادهم تباعا .

أما عن مشكلات دار الوثائق واحتياجاتها فتتلخص اهم مشكلاتها فيما يلى :

١ - ضيق المكان الحالى بالقلعة وعدم قدرته على استيعاب الوثائق وتجهيزها للباحثين والعمل فيها .

٢ - قلة العاملين الفنيين بالدار ، والتى لا يوجد بها واحد على الاقل من خريجى قسم الوثائق مما تضطر معه ادارة الدار الى الاعتماد على العاملين من ذوى المؤهلات المتوسطة فى الاعمال الفنية المتخصصة ، مما يؤدى لأسوأ العواقب .

٣ - عدم وجود قسم أو مركز للمعلومات بالدار يقوم على توفيرالبيانات الكافية لاعمال البحث والباحثين .

٤ - توقف الدار عن الحصول على اصول المذكرات السياسية للزعماء والسياسيين المعاصرين .

٥ - التردد بين الابقاء على التقسيمات السابقة أو التصنيفات التى تمت لكثير من الدفاتر والمحافظ ودواعى اعادة تقسيمها وتصنيفها.

٦ - عدم توفر القيادة والادارة الفنية .

٧ - عدم وجود أمناء مخازن بالدار .

٨ - فصل وثائق المجموعة الواحدة عن بعضها عند اعمال التصنيف .

٩ - عدم حفظ وثائق المجموعة الواحدة فى مكان واحد .

١٠- عدم الالمام بكل محتويات الدار .

١١- التركيز فى الانتاج على الكم دون الكيف وما يتسبب من مشاكل جمة اقلها اعادة العمل فيما سبق عمله .

١٢- عدم ختم الوثائق التى تدخل الى الدار طبقا للقانون .

وفيما يتعلق باحتياجات الدار فان من أهمها :

١ - تبخير الوثائق بصفة دورية وقاية لها من الحشرات .

٢ - شفاطات اتربة لازالة الاتربة التى تتراكم على الوثائق .

٣ - انشاء وحدة ترميم متكاملة مزودة بكافة الامكانيات لترميم ومعالجة الوثائق والسجلات حفاظا عليها .

٤ - تصوير الوثائق ميكروفيلميا وذلك باستكمال معدات وأدوات قسم التصوير حتى يمكن اطلاع الباحثين على الميكروفيلم وخاصة بالنسبة للوثائق التى يوءدى كثرة تداولها الى تعرضها للتلف .

٥ - توفير اجهزة قراءة حديثة (قارىء / طابع) .

٦ - انشاء قسم للمسجلات السمعية والبصرية .

٧ - تعيين خريجين من قسم الوثائق للعمل بالدار .

٨ - تدريب العاملين الحاليين على طرق تنظيم الوثائق والاساليب الحديثة الخاصة بها وبحفظها .

٩ - العمل على تعيين أو انتداب عدد من المترجمين من ذوى الخبرات الجيدة فى اللغات التركية والانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية لترجمة الوثائق المدونة بهذه اللغات بالدار افادة للباحثين .

١٠- حل مشاكل العاملين بالدار وذلك بجعلهم على كادرات الباحثين وتشجيعهم على استمرار العمل فى هذه المهمة الشاقة وخلق نظام للحوافز .

١١- تزويد الدار بصور من الارشيفات الاجنبية استكمالا لما سبق جمعه .

١٢- انشاء مركز للمعلومات بالدار يزود باحدث الاجهزة العلمية .

١٣- ضرورة التعاون الوثيق بين اساتذة التاريخ بالجامعات المصرية وكذلك اساتذة الوثائق بقسم الوثائق بجامعة القاهرة وبين دار الوثائق للبحث العلمى والنهوض بالدار لحاجة الدار لخبرتهم وجهودهم .

١٤- تحرير دار الوثائق من كافة القيود الروتينية والبيروقراطية وتحرير ادارتها من التبعية لاجهزة حكومية وذلك بالغاء تبعيتها لهذه الاجهزة والتفكير فى استقلالها أو اشراف جهة رسمية أورئاسة أو تشريعية عليها مثل رئاسة الجمهورية او مجلس الوزراء أو مجلس الشعب .

* * * *

١ ـ اضافات جديدة لدراسة تاريخ المستوطنات والتجمعات السكانية شمالى شرق الاردن

Beiträge Zur Siedlungs und Territorial-geschichte des Nördlichen Ostjordan Lnds von Siegfried Mittmann

عرض وتعليق د/ محمود ابراهيم حسين

تعد منطقة الاردن من المناطق التى تمتعت بموقع متوسط بين سوريا وبلاد الروم فى الشمال وشرقا بالصحراء ومن الغرب البحر الابيض المتوسط ، ومن الجنوب البحر الاحمر مصر ، ولاشك أن الدور الذى لعبته هذه المنطقة فى الفترات القديمة ، والفترات الاسلامية كان دورا مميزا سواء من الناحية الحضارية أو الاثرية . ولذلك فان الدراسات الخاصة بهذه المنطقة دائما ذات اهمية خاصة فى الكشف عن حضارة تلك المنطقة .

ومن هنا كان لدراسة الاستاذ الدكتور/ Siegfried Mittmann اهمية خاصة لتناوله جزء من منطقة الاردن وهو الجزء الشمالى ،وكان هذا التناول فى صورة مسح اثرى ودراسة لتجمعات السكان من خلال الآثار الباقية للمساكن والادوات الحجرية والفخارية التى استعملها فى تلك الفترات الزمنية .

ويقع هذا العمل الضخم فى نحو ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والواقع ان هذا الكتاب الذى نشر فى مدينة Wieshaden بالمانيا الغربية سنة ١٩٧٠، هو فى الاصل رسالة الدكتوراه الخاصة بالمؤلف Mittmann ميتنمان " والتى تقدم بها فى شتاء ١٩٦٦- ١٩٦٧ الى كلية الدراسات اللاهوتية الانجيلية بجامعة كارل ايرهارد بمدينة توبنجن ، والواقع ان هذه الرسالة الجامعية كانت ثمرة دراسات ميدانية ومسوحات اثرية فى منطقة الاردن فى الفترة مابين اغسطس ١٩٦٣ وحتى يناير ١٩٦٦ وخاصة فى الجزء الشمالى من شرق الاردن من شمالا حتى اليرموك وجنوبا حتى ارض بيسان .

وقد قسم المؤلف عمله الى مقدمه وثلاثة اجزاء ، تعرض في الجزء الاول منها ، والذى قسمه الى مناطق الشمال والغرب والشرق والجنوب .

فتحت عنوان الشمال يتعرض المؤلف لدراسة لآثار التجمعات السكانية فى مناطق اليرموك ، ثم وادى العرب وتحت عنوان الغرب درس المؤلف مناطق وادى العرب ووادى اليابس ، ومابين وادى اليابس ووادى الفرنجة والمناطق الجبلية فى شمال وادى سوف ومنطقة وادى كفرنجة ، وتحت عنوان الجنوب قام المؤلف بدراسة المناطق فى وادى سوف ومنطقة حوض جرش ، وكذلك المنطقة الجبلية من حوض جرش ، وتحت عنوان الشرق درس المؤلف المناطق الجبلية فى شمال المدور والمفرق وسهل اربد ثم المناطق الجنوبية فى مدخل منطقة بيسان .

وأما الجزء الثانى من هذا البحث فقد حدد له المؤلف عنوان الشوارع فى العصور الرومانية والعصور الوسطى ، وفى هذا الجزء درس المؤلف الشوارع الرومانية حتى وادى الاردن وامتداد هذه الشوارع وعلامتها الحجرية ، ثم مجموعة النقوش التى عثر عليها بالمنطقة ، ثم دراسة للشوراع الرومانية فى الجزء الشرقى من وادى الاردن وتشمل امتداد الشوارع والعلامات الحجرية ، وكذلك مجموعات النقوش التى عثر علىها بها . ثم أعقب ذلك بدراسة وسائل قياس المسافات ونظم الشارع الرومانى وخاصة فى منطقة بيسان ، وكذلك دراسة للشوارع الممتدة بين بيلا وحتى جرش من خلال العلامات القياسية والنقوش الحجرية كما اشتمل هذا الجزء على معلومات هامة فيما يتعلق بنظام البريد المملوكى .

أما الجزء الثالث من الدراسة ، فكان عن تاريخ النقوش اللاتينية ، مع دراسة لعملية التوسع السكانى والنمو العمرانى حتى استيلاء الفرنجة ابان الحروب الصليبية على منطقة شمال شرق الاردن، ثم اعقب ذلك دراسة لمجموعة من السجلات لاسماء المدن القديمة وانواع الفخار والخزف الذى عثر عليه بها .

والواقع ان الدراسة التى قام بها الاستاذ الدكتور / S. Mittmann رغم اهميتها الواضحة الا انها لم تكن

ودراسات تتعلق بالتجمعات السكانية وما تركته من آثار من قبل اكثر من باحث ، واول هذه الدراسات ماقام به G.Schumacher وهو عبارة عن تسجيل لرحلته فى المنطقة فيما بين سنة ١٨٨٥ - ١٩١٤، وقد اشتملت دراسته على كثير من الانشاءات الى بقايا اثرية فى المنطقة، وقد اسهمت دراسات شوماخر بالاضافة الى الخريطة التى استطاع رسمها للمنطقة فى سد فراغ كبير يتعلق بهذا النوع من الدراسات ، وبعد نحو ربع قرن من دراسات شوماخر وعلى وجه التحديد فى الفترة مابين سنة ١٩٣٩ - سنة ١٩٤٠ ، ومابين سنة ١٩٤٢ - سنة ١٩٤٧ ظهرت دراسة جديدة للعالم N.Glück فى اطار ابحاثه فى مجال الاثار والدراسات العمرانية ، وظهر كتاب له تحت عنوان "مسوحات اثرية فى منطقة شرق فلسطين "وبعد ذلك ظهرت سلسلة من الدراسات انحصرت فى دراسات اثرية للمنشآت العمرانية فى منطقة عجلون على يد كلا من B.Bagatti, A.Augustinovie وقد كشفت هذه الدراسات عن بقايا لمجتمعات سكانية فى شمال وادى كفرنجة .

واعتبارا من عام ١٩٦١ بدأت دراسات للمعهد الانجليزى للدراسات القديمة فى الاراضى المقدسة وقد كشفت هذه الدراسات عن بقايا مساكن فى منطقة وادى كفرنجة، وكذلك عن بعض اللقى الاثرية فى المنطقة نفسها .

وتعتبر دراسات N.Glück رائدة فيما يتعلق بالاعتماد على اللقى الفخارية والخزفية فى تفسير وتاريخ البقايا المعمارية والاثار التى عثر عليها فى هذه المناطق ، وقد اشتملت دراسته هذه على الاثار الموجودة مابين خليج العقبة ومنطقة اليرموك .

والواقع ان الدراسات التى اجراها Glück كانت ذات اهمية خاصة لموءلف الدراسة S.Mittmann ولذا فعد الاستاذ / Mittmann هوفا رئيسا وهو استكمال الابحاث التى اجراها Glück فى المناطق الشمالية من الضفة الشرقية للاردن ، وقد ازداد عدد المناطق المسجلة من خلال مسوحات Glück وكانت قد بلغت مائتين ازدادت حتى اصبحت ثلاثمائة وثلاثين ، بالاضافة الى اعادة فحص المناطق التى سبق واكتشفها Glück والتحقق من وجودها حتى الان خاصة وأن الدراسات الخاصة بالفخار والخزف قد تقدمت واصبحت

تعتمد على كثير من العلوم والمساعدة الاخرى فى تفسيرها ، ولــــذا فيذكر المؤلف S.Mittmann أن الوقت لم يكن كاف حتى يمكـــن اخراج دراسة كاملة عن الفخار المعثور عليه فى عمليات المسح الاثرى التى صحبت هذه الدراسة .

وأشار المؤلف الى انه يعتبر الدراسة المقتضبة لمجموعة الفخار التى عثر عليها بمثابة دراسة ميدانية غير تفصيلية وان المجموعــة الاكبر فما جمعه من قطع فخارية صغيرة موجودة بالمخازن الخاصـــة بالمعهد الالمانى الانجيلى للدراسات الاثرية بالقدس ، كما يوجد ايضا قطع قليلة منها بمجموعته الخاصة .

واشار الى ان الاستاذ الدكتور/ P.W.Lapp والذى كان يشغــل حينذاك وظيفة مدير لمركز الابحاث الشرقية الامريكى فى القدس - قــد فحص المجموعة التى عثر عليها كلــها .

وأضاف المؤلف بأن الاستاذ الدكتور/J.B.Hennessy مديــــر المدرسة البريطانية للآثار القدس قد قام بدراسة مجموعة الفخار التى ترجع الى ماقبل العصر البرونزى وكذلك فترة العصر البرونزى المبكر ، اما الادوات الصوانية فقد قام بدراستها الدكتور P.Mortenser وهو يعمل بالمتحف الوطنى الدنماركى فى كوبنهاجن .

أما فيما يتعلق بالجزء الخاص بالشوارع الرومانية وأيضا فيما يتعلق بالعلامات القياسية الحجرية الخاصة بتلك الشوارع فانهـــا ساهمت فى الكشف عن شوارع مجهولة ، وعلى اية حال فهى دراسة ضرورية خاصة وان كثير من العلامات القياسية الخاصة بالشوارع القديمـــة كانت قد بدأت تندثر نتيجة للتوسع العمرانى والسكانى فى العصـــر الحديث ، كما ان معالم هذه الشوارع قد بدأت تتغير للسبب نفسه .

وقد قام المؤلف نفسه بنشر جزء من هذه اللقى الاثرية المتعلقة بالعلامات الحجرية وخاصة المتعلق منها بالشارع الممتد من جرش حتى درعا فى مجلة الجمعية الفلسطينية سنة ١٩٦٤ .

كما اشار المؤلف الى ان مجموعة النقوش اليونانية واللاتينيـــة التى جمعها فى هذه الدراسة لاترجع الى المنطقة التى حددها لدراسته ميدانيا ، بل ترجع الى منطقة سهل حوران هذا بالاضافة الى ان حركـــة

انتقال البدو من مكان الى آخر فى وسط هذه المواقع الاثرية جعل امر جمع هذه المقتنيات دراستها امر ملحا .

أما الجزء الاخير من الكتاب فقد اشتمل على دراسة تفصيلية لطبوغرافية مناطق المدن الدراسية فى شمال شرق الاردن ، وهى دراسة استكمل فيها المؤلف ما بدأه كلا من G.Beyer,M.Noth ثم اعقب المؤلف ، وذلك الجزء الخاص باللوحات والرسوم والخرائط .

- - -

٣ - العرب فى افريقيا " الجذور التاريخية والواقع المعاصر "
اشرف أ.د/ رؤوف عباس حامد
مراجعة / عبد الكريم مدون

صدر عن دار الثقافة العربية ، كتاب العرب فى افريقيا ، الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، والكتاب اصلا ندوة اقامها سمنار التاريخ لجامعة القاهرة ، ويتكون الكتاب من احدى وعشرين بحثا فى ٦٨٧ صفحة .

لقد كان للمسار التاريخى وضوحا من خلال البحوث المقدمة فى هذا الكتاب بحيث كان التركيز على التحولات التى عرفتها العلاقات العربية الافريقية والتى حددتها اسس اختلفت باختلاف خصوصية كل فترة لتضفى عليها طابع الاستمرارية أو القطيعة ، وقد شكل الاسلام والتجارة نقطة البداية لايذان هذه العلاقات ، لتتحول فيما بعد الى وحدة هدف الشعبين وذلك فى اطار مواجهتهما للاستعمار اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد طرحت البحوث مجموعة من الاشكاليات تمحورت حول مدى التعاون الموجود فيما بين العرب والافارقة ، ماهو الحوار الذى يوجد فيما بينهما لمواجهة المشاكل الراهنة ولتحديد الرؤى المستقبلية .

ويمكن تقسيم البحوث المقدمة فى هذا الكتاب الى اربعة محاور:

- المحور الاول : دور الاسلام فى تحديد البدايات الاولى للعرب فى افريقيا .
- المحور الثانى : الامبريالية ودورها فى تطبيق العلاقات العربية الافريقية .
- المحور الثالث : وضعية العلاقات العربية الافريقية بعد الاستقلال .
- المحور الرابع : الابعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات العربية الافريقية روية مستقبلية .

لقد اتفقت جل المداخلات على وجود علاقات عربية افريقية على مر العصور التاريخية سواء كانت هذه العلاقات سياسية ، اقتصادية ، ثقافية أو اجتماعية لكن مامدى استمرارية هذه العلاقات أو انقطاعها خلال هذا المسار وماهو موقف الافارقة من العرب وبالتالى من الحضارة العربية ومامدى التفاعل الذى حدث فيما بين الحضارتين ؟ وكيف

ساعدت هذه العوامل على تحديد الحاضر ومواجهة المستقبل ؟

هذه التساؤلات تقاسمها جميع المتداخلين بحيث حاولوا الاجابة عليها وذلك بصفة مباشرة أو غير مباشرة وان اختلفت مناهجهم وذلك باختلاف الظرفية التاريخية التى هم بصددها .

فمن خلال المحور الاول والمتمثل فى دور الاسلام فى تحديد البدايات الاولى للعرب فى افريقيا عمل جميع السادة المتحدثين على تبرير اتجاه واحد واساسى ، وهو اثبات وجود العرب فى افريقيا ،سواء كان ذلك فى اطار علاقات اقتصادية تجارية بالخصوص ، أو فى اطار نشرهم الاسلام ، بل نراهم تجاوزوا هذه الخلفية للحديث عن مدى التأثير الاسلامى فى الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية داخل الشعوب الافريقية ، وذلك كما جاء فى بحث الدكتور سليمان المالكى الذى تحدث عن أثر العرب على الحياة الاجتماعية فى شرق افريقيا ص ص ١٢١ - ١٤٠ وكذلك فى بحث الدكتور ايمن فوءاد سيد الذى تحدث عن الرحالة العرب الذين كتبوا عن افريقيا كالمسعودى والادريس وابن بطوطه ، وذلك من خلال تدخله الذى عنونة " بوصف افريقيا فى المصادر الاسلامية ص ٤٥،٢٧ وقد أكد الدكتور شوقى عطالله الجمل ان للحضارة العربية الاسلامية أثر كبير فى الحضارة الافريقية ويعلل قوله هذا بانتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية ، بالاضافة الى الاثر الفنى والمعمارى والدينى المتمثل فى انتشار الاسلام بمبادئه ، هذا الى جانب ظهور حركات اصلاحية تبنت الاسلام بالخصوص فى غرب افريقيا كحركة احمد بابا التمبوكتى وعثمان بن فوديو والحاج عمر ص ص ١٤١ -١٦٨.

كل هذا يوضح لنا أن الاسلام قد ساد العلاقات العربية الافريقية ودراسة انتشار الاسلام قد اصبحت تعنى دراسة للعلاقات الثقافية والحضارية بين الشعبين . لكن رغم كل هذا يبقى السوءال المطروح والذى لم يحاول المتداخلون الاجابة عنه ، والذى طرح خلال النقاش ، والمتمثل فى موقف الافارقة من دخول العرب والاسلام وبالتالى الحضارة العربية الاسلامية لبلادهم ، وسامدى التفاعل الذى حدث بين الحضارتين؟ وقد ادى هذا الموضوع الى طرح مجموعة من النقط كالتى آثارها الدكتور عبد الملك عودة حول روءيتنا للعلاقات العربية الافريقية حيث قال انه يجب ان نحدد ماهو ايجابى فى هذه العلاقات وماهو سلبى ، وقد

مثل الجانب الايجابى فى الاسلام وانتشاره ، اما الجانب السلبى فقد حدده فى تجارة الرقيق . فكيف نربط فيما بين مبادىء الاسلام ودور العرب فى تجارة الرقيق بافريقيا ؟

وقد يقال ان هذه الثنائية سياسة استعمارية جاءت لفرض قطيعة فيما بين العرب والافارقة لكنها حقيقة تاريخية لايمكن تجاهلها .ومهما يكن من الامر فان الاستعمار حاول وبتبنيه لما سماه بالاسلام الاسود ان يضع حدا فاصلا فيما بين العرب والافارقة وهذا لايعبر الا عن السياسة الاستعمارية التى حاولت من جهة فصل الاسلام الافريقى عن سياقة العالمى والتركيز عن افريقانيته فى افريقيا وتكييفه مع الاديان والقيم الافريقية من جهة ثانية .

اما المحور الثانى والمتمثل فى دور الامبريالية فى تطبيع العلاقات العربية الافريقية ، فلا مجال للشك بأن القادة العرب والافارقة كانوا يعلمون جيدا بالتهديد الاوربى سواء للقارة الافريقية أو للشرق الاوسط وهم كقادة ثوريين كانوا على اتصال بجميع المواقف والاهداف السائدة فيما بينهم ، ولكن بالرغم من وعيهم بازمتهم المشتركة ، وبالرغم من وجود قنوات الاتصال فان مختلف الدول سواء العربية أو الافريقية تعرضت للتهديد الاوربى دون أن يكون هناك موقف موحد للمواجهة .

والملاحظ أن البحوث التى قدمت فى هذا المحور ركزت حديثها عن العلاقات دون الاخذ فى هذه القضية .

لقد حاولت جل البحوث تبرير الوجود العربى فى افريقيا وبالتالى عملت على دحض مقولة (الاستعمار العربى فى افريقيا) ، والتى تعتبر فكرة غريبة اتى بها الفكر الاستعمارى ليزرعها فى الافكار الافريقية والتى اصبحت تنظر الى العرب والاسلام والحضارة العربية الاسلامية بمثابة الدخيل الذى يجب مواجهته ، وقد تحدث الدكتور جمال زكريا عن هذه القطيعة الفكرية التى احدثتها الامبريالية بين العرب وافريقيا وذلك فى معرض حديثه عن تاريخ العرب فى افريقيا سبيل للتقارب أم للتباعد .

فالجانب التاريخى اذن سواء بايجابياته أو سلبياته أكد وجود

علاقات عربية افريقية سواء كانت سياسية اقتصادية اجتماعية أو ثقافية ، وقد ركزت الندوة كما ظهر من خلال محورها الاول ، أو الثاني من الوجود العربي في افريقيا وعن مساهمات العرب الثقافية والحضارية في افريقيا ، وقد انتهت المداخلات أو اتفقت على وجود قطيعة ساهمت في ابرازها الامبريالية لكن الى اى حد استمرت العلاقات العربية الافريقية لمواجهة هذه القطيعة وكيف استفادت من مخلفات الماضي لمواجهة الحاضر وتحديد المستقبل ، وهذا ماظهر جليا بل حاول المحور الثالث والرابع الاجابة عنه .

فقد ركز المحور الثالث والمتمثل في " وضعية العلاقات العربية الافريقية بعد الاستقلال" ، على تدارس مجموعة من المواضيع يمكن أن نقول انها تبرز التطورات الحالية للعلاقات العربية الافريقية فبعد أن تمكنت سواء الدول العربية أو الدول الافريقية من تحقيق استقلالها طرحت امامها مجموعة من المشاكل ، كيف تحقق نموا ذاتيا خارج اطار الاستعمار الذى عايشته فترة طويلة ، كيف تطور اقتصادها وعلى اية اس يتم ذلك ، ماهى افاقها المستقبلية وماهى نظرتها الى المشاكل التى لازالت تهدد القارة كنظام الابرطاى فى جنوب افريقيا والاستطان الصهيونى فى فلسطين . وماهى بالتالى سبل التعاون وماهو الحوار الذى يوجد فيما بين العرب والافارقة لتحقيق اهدافهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟

هناك اسس تجمع فيما بين العرب والافارقة تدفعهم الى تحقيق هذا التعاون :

- فجل الدول العربية والافريقية دول نامية بل نقول متخلفة اقتصاديا ترتبط اقتصاديا مع السوق الاجنبية وبصفة خاصة الدول المستعمرة سابقا .

- ان الزراعة تمثل عنصرا هاما من مكونات الدخل القومى فى معظم الدول العربية والافريقية .

- الدول العربية والافريقية تدخل فى نطاق الدول المتخلفة المستوردة للتكنولوجيا من اوربا وامريكا .

- ان الدول العربية والافريقية جميعها عضو فى حركة عدم

الانحياز اى انها جزء من دول العالم الثالث وهذا الانتماء يقرب العلاقة بين العرب وافريقيا لتنسيق الجهود والمواقف بما يخدم قضايا العرب وافريقيا سياسيا واقتصاديا .

كل هذه الاسس تدفع الى تحديد مفهوم الوحدة التى جاءت لتدافع من اجلها منظمة الوحدة الافريقية لكن هل حققت منظمة الوحدة اهدافها وهل استطاعت حل المشاكل التى واجهتها ؟ سؤال مطروح على المنظمة الاجابة عليه . اذن يمكن ان نقول أن هناك فشل لكن الى مايرجع ذلك ؟ لقد حاول الدكتور ابراهيم نصر الدين فى تدخله حول موضوع التعاون العربى الافريقى روءية مستقبلية " أن يحدد اسباب فشل التعاون العربى الافريقى حيث قال :" ان اختلاف روءية الطرفين العربى والافريقى للغرض من التعاون ، كان السبب فى تراجع التعاون العربى الافريقى فعلى حين استهدف الطرف العربى تحقيق اهداف سياسية (عزل اسرائيل) ، فان الطرف الافريقى استهدف تحقيق اهداف اقتصادية (مساعدات ومعونات) وعلى اية حال فان معظم النقد وجه الى الطرف العربى فى التعاون باعتباره قد اخل بالتزاماته المالية تجاه الدول الافريقية .

فهناك اذن بروز لمشكل موحد لكن المشكل الاساسى هو المتمثل فى السبيل الى حله فكيف عملت اذن منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية على حله وماهى الجهود المبذولة فى هذا الاطار وهل تجاوزت المشاكل التى عرضها الدكتور نصر الدين لتحقيق نتائج ايجابية يصبح من الضرورى الوصول اليها لتحقيق الحوار والتعاون الافريقى العربى وبالتالى التأكد على وحدة المسار وتجاوز السلبيات التى تعرقله .

ماهى تطلعات الدول العربية والافريقية المستقبلة ؟
تلك كانت الاشكالية التى طرحها المحور الرابع والمتمثل فى الابعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات العربية الافريقية ، روءية مستقبلية وقد جاء هذا المحور فى اطار حلقات نقاش حاول المتحدثون خلالها طرح مجموعة من المواضيع كمسار لتحديد حاضر افريقيا ومستقبلها .

وقد كان موضوع حركة التحرير الاساسى بالنسبة لهذا المحور باعتبار حركة التحرر عملية بارزة فى افريقيا جاءت اثر تجمع ظروف

وملابسات تكتفت خلال اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وانبثقت منها تجمعات فى جل مناطق افريقيا التى دعت بوحدة مصيرها وبضرورة مواجهتها للاستعمار والامبريالية لتحقيق الاستقلال والتمتع بالحكم الذاتى ، وقد أكد ذلك السيد السفير البديوى الامين العام للجمعية الافريقية حيث قال :

" أن حركة التحرر الافريقية بدأت بفكرة الجامعة الافريقية وذلك فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ،وأن الفكرة جاءت من خارج افريقيا اثارها الزنوج الذين نقلوا من افريقيا الى اوروبا والى امريكا والذين رأوا انه يجمعهم هدف واحد يتمثل فى مواجهة الاستعمار والعنصرية والظلم الاجتماعى الذى كان يسود المستعمرات الافريقية .. ويزيد السيد السفير قائلا :

ان الحركات الاستقلالية توجت بأنشاء منظمة الوحدة الافريقية فى سنة ١٩٦٣ وبالتالى انشأ الروءساء الافارقة لجنة التنسيق لتحرير افريقيا وكان الهدف من هذه اللجنة هو تنسيق وتنظيم وتقديم المساعدات المختلفة لحركات التحرر الافريقية وزاد قائلا انه فى سنة ١٩٦٣ كانت هناك ١٨ حركة تمثل عشرة اقاليم افريقية ، وانه حاليا باستقلال الدول الافريقية اصبحت توجد ثلاثة حركات تحرر معترف بها من طرف منظمة الوحدة الافريقية وهى التى تناهض النظام العنصرى بجنوب افريقيا ..." ص ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

من هذا العرض التاريخى لتطور حركة التحرر يظهر لنا أن الدول الافريقية عملت فى اطار منظمات لتحقيق استقلالها ، لكن مايظهر هو ان حركات التحرر هذه كانت تختلف من ناحية الاتجاه رغم انه كان لها هدف واحد ، وهذا قد يكون له أثر على مصير الدولة التى يرغب المواطنون فى انشائها فيما بعد فكيف واجه المواطنون هذه المسألة ؟

يقول الدكتور عبد الملك عودة : ان حركة التحرر الافريقى لانشاء الدولة تعتبر الاصل السياسى لانها حققت اغراضها - تحقيق الاستقلال - لكن بعد هذا الاستقلال بدأت تظهر الازمة الشديدة فى بناء الدولة " ويرجع الدكتور عبد الملك ذلك الى مجموعة من الاسباب لخصها فى :" طبيعة تفكير الحرك الوطنية المتمثل فى التفكير الاساسى الذى سيطر على الحركة ، ويرى أن جل الحركات التى قامت

لتصفية الاستعمار ولانشاء حكم وطنى قامت على اساس مفهوم فى الاصل اوربى وذلك بظهور حقيقة شبه عالمية هو ان الاستقلال لايتم الا على اساس بناء الدولة الوطنية أو الدولة القومية أو الدولة الامة"، ويرى كذلك ان هذه الحركات كانت من ناحية التركيب الاجتماعى تخص بالتأكيد العام لعملها ضد الاستعمار أو ضد السلطة الاجنبية وذلك لاسباب سياسية اقتصادية وثقافية خاصة بالكيان الذاتى والثقافى فى البلد لكن مجرد الاستقلال يقول الدكتور عودة يتبين أن التركيب الاجتماعى يصبح جد معقد . ص ص ٥٩٦ - ٥٩٨ .

وبهذا يمكن أن نلاحظ وجود قطيعة من المسار التاريخى فيما بين ماقبل الاستقلال ومابعده، وقد حاول الدكتور حلمى الشعراوى ابراز ذلك حيث يرى ان الاستعمار أوجد قطيعة فيما بين حركات التحرر التى كانت سائدة قبل الاستعمار والمتمثلة فى حركة الفلاحين وحركة الجهاد الاسلامى ، اذ يرى ان حركات التحرر الوطنى اخذت توجهات جديدة بدخول الاستعمار وهذا أثر على نماذج الدولة التى كانت سائدة سواء فى غرب افريقيا أو فى شرقها ، وبناء الدولة بذلك ، بالنسبة للدولة الافريقية ، حصلت بعد المرحلة الاستعمارية فى ظروف جديدة ، رغم أن تشكيلات الدولة لم تكن غائبة عند الرؤساء الافارقة، ص ص ٦٠٠-٦٠٣

ومن هنا يمكن أن نلمس ان الاستعمار والتحولات التى حدثت فى افريقيا بسبب دخول الامبريالية والافكار الغربية كانت السبب الاساسى من جل التطورات التى عرفتها القارة الافريقية ، فالبنية الاجتماعية والسياسة والثقافية لكل دولة من الدول الافريقية اختلفت باختلاف ظروفها التاريخية وباختلاف النخبة التى كانت تناهض من اجل الاستقلال وبالتالى اختلفت باختلاف الافكار والاديولوجيات التى اتبعتها هذه النخبة لتحقيق مفهوم الدولة سواء القومية أو الوطنية بحيث قد لانجد مفهوما محليا نابع من داخل افريقيا فهى مجرد مفاهيم غربية تترجم الى عدد اللغات الموجودة فى افريقيا كل يستعملها حسب مفهومه الخاص . كيف اذن تتم الوحدة كيف اذن يحقق الهدف ماهو السبيل الى مواجهة مايسمى بالاستعمار الجديد وكيف نخطط للمستقبل ؟

اسئلة مختلفة تحتاج الى جواب ، وقد حدد جانب منها باعتبار ان سبب الخلاف نابع من الارضة المشتركة التى تكونت فيها كل دولة

افريقية وتوجيهات كل منها لكن حين الحديث عن العرب وافريقيا ماذا يجب أن نضع امامنا ؟

نلاحظ اننا امام تشكيلتين اجتماعيتين مختلفتين التشكيلة العربية بمفهومها الواسع والتشكيلة الافريقية ، ونرى أن مقومات كل تشكيلة تختلف اختلافا جذريا عن الاخرى وهذا راجع الى طبيعة كل واحدة منهما هل يمكن ان نقول أن هذا من بين اسباب الفشل فى تحقيق الوحدة ؟ نحن هنا امام البحث عن مفهوم صعب لتكوين الوحدة العربية والافريقية فكيف نتجاوز جميع العراقيل لتحقيقها وماهو السبيل الى ذلك فقد يحدد فى الاقتصاد وقد يحدد فى التعاون فى مجالات مختلفة سياسة اجتماعية ثقافية لكن الى أى مدى يمكن لهذا التعاون أن يحقق اهدافه وماهى السلبيات التى يمكن تجاوزها فى هذا الاطار .

وقد شكل الموضوع الذى تمحور حول " العرب والافارقة فى مواجهة المستقبل " مجالا لتحديد هذه النقاط بالخصوص فى المجال الاقتصادى بحكمة المتحكم فى جميع تطلعات المستقبل .

فماذا يحمل المستقبل على الصعيد الاقتصادى بالنسبة للعرب والافارقة ذلك هو السؤال الذى افتتح به الدكتور جودة عبد الخالق حديثه عن هذا الموضوع حيث حدد المشاكل الاقتصادية التى يواجهها العرب والافارقة فى اربعة مجالات اساسية حاليا أو مستقبلا . ص ٦٥١- ٦٥٣ .

ويقول ان هذه المشاكل تتمثل فى مجال الطاقة وفى مجال الغذاء والديون والبيئة ، فيرى انه بالنسبة للطاقة فى افريقيا فهى مشكلة حالية ومستقبلية أما بالنسبة للعرب فهى مشكلة مستقبلية ، أما فيما يخص الغذاء فيرى انه رغم الموارد الهائلة لدى كل من الطرفين فانهما يواجهان نفس المشاكل سواء فى الوضع الحالى أو بالنسبة للمستقبل ، فيما يتعلق بالديون فيرى ان العرب والافارقة يواجهون هذا المشكل ربما بدرجات مختلفة ومتفاوتة لكن المشكلة قائمة وأخيرا فيما يتعلق بالنسبة للبيئة فيقول ان كلاهما يعانى من التلوث والتصحر .

وانطلاقا من هذا يتساءل الدكتور فى ماهية التوقعات المستقبلية بالنسبة للطرفين ؟

يرى الدكتور جودة ان هناك عدة تطورات للمستقبل قامت بها الامم المتحدة بعضها يمتد حتى عام ٢٠٠٠ وبعضها قبل هذا التاريخ وبعضها بعده ويقول أن الاستنتاج الرئيسى الذى وصلت اليه هذه الدراسات بعد أن اعطت تطورات التطور فى مناطق العالم المختلفة هو انه لضمان التنمية فى الدول النامية ومنها الدول العربية والافريقية يلزم توافر شرطين رئيسيين : اولا حدوث تغيرات داخلية واسعه المدى فى هذه البلاد تمثل النواحى الاجتماعية والسياسية والمؤسسية والشرط الثانى حدوث تغيرات جوهرية فى النظام الاقتصادى العالمى . ويضيف قائلا ان افريقيا انتقلت خلال العشرين عاما الماضية من الاستقلال الوطنى الى المجاعة وبالتالى انتقلت من الوحدة الى التجزئة ، كما حدث ذلك فى عدة كيانات افريقية . وكذلك بالنسبة للعالم العربى الذى انتقل فى نفس الفترة من الاستقلال الى التبعية .

ويخلص الدكتور جودة فى آخر حديثه الى أن الوضع يتطلب اجراء تعديلات فى الانساق المتبعة فى كل من المنطقتين وتعديل فى العلاقات الموجودة بين الانساق الجزئية والنسق الامثل الا وهو النظام الاقتصادى العالمى .

وقد اكد ذلك الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله عند معرض حديثه عن الهجمة الامبريالية سواء فى اطارها القديم أو الحديث ، حيث قال أنها تعمل وفى اتجاهات مختلفة لتستحوذ على الاقتصاد العالمى باعتباره المحرك الاساسى لكل التغيرات التى يتعرض لها العالم حاليا . ويرى أن اضعف منطقة لمقاومة هذه الهجمة تتمثل فى الوطن العربى وفى افريقيا ، فآسيا يقول الدكتور صبرى حلت ازمتها الغذائية وكذلك امريكا الجنوبية . كالبرازيل مثلا التى حققت ميزانا تجاريا مهما . ص ص ٦٧٣ – ٦٧٧ .

فالعرب والافارقة اذن جزء من هذا النظام العالمى والتى أدت الياته الى جعل هذين الشعبين يعيشان الوضعية التى تحدد لهما من طرف هذه الامبريالية العالمية .

ما السبيل اذن للخلاص ؟

يرى الدكتور صبرى أن السبيل الوحيد فى ذلك يكمن فى انه

لايجب علينا ان ننتظر من النظام العالمى ان يقدم لنا المساعدات بل علينا أن نقوم بتنمية حقيقية وان ننظر لهذه التنمية باعتبارها معركة ضد القوى المهيمنة على هذا العالم سياسيا وعسكريا ، وانه اذا كنا نريد أن نعنى بالحاجات الاساسية للمواطنين فيجب أن نعتمد ايضا على قوانا الذاتية ، لانه اذا ماتمكنا ان نحول كل مواطن الى أن يعمل عملا منتجا فانه سينتج اكثر مما يستهلك ، ويرى أن فى هذا تحدى للنظام المسطر منذ عشرين سنة وهذا لايمكن أن يتحقق يقول الدكتور صبرى الا بالاعتماد على النفس على مستوى القرية والاقليم وعلى مستوى الدولة ليكتمل فيما بعد فى اشكال مختلفة من التعاون بين دول متجاورة أو تربطها مصالح مشتركة .

وبهذا يمكن القول أن الصورة اكتملت من خلال هذه الندوة بالنسبة للعلاقات العربية الافريقية ، والتى لاحظنا من خلال جميع التداخلات ان هناك مواقف مشتركة بالنسبة للعرب والافارقة وفى مجالات مختلفة ، سواء فى تلك التى اكدها التاريخ من خلال الصلات التى وجدت فيما بين الشعبين ، أو فى اطار وحدة المصير لمواجهة الاستعمار سواء قديمه أو حديثه ، مما أدى فى الاخير الى بروز مشاكل متشابهة تقتضى تحديدا موحدا لمواجهة المستقبل .

وقد خلص المشرف على هذا الكتاب الى مجموعة من التوصيات مثلها فيما يلى :

- دعوة الجهات والمؤسسات المعنية بالتعاون العربى الافريقى والعلاقات العربية الافريقية الى تيسير سبل نشر الوثائق والبيانات والوصول اليها حتى تتاح للباحثين على مختلف اجيالهم .

- الدعوة الى اعادة دراسة وتقييم الاسس والجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية وصولا الى ارساء العلاقات الراهنة على اسس متينة من الفهم المتبادل مع توضيح ابعاد القضايا المثارة على الساحتين العربية والافريقية .

- دعم الدراسات الاكاديمية الافريقية العربية من خلال عرض وتحليل وجهات النظر الافريقية فى التحديات والمشكلات التى تواجه البلاد الافريقية والعربية فى واقعها المعاصر مع العمل على ادراج

ونشر وجهات النظر العربية للرأى العام الافريقى بهدف الوصول الى ارضية مشتركة للفهم المتبادل .

- الدعوة لارساء الخطوات القادمة من سبل ومستويات التعاون العربى الافريقى على اساس المصالح المشتركة وارتباط الامن العربى بالامن الافريقى .

- دعوة المنظمات القومية والاقليمية فى الوطن العربى والقارة الافريقية الى تبنى ميثاق عربى افريقى يهدف الى وقف الصراعات الاقليمية فى القارة وتحديد استراتيجية مشتركة للتحرر الوطنى والتنمية .

ويعتبر بذلك هذا الكتاب جمعا لافكار وأيديولوجيات مختلفة حاولت كل منها دراسة هذا الموضوع من وجهة نظرها الخاصة .

لكن ورغم هذا الاختلاف ورغم هذه الخصوصيات تبقى النتيجة واحدة والمتمثلة فى التحديد المفاهيمى وبالتالى طرق تحديد الوحدة الافروعربية ، هذا الاتجاه الذى برز من خلال البحوث وكذا من خلال التوصيات التى خرجت بها الندوة .

- - -

دليل الرسائل الجامعية

اولا : رسائل الآثار الاسلامية

اعداد : محمد حمزة اسماعيل

١ - قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك

رسالة ماجستير للباحث : محمد حمزة اسماعيـــــل

اهتمت الابحاث الآثارية بدراسة المنشآت المعمارية الباقيـــة بالقرافة دراسة آثارية معمارية وفنية ، ولم يتعرض اى من هـــذه الابحاث لدراسة نشأة القرافة والعوامل المختلفة التى كانـــت وراء اختيار سفح جبل المقطم قرافة للمسلمين فى مصر منذ الفتح العربى الاسلامى لها وحتى نهاية العصر المملوكى ، بل وحتى يومنا هذا ، ولم تتعرض هذه الابحاث ايضا لدراسة التطور العمرانى للقرافة ومـــدى ارتباطه باتساع وامتداد عواصم مصر الاسلامية (الفسطاط ، العسكـــر ، القطائع ، القاهرة) وما صاحب ذلك من نشاط انسانى فى مختلــــف المجالات الدينية والاجتماعية وبعض الجوانب المرتبطة بالاحـــداث السياسية وغيرها .

وتقع الرسالة فى مجلدين : الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية فى حين يضم المجلد الثانى الخرائط والاشكال واللوحات .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقد تناول الباحث فى المقدمة اهمية دراسة الموضوع وأسبـــاب اختياره واهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ،بالاضافة الـــى المنهج المتبع فى الدراسة .

وفى الفصل الاول تناول الباحث نشأة القرافة والمسميــــــات المختلفة التى اطلقت على اماكن دفن الموتى ، وتفسير مدلول لفـــظ القرافة الذى اصبح علما على تلك الاماكن فى مصر دون غيرها من البـلاد الاسلامية ، كما تناول الباحث فى هذا الفصل ايضا موقع القرافة الذى ارتبط بسفح جبل المقطم منذ الفتح العربى الاسلامى لمصر حتى نهايـــة العصر المملوكى ، وتناول هذا الفصل ايضا القرافة الكبرى وازدهار العمران بها حتى نهاية العصر الفاطمى ، كما تناول القرافة الصغرى فى العصر الايوبى .

وقام الباحث فى الفصل الثانى بدراسة التطور العمرانى للقرافة فى العصر المملوكى ، سواء القرافة الواقعة جنوب القلعة أو الواقعة شمال القلعة ، وتناول هذا الفصل ايضا المسميات المختلفة التى اطلقت على القرافة بالاضافة الى تفسير مدلول لفظ التربة فى العصر المملوكى الذى لم يعد يقصد به المقبرة أو المدفن ذى القبة فقط ، وانما تطور مدلوله واتسع معناه فصار يقصد به المنشأة الدينية بصفة عامة والخانقاه بصفة خاصة التى تحتوى فيما تحتوى من مكونات معمارية على المقبرة أو المدفن ذى القبة .

وفى الفصل الثالث تناول الباحث مظاهر النشاط الانسانى فى القرافة سواء أكان نشاطا دينيا أم اجتماعيا ، وقام الباحث ايضا فى هذا الفصل بمناقشة ظاهرة سكنى القرافة وهل هى ظاهرة قديمة أم حديثة ؟ كما تناول هذا الفصل ايضا الامن فى القرافة والدور الذى لعبته القرافة فى الاحداث المرتبطة بالجوانب السياسة .

وقد خصص الباحث الفصل الرابع لدراسة المدفن ذى القبة فى القرافة ومقارنته بمثيله فى المدينة نفسها ، وقد اشتمل هذا الفصل على دراسة المسميات المختلفة للمدافن أو القبور الاسلامية وآراء الفقهاء فيما يخص البناء فوقها ، هذا بالاضافة الى الدراسة الآثارية المعمارية لمكونات المدفن ذى القبة وتطورها والتأثيرات المختلفة التى طرأت عليها سواء اكان هذا المدفن مستقلا بذاته أم كان ملحقا بأحد المنشآت الدينية .

وأفرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة .

أما المجلد الثانى فهو يشمل كما سبق القول الخرائط والاشكال واللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .

هذا وتقوم مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة بنشر وطبع هذه الرسالة فى كتابين يحمل الاول منها اسم" قرافة القاهرة" "من الفتح العربى حتى نهاية العصر المملوكى " والثانى دراسات فى العمارة الاسلامية بمدينة القاهرة " المدفن ذى القبة حتى نهاية العصر المملوكى " .

وسوف يصدر الكتابان قريبا بمشيئة الله تعالى .

٢ - صور مخطوطات الشاهنامه المحفوظة بدار الكتب المصرية
دراسة آثارية فنيـــــة
رسالة دكتوراه للباحث / أبو الحمد محمود فرغلـــى

كان لكتاب الشاهنامه للشاعر الايرانى الكبير الفردوسى تأثيرا قويا على الايرانيين أنفسهم بمختلف طبقاتهم من حكام ومحكوميـــن ، فبالاضافة الى انهم تغنوا باشعارها فى المناسبات المختلفة، قـــام الفنانون من خطاطين ومذهبين ومصورين بنسخ مخطوطات عديدة من هـــذا الكتاب مصورة بالالوان التى تشرح موضوعاتها وقصصها ، كذلك اهتـــم الخزافون بنقل بعض قصص الشاهنامه على منتجاتهم الخزفية التـــى انتجوها منذ ق ٦ هـ /١٢ م، وزينت ايضا المنسوجات الصفوية بالعديــد من رسوم قصص الشاهنامه .

هذا وتحتفظ دار الكتب المصرية بست مخطوطات فارسية نسخت من كتاب الشاهنامه وجميعها مزوقة بالصور الملونة ومنها خمســـة مخطوطات تكون مجموعة متكاملة ، حيث انها تنتمى بحسب اساليبهـــا الفنية الى المدارس التصويرية التى ازدهرت فى ايران خلال العصـــور الاسلامية .

وتشتمل هذه المخطوطات الخمس علىمايقرب من (٣٧٨) صورة تحكى ماورد بالمتن من قصص وحكايات وحوادث تاريخية مختلفة .

وقد وقع اختيار الباحث على دراسة صور هذه المخطوطات الفارسية الخمس من الشاهنامه لانها فى جملتها توضح مدى ماوصل اليه التصوير فى ايران من تطور وازدهار خلال العصور الاسلامية التى تنتمى اليهـــا هذه المخطوطات .

وتقع الرسالة فى مجلدين : الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية فى حين يضم الثانى اللوحات والاشكال الخاصة بموضوع الدراسة .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على تمهيد ومقدمة وثلاثـــة ابواب وخاتمة .

وقد تناول الباحث فى التمهيد اهمية دراسة الموضوع وأســـاب اختياره وأهم الدراسات العربية والاجنبية التى اعتمد عليهـــا

بالاضافة الى المنهج المتبع فى الدراسة .

وقام الباحث فى المقدمة بالتعريف بالفردوسى وكتابة الشاهنامه ومدى اهمية هذا الكتاب من الناحية التاريخية والادبية ، كما قام بالقاء الضوء على مدى اهتمام الايرانيين بنسخ هذا الكتاب وتزويقه بالتصاوير التى تشرح وتوضح موضوعاته وقصصه .

وفى الباب الاول عالج الباحث الحالة التاريخية للعصور الاسلامية فى ايران والتى تنتمى اليها المخطوطات موضوع الدراسة ، وبذلك استطاع ان يلقى الضوء على الاحوال السياسية والتاريخية التى مرت بها كل مخطوطة وقت نسخها ، والظروف التى احاطت بانجازها .

وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول : الاول عن نهاية المظفريين والصراع على السيادة ابان العصر التيمورى ، والثانى عن عصر الصفويين ، والثالث عن عصر القاجاريين .

اما الباب الثانى فهو يشتمل على الدراسة الوصفية للمخطوطات الخمس - موضوع الدراسة - وينقسم هذا الباب الى خمسة فصول يختص كل فصل منها بوصف شامل لمخطوطة من المخطوطات الخمس ، وقد راعى الباحث فى ذلك الترتيب التاريخى لهذه المخطوطات ، وذلك على النحو التالى الشاهنامه رقم ٧٣ تاريخ فارسى مؤرخة ٧٩٦ هـ/١٣٩٣م ، الشاهنامه رقم ٥٩ تاريخ فارسى ، مؤرخه ٨٤٤هـ/١٤٤١م ، الشاهنامه رقم ٦٠ تاريخ فارسى مؤرخه ٩٠٥هـ/١٥٠٠ م . الشاهنامه رقم ٥٣ فارسى مؤرخه ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م ، الشاهنامه رقم ٧١ تاريخ فارسى طلعت مؤرخه ١٢٣٣هـ/١٨١٨م .

وفى الباب الثالث والاخير قام الباحث بدراسة تحليلية للعناصر الزخرفية ، وينقسم هذا الباب الى خمسة فصول : تناول فى الفصل الاول الاسلوب الفنى والخطط اللونية ، وفى الفصل الثانى رسوم الكائنات الحية ، وفى الفصل الثالث الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، وفى الفصل الرابع اشكال الازياء والاسلحة والآلات الموسيقية وفى الفصل الخامس رسوم الخلفيات المعمارية والاثاث .

وافرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة .

اما المجلد الثانى فهو يشتمل كما سبق القول اللوحات والاشكال ويبلغ عدد اللوحات نحو (١٢٦) صورة من مخطوطات الشاهنامه موضوع البحث ، اما الاشكال الخاصة بالرسوم والعناصر الزخرفية فتبلغ نحو (٣٠٠

٣ - مساجد الامراء فى عصر السلطان جقمق
رسالة دكتوراه للباحث : حسن سيد جودة القصاص

ولى جقمق عرش السلطنة المملوكية فيما بين عامى ٨٤٢ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٤م وقد اتسم عهده بالهدوء النسبى فلم نسمع الا عن ثورتين نجح فى القضاء عليهما ، وفى مجال التشييد والبناء عنى السلطان جقمق عناية خاصة باصلاح وتجديد العمائر المختلفة سواء فى مصر أو فى غيرها من الممالك الاسلامية ، وكان السلطان جقمق يرى ان اصلاح مايشرف على الهدم اولى من الابتكار ولذلك لم يبتكر مدرسة ولا تربة على حد قول السخاوى فى الضوء اللامع .

وقد اقبل الامراء على تشييد العمائر المختلفة ومنهم الامير قراقجا الحسنى والامير زين الدين يحيى ، والجمالى يوسف ، ولاجين السيفى ، وتغرى بردى وجوهر القنقبائى وغيرهم .

هذا وقد وقع اختيار الباحث على موضوع " مساجد الامراء فى عصر السلطان جقمق ، ولاسيما كل من الامير قراقجا الحسنى ، الجمالى يوسف ، لاجين السفى ، والواقع ان منشآت هوءلاء الامراء الثلاثة تمثل نماذج مختلفة للتخطيط المعمارى رغم انهابنيت فى فترة حكم سلطان واحد .

وتقع الرسالة فى مجلدين الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية فى حين يضم المجلد الثانى اللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وقسمين - يحوى كل قسم منها ثلاثة ابواب - وخاتمة .

وقد تناول الباحث فى المقدمة التعريف بالسلطان جقمق وملامح عصره وازدهار العمارة خلال هذا العصر .

والقسم الاول خصه الباحث للدراسة التاريخية والوصفية ويشتمل هذا القسم على ثلاثة ابواب يتناول كل باب منها مسجد امير من الامراء الثلاثة موضوع الدراسة ، فالباب الاول عن مجسد الامير قراقجا الحسنى ٨٤٥هـ/١٤٤١م والثانى عن مدرسة الامير الجمالى يوسف حوالى ٨٥٠هـ/١٤٤٦م والثالث عن مسجد الامير لاجين السيفى ٨٥٣هـ/١٤٤٩م . وكل

باب من هذه الابواب الثلاثة ينقسم الى اربعة فصول يتناول الفصل الاول منها حياة المنشئ واهتماماته الفنية ، والفصل الثانى موقع وتاريخ المنشأة ، والثالث : الوصف التفصيلى للعناصر المعمارية والرابع الكتابات الاثرية ، اما القسم الثانى فقد خصه الباحث للدراسة التحليلية ويشتمل هذا القسم ايضا على ثلاثة ابواب ، الباب الاول عن التخطيط وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول ، الاول عن تخطيط مسجد قراقجا الحسنى ، والثانى عن تخطيط مدرسة الجمالى يوسف والثالث عن تخطط مسجد لاجين السيفى .

ويتناول الباب الثانى الوحدات والعناصر المعمارية وينقسم هذا الباب الى فصلين الاول عن الوحدات المعمارية والثانى عن العناصر المعمارية ويتناول الباب الثالث العناصر الزخرفية وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول الاول عن الزخارف النباتية والثانى عن الزخارف الهندسية والثالث عن الزخارف الكتابية .

وأفرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة وبالاضافة الى ماسبق يشتمل هذا المجلد على ثلاثة ملاحق يتضمن الملحق الاول نشر وثيقة قراقجا الحسنى والثانى وثيقة الجمالى يوسف ، أما الثالث فيحتوى على شرح لاهم المصطلحات التى وردت فى ثنايا الوثيقتين ويحتوى هذا المجلد ايضا على الاشكال والتعريفات الخاصة بموضوع الدراسة ويبلغ عددها (٦٨ شكل) .

اما المجلد الثانى فيحتوى على اللوحات الخاصة بموضوع الدراسة ويبلغ عددها (١٢٤ لوحة) وتتضمن هذه اللوحات الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية والكتابية بالاضافة الى نشر مقتطفات من وثيقتى قراقجا الحسنى والجمالى يوسف .

- - -

٤ - العمارة الاسلامية فى الغرب الاسلامى " عمائر الموحدين الدينية فى المغرب " دراسة اثارية معمارية

رسالة دكتوراه للباحث /
محمد محمد الكحلاوى

شغف خلفاء العصر الموحدى وبخاصة الخلفاء الاربعة العظام عبد المؤمن بن على وأبو يعقوب يوسف ويعقوب المنصور وابنه الناصر - بالبناء وولعوا بالتعمير فقد ازدانت بلاد المغرب والاندلس على عهدهم بعمائر شامخة متنوعة الطراز مابين عمائر دينية ومدنية وحربية ، وقد اشاد المؤرخون بعظمة تلك العمائر وروعتها ، من ذلك ماذكره المقرى من ان مسجد مراكش الذى بناه الخليفة المنصور لس بعد جامع قرطبة مثله ، كما ذكر ان صوامع مساجدهم ليس فى بلاد الاسلام اعظم منها ، وذكر صاحب الاستبصار أن القيسارية التى بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام اعظم منها .

ونظرا لتنوع عمائر الموحدين وقع اختيار الباحث على العمائر الدينية منها لدراستها سواء اكانت مندثرة أم لاتزال باقية حتى الآن .

وتقع الرسالة فى ثلاثة مجلدات ، الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية ، فى حين يضم المجلد الثانى اللوحات المصورة ، أما المجلد الثالث فيشتمل على الرسوم والاشكال الهندسية والتفريغات الفنية .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وتمهيد وستة ابواب وخاتمة .

وتناول الباحث فى المقدمة التعريف بموضوع الدراسة واهميته وأسباب اختياره وأهم الصعوبات التى واجهته .

وفى التمهيد قام الباحث بدراسة اهم مصادر البحث العربية والاجنبية ، بالاضافة الى نبذة تاريخية عن نشأة الدولة الموحدية واهم مظاهرها الحضارية .

وقد خصص الباحث الباب الاول لدراسة عمائر الموحدين الدينية التى اندثرت وأصبحت اثرا بعد عين ، وينقسم هذا الباب الى ثلاثة

فصول ، تناول الفصل الاول منها المساجد التى انشأها موءسس الدولة محمد بن تومرت ، وكذلك بعض المساجد التى انشأها خلفاوءه ، وتناول الفصل الثانى المدارس والمكاتب ، وتناول الفصل الثالث العمارة الجنائزية وبخاصة القباب التى اقيمت على قبور الموحدين وقد اعتمد الباحث فى دراسة هذا الباب على المصادر والمخطوطات التى كانت محبسة على تلك العمائر .

أما الابواب من الثانى الى الرابع فقد خصصها الباحث لدراسة المساجد الموحدية الباقية فى المدن المختلفة ومنها مدينتى تازى وتينملل فى الباب الثانى ، مدينة مراكش فى الباب الثالث ، مدينتى الرباط وفاس فى الباب الرابع ، وقد تناول الباحث فى فصول هذه الابواب الثلاثة تاريخ كل مدينة من هذه المدن ، بالاضافة الى تاريخ مسجدها والوصف المعمارى والملاحق والزيادات التى اضيفت على هذا المسجد فى العصر المرينى ، ومن المساجد التى درسها فى هذه الفصول مسجد تازى ، مسجد تينملل ، مسجد الكتبية الثانى ، مسجد القصبة ، مسجد حسان ، مسجد قصبة الوداية ، مسجد الاندلس .

وقام الباحث فى الباب الخامس بدراسة تحليلية لعمارة المسجد فى العصر الموحدى وينقسم هذا الباب الى اربعة فصول تناول الفصل الاول تطور عمارة المسجد ، والفصل الثانى طراز عمارة المسجد فى العصر الموحدى ، والفصل الثالث ملاحق المسجد فى العصر الموحدى ، والفصل الرابع أثاث المسجد فى العصر الموحدى .

وقام الباحث فى الباب السادس والاخير بدراسة تحليلية فنية للعناصر المعمارية والزخرفية فى المساجد الموحدية ، وينقسم هذا الباب الى اربعة فصول : تناول الفصل الاول العناصر المعمارية ، والثانى العناصر الزخرفية النباتية ، والثالث العناصر الزخرفية الهندسية ، والرابع العناصر الزخرفية الكتابية .

وافرد الباحث الخاتمة لعرض أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسة .

وبالاضافة الى ماسبق يشتمل هذا المجلد على ملحق واحد أورد فيه الباحث ثبت بأهم المصطلحات الفنية الاثارية بالغرب الاسلامى

والتى ورد معظمها فى ثنايا الدراسة .

اما المجلدان الآخران للرسالة وهما الثانى والثالث ،ويشتمل المجلد الثانى على اللوحات المصورة ويبلغ عددها (٤٠٤) لوحة عن المساجد الموحدية وعناصرها وملاحقها .

اما المجلد الثالث فيشتمل على الرسوم والاشكال الهندسية والتفريغات الفنية ويبلغ عددها (١١٣) شكل .

- - -

٥ - تطور اساليب التكوين فى الزخارف الجدارية بمساجد القاهرة فى عصر المماليك البحرية

رسالة دكتوراه للباحث / عصام عرفه محمود

ازدانت مدينة القاهرة خلال عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ -٩٢٣هـ / ١٢٥٠- ١٥١٧م) باجمل واروع المنشآت المعمارية التى تنوعت طرزها وتباينت وظائفها .

هذا وقد التزم تكوين وتصميم العناصر الزخرفية الاسلامية - خاصة الجدارية منها - على العمائر المختلفة ببعض القيم والاسس الهندسية ، وبالابداع والتجديد كما التزم باساليب متنوعة انطلقت بالتكوين والتصميم الزخرفى الى مستويات ابداعيه لم تصل اليها فنون بعض الحضارات الاخرى . ويمكن القول بأن التكوينات والتصميمات الزخرفية الاسلامية لها طابعها الخاص الذى انفردت به كما ان لها أسسها وقواعدها التشكيلية التى كانت قائمة على التطوير والتنويع المستمرين .

وقد استطاع الفنان المسلم ان يبدع فى عمل هذه التكوينات ذات السمات المتميزة التى تعكس سمو الفكر الفنى لهذا الفنان، هذا الفكر الذى ترجمه الى قيم تشكيلية ضمتها تكوينات وتصميمات ووحدات هذه الفنون الزخرفية الجدارية .

وتقع الرسالة فى مجلد واحد يشتمل على تمهيد ومقدمة وأربعة ابواب وخاتمة بالاضافة الى الاشكال واللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .
وقد تناول الباحث فى التمهيد اسباب اختيار هذا الموضوع وأهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها بالاضافة الى المنهج المتبع فى الدراسة وخص الباحث المقدمة للحديث عن النهضة الفنية التى شهدها عصر المماليك البحرية والعوامل المختلفة التى اثرت فى فكر ووجدان الفنان ومن ثم انعاش ونمو الحياة الفنية خلال هذا العصر وتنحصر هذه العوامل فى البيئة ورعاية الحكام والقيم الدينية والفنون والعلوم السابقة .

وتناول الباحث فى الباب الاول العوامل الهندسية والفنية التى أثرت فى تشكيل التكوينات الزخرفية الاسلامية ، وينقسم هذا الباب الى

فصلين الاول منهما عن العوامل الهندسية والثانى عن العوامل الفنيه .

وتعرض الباحث فى الباب الثانى بالدراسة والتحليل لاساليب البناء التشكيلى فى التكوين الزخرفى الهندسى وينقسم هذا الباب الى ستة فصول اختص الفصل الاول منها بالتكوين الزخرفى والهندسى على الحجر واختص الفصل الثانى بالتكوين الزخرفى الهندسى على الرخام والفصل الثالث بالتكوين الزخرفى الهندسى على الجص والفصل الرابع فقد تناول فيه تطور اساليب التكوين فى التكوينات الزخرفية الهندسية وفى الفصل الخامس تناول اللون فى التكوينات الزخرفية الهندسية واختص الفصل السادس بشكل التكوين الزخرفى الهندسى واساليب تكوينه .

وفى الباب الثالث تناول الباحث اساليب البناء التشكيلى فى التكوين الزخرفى البنائى وينقسم هذا الباب الى ستة فصول تعرف الباحث بالدراسة والتحليل فى الفصل الاول منها لمقومات التكوين الزخرفى البنائى وفى الفصل الثانى للتكوين الزخرفى البنائى على الحجر وفى الفصل الثالث للتكوين على الرخام وفى الفصل الرابع للتكوين البنائى على الجص وفى الفصل الخامس لتطور اساليب التكوين فى التكوينات الزخرفية البنائية .

وفى الفصل السادس لشكل التكوين الزخرفى البنائى واساليب تشكيله .

وتناول الباحث فى الباب الرابع اساليب البناء التشكيلى فى التكوين الزخرفى الكتابى وينقسم الى اربعة فصول تعرض الباحث بالدراسة والتحليل فى الفصل الاول منها لمراحل تكوين الزخارف الكتابية فيما قبل (عصر المماليك البحرية) وفى الفصل الثانى (للتكوين الزخرفى الكتابى النسخى) وفى الفصل الثالث للتكوين الزخرفى الكتابى الكوفى وفى الفصل الرابع لشكل التكوين الزخرفى الكتابى واساليب تكوينه .

وأفرد الباحث الخاتمه لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة وقد ضمن الباحث الرسالة بعدد كبير من اللوحات والاشكال يبلغ حوالى (٥٢٢ لوحة) و(٢١٢ شكل) .

– – –

منطقة الدرب الاحمر - دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى - دراسة اثرية تسجيلية

٦- رسالة ماجستير للباحث / محمد حسام الدين اسماعيل عبد الفتاح

تنقسم الرسالة الى مقدمةوثلاثة ابواب وخاتمة .

استعرض الباحث فى المقدمة نشأة مدينة القاهرة الفاطمية وبنائها على يد القائد جوهر الصقلى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م وكيف امتدت بعد ذلك شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وركز على الظاهر الجنوبى الذى كان يربط القاهرة الفاطمية بالعواصم الاسلامية السابقة - الفسطاط والعسكر والقطائع وابرز القسم الثالث منه - موضوع البحث - وعرض كيف بدأ العمران به على يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ/٦٧٦هـ - ١٢٦٠/١٢٧٧م . حيث بنى بيوتا لامرائه بجوار قلعة الجبل خشية احتكاكهم بطبقات الشعب المختلفة .

وتناول الباحث فى الباب الاول المسح الاثرى لهذه المنطقة حيث عرض لتسعة وسبعين خطا وحارة ودرب وعطفة وزقاق وسويقة فبدأ بما ذكره المقريزى فى خططه ، ثم ماجاء بغيره من المصادر التاريخية ، التى ترجع الى العصر المملوكى بالوثائق المملوكية ، ثم ماجاء بالوثائق التى ترجع الى العصر العثمانى ، حيث حدد بداية ونهاية كل خط وتطوره حتى القرن ١٩م مستعينا بخريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة والخرائط الحديثة ، حتى وصلت الينا شوارع هذه المنطقة فى الوقت الحاضر - شارع الدرب الاحمر ، شارع التبانة ، منطقة السيدة فاطمة النبوية (حارة بير المش ، حارة سعد الله ، حارة النبوية ، درب شغلان ، والتى كانت تعرف بسوق الغنم ، وشارع باب الوزير وسكة المحجر ، وشارع سوق السلاح بداية من ميدان قلعة صلاح الدين عند مدرسة السلطان حسن وحتى التقائه بشارع التبانة .

وخص الباحث الباب الثانى للحياة السياسة والاجتماعية فى منطقة الدراسة ، فحدد مسار مواكب السلاطين فى العصرين الايوبى والمملوكى وحتى نهاية القرن ١٩م حيث انتقل مقر الحكم من قلعة الجبل الى قصر عابدين ،فأثبت كيف كان مسار الموكب بداية من باب

النصر حتى القلعة - المسار الرئيسى - كما حدد خطوط السير الجانبية الاخرى داخل مدينة القاهرة ، واثبت ذلك على خريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة . وحدد الباحث مسار موكب المحمل بمنطقة الدراسة فى العصر العثمانى ، وموكب الجنائز خلال العصرين المملوكى والعثمانى وكيف كان يتفادى باب زويلة من مرور الجنائز من خلاله ، واعتمد فى ذلك على المصادر التاريخية ووثائق العصرين المملوكى والعثمانى . وخصص القسم الثانى من هذا الباب للحياة السياسية فى منطقة الدراسة والتى اثرت على العمران بهذه المنطقة ، حيث كان بهذه المنطقة بيوت الامراء اصحاب النفوذ بالدولة وكيف نشبت المعارك العسكرية بهذه المنطقة للاستيلاء على الحكم أو للنزاع بين الامراء بعضهم مع بعض خلال العصرين المملوكي والعثمانى ، وكيف اثر ذلك على ترك سكن هذه المنطقة من جانب اصحاب النفوذ وتهدم مبانى كثيرة أو اجزاء منها كمدرسة السلطان حسن التى تعرضت للتخريب اكثر من مرة وغيرها .

وتعرض الباحث فى الباب الثالث للعمائر بمنطقة الدرب الاحمر الدارس منها والقائم حيث تعرض لدراسة العمائر على مختلف انماطها الدينية والمدنية والحربية وعمائر الخدمة الاجتماعية وتضمنت دراسة العمائر الدارسة :

١ - ٥٨ مبنى دينى مابين مسجد ومدرسة وزاوية ورباط ومصلى وضريح .
٢ - ٢٢٥ مبنى مدنى مابين منزل وربع وقيسارية ووكالة ومنشأة صناعية (فرن - طاحون - جباسة - مدق .... الخ).
٣ - ١٧ مبنى من مبانى الرعاية الاجتماعية مابين حمام وسبيل وكتاب وحوض لسقى الدواب .

المبانى القائمة :

١ - ١٠ مساجد جامعة - ١٢ مدرسة وخانقاه - ٥٦ زاوية ورباط وضريح .
٢ - ١٨ مبنى مدنى مابين بيت وربع وفرن وقاعة لصناعة الحصير.
٣ - دراسة اسوار القاهرة وابوابها والخوخ التى فتحت فى هذه الاسوار مع تحديد موقع خوخة الارقى لاول مرة والتى كانت تصل بين حارة الباطلية داخل القاهرة الفاطمية وسوق

الغنم ظاهر القاهرة .

٤ - ١٨ مبنى من مبانى الرعاية الاجتماعية من مارستان - المؤيدي - وحمام وسبيل وكتاب وحوض لسقى الدواب .

وقد اعتمد الباحث فى دراسة هذه المبانى على المصادر التاريخية والوثائق التى ترجع الى العصرين المملوكي والعثمانى وحتى نهاية القرن ١٩م، حيث اثبتت هذه الدراسة التاريخ الاصلى لعديد من المبانى المسجل منها ضمن الاثار وغير المسجل ، كما ساعدت على تصحيح بعض تواريخ هذه المبانى كقبة ابراهيم خليفة جنديان - اثر رقم ٥٨٦ - وغيره، وتتبع الباحث الاوقاف المختلفة للمبنى الواحد لتأصيل الاضافات والتجديدات التى حدثت عليه عبر العصور ، كما عثر الباحث على وثيقة مؤرخة بسنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م ووثيقة اخرى مؤرخة بسنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م لبيت منجك السلحدار - الذى يرجع الى القرن ٨هـ / ١٤م كما قام الباحث بنشر ١١٥ وثيقة من ارشيف وزارة الاوقاف ، ودار الوثائق القومية والشهر العقارى تخص هذه المنطقة .

وعرض الباحث فى الخاتمة تقييما شاملا لاثر هذه المنطقة الممتدة من باب زويلة وحتى قلعة الجبل (شارع الدرب الاحمر ، شارع التبانة ، منطقة سوق الغنم ، شارع باب الوزير ، سكة المحجر ، شارع سوق السلاح) فى الحياة السياسية والاجتماعية لقاهرة العصور الوسطى والحديثة ، وكيف كانت جزءا متكاملا من المدينة الاصلية حيث احتوت المنطقة على كل نوعيات مبانى الخدمات والرعاية الاجتماعية التى تحتاج اليها أى مدينة كاملة، وكان لها طابعها الخاص فى الحياة السياسية .

ثانيا : رســائل التاريخ

اعداد : محمد نجيب الوسيمــى

١ - علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أســرة كومنين (١٠٨١ - ١١٨٥م)

رسالة ماجستير للباحث /محمد نجيب الوسيمــى

تحتوى الرسالة على تمهيد ، ومقدمة عن اهم مصادر البحــث ، واربعة فصول وخاتمة ، فضلا عن عدد من الملاحق والخرائط وقائمــة بالمصادر والمراجع .

تناول الفصل الاول موضوع موقف الدولة البيزنطية من التوغــل السلجوقى فى آسيا الصغرى فيما بين سنتى ١٠٧١ - ١٠٨٠م، فعــرض ارهاصات التوغل السلجوقى فى آسيا الصغرى على حساب الدولة البيزنطية والنتائج المترتبة على معركة منازكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م بالنسبــة للجانبين البيزنطى والسلجوقى .

وتعرض الفصل لدراسة موضوع انغماس سلاجقة الروم فى احــوال بيزنطة الداخلية بعد هزيمة البيزنطيين فى معركة منازكرد .واختتم الفصل بتحليل موقف الدولة البيزنطة من قيام سلطنة سلاجقة الــروم فى آسيا الصغرى فى الربع الاخير من القرن الحادى عشر الميلادى، مع الكشف عن طبيعة العلاقات البيزنطية - السلجوقية خلال تلك الفترة من الزمن .

وتناول الفصل الثانى بالدراسة موضوع سياسة كل من الكسيــوس الاول كومنين وحنا الثانى كومنين تجاه سلطنة سلاجقة الروم فى الفتــرة الواقعة بين سنتى ١٠٨١ - ١١٤٣م. والقى البحث الكثير من الضوء على الاتفاق الذى تم سنة ١٠٨١م بين السلاجقة والبيزنطيين ومدى استفــادة الامبراطور الكسيوس كومنين من السلاجقة فى صد خطر النورمان فــى الفترة مابين ١٠٨١ - ١٠٨٥م ، وفى سنة ١١٠٧م . وناقش الفصل بعــد ذلك أثر قيام الحملة الصليبية الاولى على العلاقات بين سلاجقة الــروم والبيزنطيين ، وعلاقة الامبراطور الكسيوس كومنين بكل من السلطــان ملكشاه بن قلج ارسلان وأخوه مسعود . وبحث الفصل الثانى ايضا موضوع العلاقات البيزنطية - السلجوقية فى عهد الامبراطور حنا الثانــى

كومنين فيما بين عامى ١١١٨و ١١٤٣ م* وركز بصفة خاصة على موقف بيزنطة من التركمان الرحل فى غربى آسيا الصغرى ، ودور هذه العلاقات فى اثارة الفتن والانقسامات الداخلية فى الاسرة الحاكمة السلجوقية من ابناء السلطان قلج أرسلان .

ودرس الفصل الثالث علاقة البيزنطيين سلاجقة قونية ١١٤٣-١١٨٠م وألقى هذا الفصل بعض الضوء على حملة الامبراطور مانويل كومنين على قونية سنة ١١٤٦م والنتائج المترتبة عليها . وكذلك تحالف سلاجقة الروم مع البيزنطيين ضد كل من الصليبيين والارمن ، مع بيان دوافعه والآثار الناجمة عنه . ومن الموضوعات الهامة التى عالجها الفصل الثالث أيضا ، زيارة السلطان قلج آرسلان الثانى لمدينة القسطنطينية سنة ١١٦١- ١١٦٢م، مع الكشف عن دوافعها وماتمخضت عنه من نتائج . واحتوى هذا الفصل كذلك على دراسة تحليلية عن معركة ميريوكيفالون التى جرت بين سلاجقة الروم والبيزنطيين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م ونتائجها باعتبارها من المعارك الحاسمة فى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة وتاريخ السلاجقة بصفة خاصة . وقد تم التركيز بصفة خاصة على أهم نتائجها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما الفصل الرابع والاخير فقد تناول بالبحث موضوع تأثير العلاقات البيزنطية - السلجوقية على انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية فى آسيا الصغرى ، فتحدث الباحث عن جهود السلاطين فى هذا الشأن عن طريق تشييد المساجد والزوايا والمدارس فى المدن، بالاضافة الى تعيين القضاة ، والمعلمين ، والائمة ، والكتبة ، والموءذنين فى هذه المدن . كما تحدث عن دور التركمان الرحل فى بناء المجتمع السلجوقى المسلم فى اقاليم آسيا الصغرى ومدى تأثيرهم على تفكك وانهيار بنيان المجتمع البيزنطى فى آسيا الصغرى واقامة مجتمع آخر جديد هو المجتمع السلجوقى الاسلامى .•كما عرض الفصل لمظاهر التسامح الدينى الذى اتبعه سلاجقة الروم تجاه سكان آسيا الصغرى الاصليين من البيزنطيين ، والارمن والسريان وأثر ذلك على انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية فى آسيا الصغرى . كما بحث هذا الفصل ايضا موضوع زيجات المصاهرة التى تمت بين سلاجقة الروم والبيزنطيين والنتائج الديموجرافية التى ترتبت على ذلك . واختتم الفصل بالحديث عن استعانة سلاجقة الروم بخدمات البيزنطيين فى مختلف شئون السلطنة السلجوقية وتأثير ذلك على اعتناق بعضهم الدين الاسلامى .

١- الاقباط فى العصر العثمانى
١٥١٧ - ١٧٩٨م
رسالة دكتوراه للباحث / محمد عفيفى

ان دراسة تاريخ الاقباط فى العصر العثمانى تأتى على قدر كبير من الاهمية ، فقد عادت مصر من جديد مجرد ولاية تابعة لدولة كبرى . وقد أثر هذا التحول على مصر بصفة عامة وعلى الاقباط بصفة خاصة بوصفهم الاقلية الدينية الاولى فى البلاد بصفة خاصة .

كما شهد العصر العثمانى بعض التحولات والمتغيرات فى حياة الاقباط،لعل اهمها محاولات التبشير الكاثوليكى وما احدثته من صدع فى صفوف الاقباط ، فضلا عن كونه تحديا تاريخيا كان ولابد ان يلقى الاستجابة والا تلاشى الاقباط ودارت عليهم دائرة التاريخ . وفى رأينا ان بذور النهضة القبطية فى القرن التاسع عشر يصعب فهمهما دون استيعاب لتاريخ الاقباط فى العصر العثمانى .

ولذلك وقع اختيارنا على " الاقباط فى العصر العثمانى" موضوعا لرسالة الدكتوراه . وقد انقسمت الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . حاول الباحث فى المقدمة رسم صورة لاوضاع الاقباط فى العصر الاسلامى لتكون مدخلا لدراسة اوضاعهم فى العصر العثمانى .

واهتم الباحث فى الفصل الاول باستعراض العلاقة بين الدولة والاقباط . والمقصود بالدولة هنا السلطة بالمفهوم العام سواء فى استنابول أو حتى السلطة المحلية فى القاهرة والتى لعبت الدور المؤثر فى هذا الشأن . من خلال استعراض بعض النقاط الهامة مثل الجزية ، والقيود المفروضة على الاقباط مثل اللباس وركوب الخيل واقتناء الجوارى وغيرها ، وايضا اوضاع الكنائس . وانتهى البحث بمحاولة دراسة دور الدولة كحكم بين الرعية .

واستعرض الباحث فى الفصل الثانى دور الاقباط فى الادارة المالية وماترتب على ذلك من نشوء فئة اجتماعية متميزة فى صفوف الاقباط ونقصد بها المباشرين والكتبة ، ومحاولة التعرف عليهم عن قرب ، واستعراض اثر مكانتهم المتميزة على علاقاتهم بالاقباط والكنيسة .

وخص الفصل الثالث لدراسة النشاط الاقتصادى للاقباط فى شتى صوره . ودراسة اوضاع الاقباط فى طوائف الحرف ، واستثمارات الاقباط فى مجال العقارات .

واستعرض الباحث فى الفصل الرابع الحياة الاجتماعية للاقباط من خلال التركيز على بعض مظاهر الخصوصية فى الحياة الاجتماعية للاقباط مثل الاحياء القبطية فى القاهرة والاقاليم ، والاحوال الشخصية للاقباط والموءثرات الاسلامية عليها ، الى جانب دراسة الثقافة والتعليم عند الاقباط .

وخص الفصل الاخير لدراسة الكنيسة كموءسسة دينية والدور الاجتماعى لها . والتعرف على العلاقات الخارجية للكنيسة مع التركيز على مدى استقلالية الكنيسة أو تبعيتها للخارج .

وانتهت الدراسة الى أن العصر العثمانى يمثل الفصل الاخير من تطبيق عهد الذمة على الاقباط وهى نقطة فى غاية الاهمية والحساسية ويفسر هذا ميل بعض الاقباط الى التحالف مع الاحتلال الفرنسى اثناء الحملة الفرنسية املا فى تحقيق المساواة مع المسلمين . ويفسر ايضا ماوصلت اليه العلاقات بين المسلمين والاقباط ـ فى نهاية العصر العثمانى ـ من تدهور بلغ حد الصدام .

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والوثائق . يأتى فى مقدمة ذلك الوثائق والمصادر القبطية المحفوظة ببطريركية الاقباط الارثوذكس القديمة بكلوت بك ، والمتحف القبطى بمصر القديمة ودار الكتب المصرية ، وسجلات المحاكم الشرعية الخاص منها بالقاهرة والمحفوظ بأرشيف الشهر العقارى بالقاهرة ، أو المتعلق منها بالاقاليم (المنصورة ـ دمياط ـ اسنا) والمحفوظ بدار الوثائق القومية ، وايضا دفاتر الرزق المحفوظة بنفس الارشيف .

واعتمد الباحث ايضا على المخطوطات والمصادر الفقهية والتاريخية الاسلامية . وايضا المخطوطات المحفوظة بدير الاباء الفرنسيسكان بالموسكى .

ومن المصادر الاجنبية التى اطلع عليها الباحث بعض الوثائق الفرنسية من الارشيف الوطنى بباريس ، فضلا عن كتابات القناصل والرحالة الاجانب المعاصرين بالاضافة الى المراجع العربية والاجنبية .

وعلى الله قصد السبيل .

٣ - علاقة القوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط بالمغرب الاسلامى فى القرنين السادس والسابع للهجرة ٥١٧هـ - ٧١٦هـ = ١١٢٣- ١٣١٦م

رسالة دكتوراه للباحث / **مصطفى محمد عبد الخالق**

تحتوى الرسالة على مقدمة وخمسة فصول وعدد من الملاحق والخرائط ، وقد عالج الفصل الاول الغزو النورمانى للمدن والجزر الافريقية . فعرض لهجماتهم على الجزر الواقعة بين المهدية وصقلية ، كما تعرض الفصل لاثر الغزوة الهلالية على بلاد المغرب . كما تناول مدى حاجة الصليبيين الى السيطرة على بلاد المغرب لتأمين طرق المواصلات بين الصليبيين فى بلاد الشام والغرب الاوربى . وعالج الفصل أيضا تتابع الهجمات الصليبية على بلاد المغرب بدءا من جزيرة قوصرة وافريقية ، وجربه وطرابلس وذلك فيما بين سنتى ٥١٧هـ - ١١٢٣م الى ٥٣٧ هـ ١١٤٢م . كما تعرض لغزو النورمان لقابس والمهدية سنة ٥٤٢هـ/٥٤٣هـ - ١١٤٧ - ١١٤٨م ، واستيلاؤهم على سوسة وسفاقس سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨م وهجومهم على بونه سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م .

تناول الفصل الثانى بالدراسة المواجهة بين النورمان والموحدين ، فعرض لقيام دولة الموحدين بالمغرب الاقصى ، واستنجاد اهل افريقيه بهم ضد الصليبيين وخروج عبد المؤمن بن على الكومى أمير الموحدين لتحرير افريقيه من غاصبيها وطرد النورمان من الاماكن التى سيطروا عليها . وماترتب على الفتوحات التى حققها هذا الامير من اتحاد بلاد المغرب والاندلس تحت لوائه واسرته وآثار ذلك. كذلك تناول الفصل العلاقة السياسية بين صلاح الدين الايوبى والموحدين

وتناول الفصل الثالث الحديث عن الصليبيين والمغرب العربى حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . فعرض لاستمرار الغزو الصليبى ومهاجمة البلاد الاسلامية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط مثل الاندلس وجربة ، وسبته ، وبجاية . وتعرض لآثار الصراع التجارى بين جنوة والبندقية فى توجيه مسار الاحداث السياسية فى بلاد المغرب ، كما عالج دور المماليك فى الانتصار على الصليبيين فى شرقى البحر المتوسط وماترتب على طردهم من بلاد الشام من توجههم صوب بلاد المغرب .

وبحث الفصل الرابع حملة لويس التاسع الصليبية على تونس سنة ٦٦٨هـ - ٦٦٩هـ /١٢٧٠م ، فعرض لدوافعها وكيفية الاستعداد لها حتى خروجها الى تونس وحصار قرطاجنه فى آخر ذى القعدة عام ٦٦٨هـ/١٧تموز عام ١٢٧٠م . والمشاكل التى واجهت الصليبيين فى بلاد المغرب ، ثم فشل الحملة فى تحقيق اهدافها وماترتب على ذلك من نتائج .

أما الفصل الخامس والاخير فقد عالج التأثيرات الحضارية للحروب الصليبية . فتناول التأثير الاجتماعى ، والاقتصادى لهذه الحروب على الجانبين الاسلامى والصليبى بعد تفاعلهما معا على مدى قرنين من الزمان .

رقم الايداع : ٧٣١٧ / ٨٨
الترقيم الدولي ٩٧٧-٢٣٨-٠٢٦-٩



THE EGYPTIAN HISTORIAN

Historical Studies & Researchs

Second Issue July, 1988

All correspondence to be directed to:

Prof. Dr. Raouf Abbas Hamed, The Chief Editor, Cairo University, Faculty of Arts.

A.R.E.

Cairo University
Faculty of Arts



The Egyptian Historian

Historical Studies & Researches

2

July
1988

Issued By
Histroy Department

جامعة القاهرة
كلية الآداب



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية

٢

يوليو ١٩٨٨

يصدرها قسم التاريخ

محتوى العدد

* * *